إعداد مرهف كمال الجاني
المنتدى التربوي الجامعي في سورية
رابطة الطلبة السوريين في مصر
منتدى الطلبة السوريين في مصر

morhafsyria@hotmail.com

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية
قسم أصول التربية ــ التربية الإسلامية ــ

"مُقوِّمات الشَّخصيَّة الإسلاميَّة وأساليب بنائِها في فكر سيِّد قطب"

إعداد الطالب: إبراهيم سليمان عبد الله الزاملي

إشراف الدكتور: حمدان عبد الله الصوفي

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلَّب الحصول على درجة الماجستير

للعام الدراسي ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

إهداء

* إلى والدتي التي غرست في نفسي حبّ العقيدة والإسلام .
* إلى روح والدي تغمده الله برحمته الذي رباني وعلمني .
* إلى زوجتي التي وقفت بجانبي مدة دراستي تؤازرني وتعينني .
* إلى روح المفكرين الشهيدين حسن البنا وسيد قطب رحمهما الله بمناسبة الذكرى المئوية لميلادهما .
* إلى الذين تمثَّل فيهم قول الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} . {الأحزاب: ٢٣}
• إلى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والغيورين على شباب الأمة .

أهدي هذه الدراسة

الباحث إبراهيم سليمان النزاملي

شكر وتقدير

قال الله تعالى: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} ٠(النمل، من الآية:١٩)

وقال الرسول ﷺ: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ"٠(الترمذي ب.ت،ج٤: ٣٣٩)

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من وقف بجانبي حتى إتمام هذه الدراسة، وأخص بالذكر:

* أسرتي التي تحملت عبء الدراسة ماديا ومعنويا بسبب مطالب الدراسة، و عانت من انشغالي عن متطلباتها الأساسية في سبيل إتمام الدراسة٠

* عائلتي الكريمة، وأخص بالذكر الدكتور يوسف الزاملي الذي أمدّني بمجموعة من الكتب القيمة، وأمين مكتبة مسجد الجهاد فايز الزاملي ٠

* أستاذي الأستاذ الدكتور محمود أبو دف الذي اختار لي عنوان الدراسة ، فوافق اختياره اختياري ٠

* أستاذي و معلمي الدكتور حمدان الصوفي الذي أشرف على هذه الدراسة، ولم يألُ جهدا في مساعدتي، فكان نعم المعلم والموّجه والأخ ٠

* العاملين في مدرسة كمال ناصر الثانوية "ب" بخان يونس، إداريين ومعلمين، وأخصّ بالذكر المعلم عبد القادر الأسطل الذي وقف بجانبي منذ بدء الدراسة حتى إتمامها يشجعني ويقوّي من إرادتي، وأمدّني بمجموعة من الكتب القيمة، والمعلم هاني فارس الذي قام بترجمة ملخص الدراسة من اللغة العربية إلى الإنجليزية، والمعلم مأمون أبو عامر الذي كان يُكثر من مناقشتي ٠

* الدكتور منير العايدي الذي شجّعني على إتمام الدراسة، وأمدّني بمجموعة من الكتب القيّمة ٠

* العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية المركزية إداريين وموظفين ٠

* العاملين في مكتبة بلدية رفح، وأخص بالذكر حمدان ماضي ٠

* أمين مكتبة مسجد الفاروق عبد الخالق يونس ٠

* كل من وقف بجانبي وآزرني حتى إنجاح وإتمام هذه الدراسة ٠

فجزاهم الله عني خير الجزاء

قائمة المحتويات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
عنوان الدراسة	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
قائمة المحتويات	د
ملخص الدراسة باللغة العربية	ي
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	ل
الفصل الأول: خطة الدراسة	١
مشكلة الدراسة	٣
أهداف الدراسة	٣
أهمية الدراسة	٤
حدود الدراسة	٤
منهج الدراسة	٤
تعريف المصطلحات	٤
الدراسات السابقة	٦
التعقيب على الدراسات السابقة	١١
الفصل الثاني: حياة سيد قطب	١٣
أولا: سيد قطب مولده ونشأته	١٤
ثانيا: شخصيته العلمية والأدبية	١٧
ثالثا: المفكر الإسلامي الرائد	٢٠
رابعا: المفسر المُلهَم	٢٢
خامسا: أهم التهم المُوجَّهة إليه	٢٤
سادسا: جهوده في الدعوة ومحنته	٣٠
سابعا: إنتاجه الأدبي والعلمي	٣٦
الفصل الثالث: مقوّمات الشخصية الإسلامية	٣٨
أولا: المقوم العَقَدي	٤٠

١- معنى العقيدة ومكوناتها عند (قطب)	٤٢
٢- أهمية العقيدة في بناء شخصية المتعلم	٥٠
٣- آثار العقيدة	٥١
ثانيا: المقوم العلمي	٦٠
١- تعريف العلم	٦٢
٢- أهمية العلم والمعرفة	٦٤
٣- بعدا العلم	٦٧
٤- مفهوم العالِم في الإسلام	٦٧
٥- الأهداف العامة للعلم بشكل عام	٦٨
٦- خصائص العلم في الإسلام	٦٨
٧- أنواع طلاب العلم والمتلقين له	٦٩
٨- مصادر العلم وأدواته	٧٠
٩- مراحل كسب العلم والمعرفة	٧١
١٠- وظيفة العقل	٧١
١١- أهداف تربية العقل	٧٢
١٢- عيوب العقل	٧٦
١٣- أثار العلم والمعرفة	٧٨
ثالثا: المقوم التعبدي	٨٢
١- معنى المقوم التعبدي	٨٣
٢- أنواع العبادة	٨٤
٣- خصائص العبادة في الإسلام	٨٦
٤- الخاطر والعمل	٨٨
٥- الإرادة والعمل	٨٩
٦- مستويات الإرادة	٩٠
٧- حرية الاختيار وعلاقتها بالتكليف والمسئولية عن العمل	٩٢
٨- أنواع المسئولية	٩٢
٩- العبادة والعمل	٩٣
١٠- آثار العبادة	١٠٢

رابعا: المقوم الخُلُقي	١١٣
١- معنى الأخلاق	١١٦
٢- ثبات الأخلاق وقبولها للتبديل والتعديل	١١٧
٣- أنواع الأخلاق	١١٨
٤- المسئولية الأخلاقية والدَرَجيِّة	١١٨
٥- أهمية الأخلاق	١٢٠
٦- خصائص الأخلاق الإسلامية	١٢٣
٧- مفهوم وغاية التربية الأخلاقية	١٢٤
٨- وظائف الأخلاق	١٢٥
٩- الأخلاق بين العقل والغرائز وحرية الإرادة في الإسلام	١٢٧
١٠- طرق الإلزام في الإسلام	١٢٨
١١- اجتماع أنواع الإلزام (الوازعات)	١٣١
١٢- التداخل بين المفاهيم الوجدانية وماهية الروح	١٣٢
١٣- الجزاءات في التربية الإسلامية	١٣٣
١٤- أنواع الأخلاق	١٣٦
١٥- آثار الأخلاق	١٥٤
خامسا: المقوم الاجتماعي	١٥٥
١- تعريف المجتمع	١٥٨
٢- أهمية المجتمع	١٥٨
٣- مفهوم الأمة	١٥٩
٤- مقومات الأمة	١٦٠
٥- خصائص المجتمع الإسلامي	١٦٢
٦- مفهوم الوطن والوطنية عند قطب	١٦٧
٧- آثار الاجتماع	١٦٨
سادسا: المقوم الجمالي	١٧١
١- معنى الجمال	١٧٣
٢- أهمية الجمال	١٧٣
٣- سمات الجمال في التصور الإسلامي	١٧٤

٤- مصادر التربية الجمالية في الإسلام	١٧٦
٥- ضوابط التربية الجمالية في الإسلام	١٨٠
٦- خصائص ومعايير الفن الإسلامي	١٨٢
٧- منطلقات الوعي الجمالي	١٨٣
٨- آثار الجمال	١٨٦
سابعا: المقوم الإبداعي	١٨٧
١- تعريف الإبداع	١٨٩
٢- مسلمات وخصائص الإبداع	١٩٠
٣- ميزات التفكير الابتكاري	١٩١
٤- أهمية الإبداع	١٩٤
٥- الخصوصية الحضارية الإسلامية والإبداع	١٩٥
٦- محاور الإبداع في الفكر الإسلامي	١٩٧
٧- إنتاج الأفكار الجديدة	٢٠٢
٨- معوقات الإبداع	٢٠٣
٩- آثار الإبداع	٢٠٥
الفصل الرابع: أساليب بناء الشخصية الإسلامية	٢٠٧
تعريف الأسلوب والوسيلة والفرق بينهما	٢٠٨
أولا: أسلوب القصة	٢٠٩
١- تعريف القصة	٢٠٩
٢- أهمية القصة	٢٠٩
٣- أغراض القصة في التربية الإسلامية	٢١٠
ثانيا: أسلوب القدوة	٢١٣
١- تعريف القدوة	٢١٣
٢- أهمية القدوة	٢١٤
٣- مستويات القدوة	٢١٥
٤- الأسس النفسية لاتخاذ القدوة (التقليد)	٢١٩
٥- أنواع القدوة وعناصرها	٢٢١
ثالثا: أسلوب الحوار(المحاورة)	٢٢٢

١- تعريف الحوار	٢٢٢
٢- أهمية الحوار	٢٢٢
٣- أنواع الحوار	٢٢٢
رابعا: أسلوب المثل	٢٢٤
١- تعريف المثل	٢٢٤
٢- أهمية المثل (الأمثال)	٢٢٥
٣- أنواع الأمثال	٢٢٥
خامسا: أسلوب العبرة	٢٢٦
١- تعريف العبرة	٢٢٦
٢- أهمية العبرة	٢٢٧
٣- أنواع العبر	٢٢٧
سادسا: أسلوب الموعظة	٢٢٨
١- تعريف الموعظة	٢٢٨
٢- أهمية الموعظة	٢٢٩
٣- شروط الموعظة الحسنة	٢٣١
سابعا: أسلوب الترغيب والترهيب	٢٣٢
١- تعريف الترغيب والترهيب	٢٣٢
٢- أهمية الترغيب والترهيب	٢٣٣
٣- أنواع الترغيب والترهيب	٢٣٤
ثامنا: أسلوب الممارسة والعمل أو التجريب	٢٣٧
١- تعريف الممارسة والعمل	٣٣٧
٢- أهمية التربية بالممارسة والعمل	٣٣٧
٣- نماذج للعروض العملية	٢٣٨
تاسعا: أسلوب التربية بالأحداث الجارية(الوقائع)	٢٣٩
١- تعريف الأحداث الجارية	٢٣٩
٢- أهمية التربية بالأحداث الجارية	٢٣٩
٣- أمثلة على الأحداث الجارية	٢٤١
عاشرا: أسلوب التلقين	٢٤٢

١- تعريف التلقين	**٢٤٢**
٢- أهمية التلقين	**٢٤٢**
٣- الغاية والهدف من التلقين	**٢٤٤**
حادي عشر: أسلوب التعلم بالتوبة والغفران	**٢٤٩**
١- تعريف التوبة	**٢٤٩**
٢- أهمية التوبة	**٢٤٩**
٣- نماذج من التوبة	**٢٥١**
النتائج والتوصيات والمقترحات	**٢٥٣**
المصادر والمراجع	**٢٥٥**

ملخص الدراسة (باللغة العربية)

تهدف هذه الدراسة إلى إيضاح مقومات الشخصية الإسلامية في فكر الشهيد سيد قطب، كما تهدف إلى بيان أساليب بناء الشخصية الإسلامية في فكره رحمه الله، هذا الفكر الذي أصبح وقودا ونبراسا لبعض الحركات الإسلامية في العصر الحاضر ٠

ولقد قسم الباحث الدراسة إلى أربعة فصول: في الفصل الأول تناول الباحث خطة الدراسة، وتناول في الفصل الثاني حياة سيد قطب من المولد إلى الشهادة بشكل موجز، وفي الفصل الثالث تناول الباحث مقومات الشخصية الإسلامية، حيث قسم الباحث الفصل الثالث إلى سبعة مباحث رئيسة وهي: المقوم العقدي، والمقوم العلمي، والمقوم التعبدي، والمقوم الخلقي، والمقوم الاجتماعي، والمقوم الجمالي، وأخيرا المقوم الإبداعي، وفي الفصل الرابع تناول الباحث الأساليب التربوية لبناء الشخصية الإسلامية في فكر سيد قطب، وقد قسم الباحث الفصل الرابع إلى أحد عشر مبحثا، وبدأ الباحث بالتمييز بين الأسلوب والوسيلة، ثم ابتدأ الباحث في تفصيل الأساليب التربوية لبناء الشخصية الإسلامية، وقد قسمها الباحث إلى أحد عشر مبحثا، وهي على التوالي: أسلوب التربية بالقصة، وأسلوب التربية بالقدوة، وأسلوب التربية بالحوار أو المحاورة، وأسلوب التربية بالمثل، وأسلوب التربية بالعبرة، وأسلوب التربية بالموعظة، وأسلوب التربية بالترغيب والترهيب، وأسلوب التربية بالممارسة والعمل أو التجريب، وأسلوب التربية بالأحداث الجارية أو الوقائع، وأسلوب التربية بالتلقين، وأخيرا أسلوب التربية بالتوبة والغفران ٠

واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث وصف ظاهرة ضعف الشخصية الإسلامية للأمة، وحلل بعض أسبابها، ووضع بعض الحلول لذلك ٠

وخلص الباحث إلى أن انطلاق قطب في كل ما يطرح من أفكار وتصورات نابع أساسا من العقيدة الإسلامية الصحيحة، سواء في الأدب أو الدعوة أو الاقتصاد أو التربية ٠

وأن مقومات الشخصية الإسلامية نابعة أساسا من التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ٠

وأن الضعف الذي أصاب الشخصية الإسلامية في العصر الحاضر هو بابتعادها عن أصلها الصافي، ونتيجة لتشبّه الشخصية الإسلامية بالشخصيات الأخرى وتقليدها الأعمى٠

ولذا توجب علينا أن نجلو وجه الشخصية الإسلامية، ونزيل عنها ما لحق بها من خرافات وأوهام، وأن نعمق صورتها في نفوس وعقول الأفراد والجماعات ٠

وأنه لابد أن تكون للشخصية الإسلامية مقوماتها التي تعتمد عليها خاصة في عصر الصراع من أجل الوجود والسيطرة فيما يسمى بالنظام العالمي الجديد ٠

وأنه لابد من غرس مقومات الشخصية الإسلامية في نفوس وعقول الـــنشء بأســـاليب تربويـــة إسلامية مستلهمة من القرآن الكريم والسنة النبوية ٠

وأن أهم مقومات الشخصية الإسلامية هو المقوم العقدي الذي يعتبر القلب النـــابض للمقومـــات الأخرى، بل وركنها الركين؛ ولذلك بدأ به الباحث مقومات الشخصية الإسلامية، ويعتبر الباحث أن أهم أساليب التربية في نظره هو أسلوب التوبة والغفران لتجديد العلاقة دائما مع الله، وهـــو الأسلوب الذي يغفل عنه كثير من الناس؛ ولذلك ختم به الباحث دراسته٠

وأوصت الدراسة بـــ:

١- الحرص على انتقاء أفضل المربين والمعلمين المؤهلين لبناء مقومات الشخصية الإسلامية في عقول ونفوس النشء ٠

٢- غرس المربين لمقومات الشخصية الإسلامية في نفوس وعقول النشء٠

٣- دعم وتعميم الدراسات الفكرية التربوية الإسلامية على المؤسسات التربوية والتعليمية مـــن مدارس وجامعات وغيرها ٠

Abstract

This study aims to recognize and realise the constituenst of the Islamic personality according to the thought of Sayyed Qutob, and its building stile.

This thought which remained as a flash and enlightment to some of the islamic movement nowadays.

The researcher has divided the study into four chapters: at the first chapter he has mentioned the plan of study, at the second chapter, the life of Sayyed Qutob from birth up to martyrdom, the third chapter, he has mentioned the constituents of the Islamic personality, where he has divided this chapter into seven main parts as the following: The dogmatic element, the scientific, worship, moral, social, aesthetical, and the creative element. At the forth chapter, educational method has been mentionted according to Sayyed,s thought.

He has divided the forth chapter, into eleven part, he has distinguished between style and means, gradually the researcher has analysed the educational means in order to form the Islamic personality, this has been divided into eleven part as the following:

The stile of education by story, example, dialogue or discussion, proverb, lesson, attraction and fear, trying, work and practice, currents events, lecturing and the style of education by repentanse and pardon.

The researcher has used the analytical describtive curriculum as he described the weakness of Islamic personality solving some of its reasons.

As a conclusion, he has formed an idea that all Qutob's views and writings spring from the Islamic dogma in politeness, decorum, economy or education.

Moreover, the constituents of the Islamic personality spring basicaly from the Islamic view for the human, universe and life, taking in consideration that the weakness of the Islamic personality is due to the engagement in the minor things neglecting the pour, clear origion, as well as imitating the Islamic personality to others.

So, we must clean, pour, and polish the face of Islamic personality out from the superstitions and illusions to make it strong and clear in the individuals' minds.

In fact, the Islamic personality should have its main factors which give the ability to continue for the sake of right, specially in the conflict age for domination which call the new global system.

Also, we should plant and form the main factors of the Islamic personality inside kids and beginners through Islamic educational means are derived from the holy Quran and sunna.

And one of the most important factors of the Islamic personality is the dogmatic element which is the heart for others.

So, the researcher has begun with it, On other hand, he considers that the most important method of education is the repentance and pardon style to renew the relation with Allah.

It’s the stile which most people neglect, So' the researcher has finished with

It.

And the study touched to:

١- Taking in consideration the selecting of qualified teachers and professionals for building up the constitutes of the Islamic personality inside the beginners’ ٠

٢- Teaching the kids and beginners the constitutes of Islamic personality٠

٣-Supporting and spreading of the Islamic educational thoughtful studies to the educational schools, universities, institutions, ect … ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

مقدمة:

الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطاً لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيداً، والصلاة والسلام على من ابتعثه الله رسولاً من أنفسنا ليكون لنا أسوة حسنة سيرة وسريرة، أما بعد:

تهدف التربية إلى "تنمية شخصية الفرد تنمية متكاملة، وإلى خدمة المجتمع في مجالاته المختلفة، وإلى تطوير أعمال الإنسان في الميادين الثقافية المتنوعة"٠ (الأغا وعبد المنعم، ١٩٩٢: ٢٢)

والتربية الإسلامية تتفق مع التربية في ذلك، فمن أهدافها "تفتيح شخصية المسلم وتنمية جوانبها المختلفة في الاتجاه المرغوب فيه لمجتمعه، وتعريفه بالحقوق التي منحها له ربه كفرد في مجتمع إسلامي، وبالواجبات والمسئوليات والالتزامات المترتبة على هذه الحقوق، وإعداده الإعداد الكافي للتمتع السليم والاستعمال الحكيم لتلك الحقوق والقيام بهذه المسئوليات والالتزامات بكفاءة، وإعداده لعلاقات اجتماعية ناجحة وحياة اقتصادية منتجة"٠ (عبود، ١٩٧٩: ٥٤)

وتختلف التربية الإسلامية مع التربية بوجه عام في أن مصدري استقصائها ثابتان لا يتغيران، وهما الكتاب والسنة ٠

ومن هنا يمكن تحديد معنى التربية الإسلامية بأنها: "عملية إرادية في إطار الإيمان بالله تعالى لتوجيه الفرد والجماعة الإنسانية على النافع والتحذير من الضار" ٠(الحمد، ١٩٨٨ :٢٧)

"والتربية الإسلامية تهتم بالفرد ككل متكامل بحيث تراعي كافة جوانب النمو حتى يصبح قادراً على وظيفة الاستخلاف في الأرض، فهي تربية متوازنة، تعد الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، فلا يطغى جانب على آخر، تعده للعمل في الحياة ضمن شرع الله واعتبار ذلك السبيل الوحيد للحياة الأبدية الخالدة في الآخرة، وهذا هو الإنسان الصالح"٠ (رابح، ١٩٨١: ٦١)

والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي يوجه الطاقة العقلية للنظر في سنن الله في الأرض وأحوال الأمم والشعوب والتأمل والتدبر في أحوالهم؛ وذلك لهداية البشر وإخراجهم من الضلال، ولله أعلم بخلقه وبما يصلحهم: **{ألايعلم من خلق وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}** ٠(الملك:١٤)

وقد أكدّ القرآن الكريم على إرادة الإنسان ودوره في عملية التغيير سواء كان ذلك للأحسن أو للأسوأ، ويتّضح ذلك من خلال قوله تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**٠ (الأنفال:٥٣)

و"لقد اقتضت سنّة الله أن الإنسان هو صانع التغيير في الحياة، وأن سنن الله وإرادته في التغيير تنطلق من خلال إرادة الإنسان، فالله عز وجل خلق الإنسان وأراد له أن يريد ورتّب حركة

التغيير على إرادته وهذه سنة مطردة، لا تنال من إرادة الله لأنها في نهاية المطاف لا تخرج عن خلق الله وسنته وإرادته في تيسير شئون الكون والإنسان". (أبو دف، ٢٠٠٤: ١٨٤)

ولئن كان التغيير مسئولية الإنسان كفرد، إلا أنه كذلك سُنّة جماعية، وقد عبّر الله تعالى عن ذلك بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**٠(الرعد:١١)

وحتى يتم بناء الإنسان الذي هو محور التغيير، لابد من معرفة مقومات شخصيته وأساليب بنائها، وقد رسم الرسول ﷺ أنموذجاً لهذه الشخصية، ليكون هدفاً للمربين المسلمين في تنشئة الأجيال المختلفة، فقد بُعث محمد ﷺ ليتممّ مكارم الأخلاق، ويوجّه الإنسانية إلى ما يصلح شئونها، ولتكون لهذه الأمة شخصيتها المستقلة غير التابعة، ولقد حذر النبي ﷺ من التبعية بقوله: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ" (البخاري، ١٩٨٧،ج٦: ٢٦٦٩)

ولقد جسّد الرسول ﷺ تلك الشخصية تجسيداً حياً، فعندما سُئلت أم المؤمنين عائشة عن خلقه قالت: "كان خلقه القرآن"٠ (ابن حنبل، ب٠ت، ج٦، ٢٩١)

ومن هنا ندرك حرص المصطفى ﷺ على تربية الشخصية والاعتداد بالنفس عند أصحابه الكرام، حتى أصبحوا مثلاً للصراحة في الحق، وأصبحوا خير قدوة لمن بعدهم، وصدق فيهم قوله ﷺ: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". (ابن أنس، ١٩٩١، ج٣: ٢٩٥)

وواصل علماء الأمة حمل الأمانة – أمانة العلم – وتبليغها للناس مقتدين بقول الرسول ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"٠ (الترمذي، ب٠ت، ج٥: ٤٨)

وبرز الكثير من علماء المسلمين الذي تناولوا النفس الإنسانية وعللها، والقلوب وأمراضها، وذلك بهدف توافق الإنسان مع ذاته وتكيفه مع مجتمعه، في غاية سامية لتحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل، وبرز منهم على سبيل المثال لا الحصر: الغزالي و ابن قيم الجوزية والزرنوجي وابن جماعة وغيرهم، ثم تسلّم الغرب الريادة والسيادة في كثير من العلوم والمعارف.

"وبدأت العلوم الإنسانية المختلفة تدرس الشخصية من زواياها الخاصة بها، فالشخصية في نموها وتغيرها أثناء مراحل نمو الفرد يتناولها علم النفس التربوي... وهكذا نجد الشخصية في علم النفس الاجتماعي والإكلينيكي والحربي والجنائي والإداري والتجاري... إلخ، فهي ركيزة علوم النفس المختلفة بل هي ركنها الركين"٠ (داود وآخرون، ١٩٩١: ٧)

ومن الملاحظ الآن أن الإنسان المسلم أقل كفاءة وأثراً من غيره في هذا العالم نتيجة أسباب عدّة، وهذا يحتاج إلى إعادة صياغة شخصيته وإعادة بنائها بطريقة فعالة٠

ومن المفكرين المسلمين من تأثر بالغرب وفكره ونظرياته التربوية، وكثير منهم ممن درسوا في الغرب أوابتعثتهم دولهم إليه ليكملوا تعليمهم هناك، ولكن البعض منهم عادوا يرفضون المادية الغربية التي أشبعت الجسد على حساب الروح ومطالبها، ورفضوا فكرة التبعية والتقليد الأعمى للغرب، وكان من هؤلاء الشهيد سيد قطب رحمه الله.

ولقد كان سيد قطب رحمه الله من أبرز المفكرين الذين عنوا بالإنسان فهماً لطبيعته وتربية لجوانب شخصيته، وكان تفسيره "في ظلال القرآن" سفراً ضخماً أودع فيه رحمه الله خلاصة فكره الديني والاجتماعي والسياسي والتربوي.

"وكتب الله لفكره الإسلامي الحركي القبول بعد استشهاده، واحتل مكانة عالية عند العلماء والدعاة والعاملين في الإسلام، وترك تسعة وعشرين كتاباً في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيره "في ظلال القرآن"، الذي اعتبر به مفسراً مجدداً ورائداً للفكر الإسلامي الأصيل" (الخالدي، ١٩٩١: ١٧)

والمتتبع للدراسات السابقة يجد أنها تناولت موضوع الشخصية الإسلامية أو العربية بشكل عام ومنها على سبيل المثال: دراسة عبد الرحمن (١٩٨٠)، ودراسة عمار (١٩٨١)، ودراسة العيسوي (١٩٨٦)، ودراسة الهاشمي (١٩٩٣)، ودراسة البوهي (١٩٩٥) وغيرها.

ومما دفعني للكتابة عن الشخصية الإسلامية عند سيد قطب رحمه الله، أن الكثير من المتعلمين يقتنون كتبه ويتباركون بها، ولا يعرفون عنها الكثير، ومع ذلك قد يخالفون أفكاره تصوراً وعملاً، مما جعل بعض الألسنة تتجرأ في النيل منه، تلك الأفكار التي دفع سيد قطب رحمه الله حياته من أجلها٠

ونحن أحوج ما نكون في هذا الوقت، وقد أصبح العالم قرية إلكترونية، وقد تداعت الأمم على أمّة الإسلام لتمسخ ما بقي من شخصيتها ــ ومن ذلك الهجوم على شخصية النبي ﷺ الذي يمثل الشخصية الإسلامية المثلى ــ أن نتلمس السبيل إلى هويتنا وشخصيتنا الخاصة، لنحفظ ديننا ودنيانا، ونكون بحقٍّ كما قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}**٠(البقرة :١٤٣)

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في السؤالين الآتيين:

١- ما مقومات الشخصية الإسلامية في فكر سيد قطب رحمه الله ؟ ٠

٢- ما أساليب بناء الشخصية الإسلامية في فكر سيد قطب رحمه الله ؟ .

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١- التعرف إلى مقومات الشخصية الإسلامية عند سيد قطب رحمه الله٠

٢- إبراز الأساليب المتبعة لبناء الشخصية الإسلامية عند سيد قطب رحمه الله٠

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من خلال ما يأتي:

١- اعتبار الشخصية الإسلامية الواضحة هي المنطلق للحفاظ على هوية الأمة واستقلالها الفكري والثقافي٠

٢- أهمية فكر سيد قطب رحمه الله كأحد المفكرين المسلمين البارزين الذين كان لفكرهم التأثير العميق والواسع في أوساط الصحوة الإسلامية المعاصرة، ومن حيث ربطه نصوص القرآن الكريم بجوانب حياة المسلم المختلفة ٠

٣- قد تستفيد من الدراسة جهات مهتمة بالشخصية الإسلامية أو فكر سيد قطب أو بهما معاً، كأقسام علم النفس وأصول التربية الإسلامية٠

٤ – تعتبر الدراسة مساهمة علمية قد تتلوها مساهمات أخرى في تحديد فكر سيد قطب في جوانب مختلفة من حياة الإنسان المسلم.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على بيان مقومات الشخصية الإسلامية وأساليب بنائها في فكر سيد قطب رحمه الله من خلال تفسيره "في ظلال القرآن".

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ويُعرف المنهج الوصفي بأنه: "تصوير الوضع الراهن وتحديد العلاقات التي توجد بين الظاهرات والاتجاهات التي تسير في طريق النمو أو التطور والتغيير، وانطلاقاً من هذا التصور والتحديد للعلاقات، يمكن وضع تنبؤات عن الأوضاع المقبلة التي ستكون عليها الإدارة المدرسية، مثلاً، أو المنهج، أو تدريس مادة من المواد المختلفة في المدرسة" ٠(القاضي ، ١٩٩٣ :١٠٧)

تعريف المصطلحات: وردت في هذه الدراسة بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تعريف، ومن أبرزها:

١- **المقومات:** من "قام قوما وقومة وقياما وقومة: انتصب" ٠(الفيروزآبادي، ١٩٩٥: ١٤٨٧) و"قوام كل شيء": عماده ونظامه، و"قوام الأمر عماده ونظامه"٠(أنيس وآخرون، ١٩٧٢، ٧٦٨)

٢- **الشخصية:** في اللغة: "من(الشخص) وهو سواد الإنسان وغيره تراه من بُعد"٠(الفيروزآبادي، ١٩٩٥: ٨٠٢)، ويدلّ هذا المعنى على عدم اكتمال التفاصيل لدى المُشاهِد،

وهو معنى يعبّر إلى حد بعيد عن فكرة الشخصية في علم النفس الحديث٠ (الشناوي، ١٩٩٧: ٢٠)

والشخصية مشتقة من الأصل اللاتيني **Persona** بمعنى ذلك القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ليؤدي دوره على خشبة المسرح، فيظهر أمام الجمهور بمظهر خاص يتمشى ويساير طبيعة دوره المسرحي، فهو هنا مَلِك أو صُعلوك". (داود، ١٩٩١: ٧)

وهو"يمثل جانبا من مفهوم الشخصية باعتبارها ذلك الجزء أو الجانب الذي يختاره الشخص ليظهر به أمام الناس"٠(الشناوي، ١٩٩٧: ٢١)

الشخصية اصطلاحا: يعرفها (الشيخ) بأنها: "نظام متكامل من السمات الجسمية والنفسية، الثابتة نسبيا، والتي تميز الفرد عن غيره، وتحدد أساليب نشاطه وتفاعله مع البيئة الخارجية، المادية والاجتماعية" ٠ (الشيخ، ١٩٩٠ :١٦)

ويعرفها (زين الهادي) بأنها: "مجموع السمات أوالصفات التي تميز الفرد أو الجماعة عن غيرها، سواء أكانت خَلقية أو خُلقية، فطرية أو مكتسبة"٠(زين الهادي، ٢٠٠٦ :١٠٠)

ويعرفها عبود بأنها: "جملة الصفات الجسمية، والعقلية، والمزاجية، والاجتماعية، والخُلقية، التي تميز الشخص عن غيره تمييزا واضحا"٠(عبود، ١٩٨٧ : ١١١)

ويعرفها (يالجن) بأنها: "مجموعة الصفات الاعتقادية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والإرادية، والصحية، والعقلية، والعلمية، والإبداعية وذلك حسب ما قرره الإسلام لهذه الجوانب" (يالجن، ١٩٩٠: ٦٨)

ومن خلال النظر للتعريفات السابقة، يجد الباحث أنها تشتمل على صفات معينة سواء حسية أم معنوية، عقلية أم وجدانية، ويُعدّ تعريف (يالجن) أشملها؛ ولذلك سيتبناه الباحث ٠

٣- الشخصية الإسلامية: "شخصية إنسانية تمثّلت روح القرآن، وبرزت مكوناتها على النحو التالي: عقلية تصدر في نمط تفكيرها، وتجدد مساراتها، وتحكم شئون حياتها على أساس الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً"٠(العسلي، ١٩٩١: ٢٤٨)، وقد تبنّى الباحث هذا التعريف ٠

٤- مقومات الشخصية: يعرفها الباحث بأنها: "الأسس والمرتكزات العَقَدية والعلمية والتعبدية والخلقية والاجتماعية والجمالية والإبداعية التي تمثل ضوابط بناء الشخصية ومعايير سلوكها وفكرها" ٠

الدراسات السابقة

قام الباحث بترتيب الدراسات السابقة ترتيباً تصاعدياً من القديم إلى الحديث، وهي كالآتي:

١- دراسة عبد الرحمن (١٩٨٠)، بعنوان: "الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية".

هدفت الدراسة إلى تحديد بعض جوانب الشخصية الإسلامية حيث قسمت الباحثة بحثها إلى ستة فصول بدأتها بالتأكيد على أن الإيمان هو الأصل في دين الإسلام وختمتها بالحديث عن الذاتية الإسلامية بين الفردية والجماعية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي في الدراسة، وكان من نتائج دراستها أن سبب تخلف الأمة وسوم شعوبها الذل والهوان ومسخ شخصيتها هو الجهل بالفكر الإسلامي والانحراف عن أصل مبادئه والعزوف عن نقي نبعه.

٢- دراسة عمار (١٩٨١)، بعنوان: "حوار منهجي حول التنمية الاجتماعية ومقومات الشخصية العربية".

هدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة بين الثقافة والشخصية في الإطار المجتمعي العام، وما يتعلق بالقيم الثقافية وتوجيهاتها، وآثار ذلك على أنماط السلوك الاجتماعي السائد، أو ما يعرف بالعادات، سواء كانت اجتماعية أو فردية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي في الدراسة، وخلصت الدراسة إلى أن العناصر الأساسية لدراسة الثقافة والشخصية العربية والتأثير المتبادل لتنمية الشخصية يكون بدراسة التراث الثقافي الإسلامي والغربي، وتحقيق الأهداف يتم عن طريق العمل الجاد، والتأثير في الحاضر يكون من خلال الحركة الواعية لظروف الحاضر وفهم الثقافات الأجنبية على أنها رصيد إنساني فيه الغث والسمين، وليست المشكلة في تحقيق الأهداف المنشودة هي خلط ميكانيكي أو مزاوجة بين عناصر الأصالة والمعاصرة، وطالب الباحث بفتح الأبواب للدراسات التي تركز على الإنسان وتنمية شخصيته وسلوكه.

٣- دراسة الدسوقي (١٩٨٢)، بعنوان: "مقومات شخصية النبي ﷺ".

هدفت الدراسة إلى بيان مقومات الشخصية النبوية الكريمة وذكر الباحث أن تميّز النبي ﷺ في شخصيتة لا تخرجه عن كونه بشراً، ولكنه يرقى في البشرية بحيث لا يداينه فيها أحد من البشر.

وذكر الباحث بعضاً من صفات النبي ﷺ كإدراك الأشياء بالحاسة السادسة، وتميز المصطفى ﷺ بميزات خاصة يتميز بها عن غيره من البشر كالإدراك بالوحي، والإخلاص للمبادئ إخلاصاً منقطع النظير، والعمل لتطبيق تلك المبادئ، ومنها رفضه التميز عن أتباعه بالتحلل من المسئولية .

وخلص الباحث إلى أن القدوة الأساس الهام في نشر المذاهب والأديان، وأن القدوة في الإسلام قد قدمت مثالاً فاق كل مثال ومثال ذلك أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين قال: "إنما أنا متبع ولست بمبتدع"، فترسم بذلك بذلك خطا النبي ﷺ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين٠

٤- دراسة الجندي (١٩٨٢)، بعنوان: "بناء الشخصية المسلمة"٠

هدفت الدراسة إلى تنمية الشخصية الإسلامية لمواجهة التحديات في مجالات العقيدة والفكر والاجتماع، وذكر الكاتب بعض الصلات والروابط التي توطد علاقة الشباب بأمته العربية والإسلامية، كالدين الإسلامي واللغة العربية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته، وخلص الباحث إلى أن النموذج الأمثل للشخصية الإسلامية هو المصطفى ﷺ، ولابد من ثلاث حقائق لبناء الشخصية الإسلامية وهي:

أ- أن طريق الإسلام هو طريق الله الحق٠

ب- أن هذه الأمة أمة وسط وخاتمة للرسالات٠

ج- وأن عدو الأمة استطاع السيطرة على ثلاثة ميادين رئيسية وهي ميدان السياسة والاقتصاد والاجتماع.

٥- دراسة العيسوي (١٩٨٦)، بعنوان: "مقومات الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها".

هدفت الدراسة بشكل عام إلى التعرف على الشخصية ومفهومها ونظرياتها والعوامل المؤثرة في نموها، بغية إلمام القارئ بالتراث العلمي الحديث، والتعرف من خلاله على التكوين العظيم وهو الشخصية، وهدفت الدراسة بشكل خاص إلى إلقاء الضوء على الشخصية العربية في العصر الحاضر والتعرف على سماتها وخصائصها ومميزاتها، ذلك لأن كثيراً من تلك السمات تتأثر بالعوامل الحضارية والثقافية، أو ما يعرف بالوراثة والبيئة، واستخدم الباحث في الدراسة المنهج الوصفي، ومن ثم يدعو الكاتب إلى مزيد من الاهتمام بجوانب الشخصية المختلفة لدى الفرد العربي، حتى ينمو سليماً قوياً.

٦- دراسة شومان (١٩٨٧)، بعنوان: "من عناصر بناء الشخصية المسلمة الإيمان بالله تعالى".

هدفت الدراسة إلى بيان حرص الإسلام على بناء شخصية مسلمة تسير على هدى الله وسنة رسوله ﷺ، وتربيته تربية صالحة داعية للخير وناهية عن الشر، لأن الفرد المسلم هو الدعامة الأولى في بناء المجتمع المسلم، وأن العقيدة الصحيحة والتي تعتمد على الإيمان بالله تعالى قبس من نور الله يضيء جوانب النفس وجوانب الحياة ولا يتأتى الإيمان بالمعرفة فقط بل بالمعرفة

والتطبيق العملي لها، وذلك بخشية الإنسان من الله ومحبته له وظهور هذا الإيمان يعتمد على العمل الصالح.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته.

وخَلص الباحث إلى أن المسلم يجب عليه أن يتمسك بعقيدته وسلوكه الحسن، وأن يغرس هذه العقيدة في نفوس المحيطين به، وأن خير ما يورثه الآباء لأبنائهم هو غرس الإيمان بالله تعالى في نفوسهم منذ نشأتهم بما يحبب لديهم التدين والعمل الصالح الذي يرضي الله عز وجل، وبهذا يكون الفرد المؤمن والأسرة المؤمنة والمجتمع المؤمن النقي الطاهر العفيف.

٧- دراسة هاشم (١٩٨٧)، بعنوان: "أثر العلم في الشخصية الإسلامية".

هدفت الدراسة إلى بيان أهمية العلم في تسامي الشخصية المسلمة وكشف طريق الحق والخير لها، وتنوير مسالك الحياة وترسم معالم الرشد والإصلاح وبذلك تتميز الشخصية المسلمة عن غيرها

وقد بين الباحث أهمية العلم في الإسلام ودوره في بناء الأسرة والمجتمع المسلم، ومكانة العلماء وثمرة العلم وهي الخشية من الله تعالى.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته، وخلص الباحث إلى أن سلوك المسلم طريق العلم يؤدي به إلى تكوين شخصية متميزة ويؤدي به كذلك إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

٨- دراسة قظام (١٩٨٩)، بعنوان: "دور التربية في بناء شخصية الشباب العربي".

هدفت الدراسة إلى إبراز دور التربية في بناء شخصية الشباب العربي، وذكر الباحث للتدليل على ذلك دراسة لعالم غربي يدعى (أنكلز) أجراها في كل من الأرجنتين وفلسطين والهند وتشيلي ونيجيريا وبنجلاديش، بهدف التعرف على دور التربية في تكوين الإنسان المتحضر.

واستخدم الباحث منهجاً وصفياً في دراسته،وخلص الباحث إلى أن عملية التغيير نحو الأفضل في مسار التربية العربية لن يكتب لها النجاح إلا إذا كانت على أيدي جيل من المربين والمعلمين والقادة الشباب العارفين لشخصية العربي المسلم، والواثقين من مقومات التربية العربية والإسلامية الأصيلة، وذلك من خلال ركيزتين هم: حماية النفس وإطعامها.

٩- دراسة العيسوي (١٩٨٩)، بعنوان: "خطورة الانبهار بالفكر الصهيوني على كيان الشخصية العربية والإسلامية".

هدفت الدراسة إلى الرد على أحد الكتاب العرب الذين انبهروا بالنمط الإسرائيلي ودعوا إلى تقليده والتتلمذ على يديه.

وأوضح الباحث في رده مقومات الكيان الصهيوني التي يعتمد عليها وهي العنف والعنصرية والاحتقار للآخرين، واستخدم الباحث في دراسته منهجاً وصفياً،وخلص الباحث إلى وجوب أن تنبع قوتنا من ذاتنا، ولابد من الاعتماد على الذات والوقوف في وجه كل محاولة لإثارة الإعجاب بالفكر الصهيوني والانبهار به و الدعوة الصريحة أو الخفية لتقليده، ولابد لنا أن نشعر بالاعتزاز بأنفسنا وبأمجادنا، وأن نثق بذاتنا.

١٠- دراسة خلف الله (١٩٩٢)، بعنوان: "التصور الإسلامي لدور التربية الجمالية في بناء الشخصية المسلمة".

هدفت الدراسة إلى إبراز أن هدف المسلم في الحياة هو تحقيق رسالة الله في الأرض، رسالة الحق والخير والجمال، وأن التربية الجمالية ليست غاية وإنما وسيلة من وسائل بناء الشخصية وتكاملها، وأن الجانب الجمالي يظهر علاقتنا بأنفسنا، وكذلك علاقتنا بالآخرين، فمن خلاله نرسم لكل من الجسم والروح والعقل مساره الذي ينبغي له أن يسلكه، وبهذا يكون التناسق والتناغم، واستخدم الباحث منهجاً وصفياً في دراسته، وخلص الباحث إلى أن الإسلام أوجب على المسلم أن يكون جميلاً في كل جوانب شخصيته، في حديثه مع الآخرين، وفي استماعه إليهم، وفي سلوكه المختلف، وأن التربية الجمالية وسيلة لبناء أخلاقي، حيث ترقق مشاعر الأفراد، وتسمو بالفرد ليتجاوز ذاته إلى الآخرين.

١١- دراسة الهاشمي (١٩٩٣)، بعنوان: "شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة".

هدفت الدراسة إلى تجلية شخصية المسلم كما أراد لها الإسلام أن تكون، وذلك بتتبع النصوص المتعلقة بالإنسان وتوجهه وتكوينه، ووضح الكتاب بأن الإسلام لم يقتصر على حشو عقول الناس بالمعارف الفلسفية كما صنع اليونان، ولا بالروحانيات المغرقة كما فعل الهنود، ولا بتربية الجسم الرياضية كما فعل الرومان، ولا بالفلسفة النفعية المادية كما هو في يومنا هذا، بل اختط الإسلام منهجاً متوازناً متكاملاً في تربية الإنسان، واستخدم الباحث منهجاً وصفياً في دراسته، وخلص الباحث إلى أن شخصية المسلم يجب أن تكون شخصية طائعة لله، منصاعة لهديه، متوازنة، تعطي لكل من العقل والجسم والروح حقّه.

١٢- دراسة البوهي (١٩٩٥)، بعنوان: "إدراك طلاب جامعة البحرين لمقومات الشخصية العربية وسبل المحافظة عليها".

هدفت الدراسة للتعرف على مدى إدراك طلاب جامعة البحرين لمقومات الشخصية العربية ودور الجامعة في تنميتها من خلال مختلف البرامج المقدمة فيها، واستخدم الباحث في دراسته

المنهج التجريبي، حيث شملت عينة الدراسة ٢٥٠ طالباً وطالبة من الدارسين بالجامعة، واختيروا بصورة عشوائية في العام الدراسي ١٩٩٤-١٩٩٥م، وكان منهم ٩٠ من الذكور، و١٦٠ من الإناث، موزعين حسب التخصص الجامعي، وكان من نتائج الدراسة أن الشخصية العربية شخصية متدينة وملتزمة بالدين الإسلامي، خاصة في بعض القيم والاتجاهات، كوحدة الدين والالتزام الديني والتمسك باللغة والصدق والأمانة والغيرة والشجاعة.

١٣- دراسة يالجن والقاضي (١٩٩٧)، بعنوان: "علم النفس التربوي في الإسلام".

هدفت الدراسة إلى بيان ماهية علم النفس التربوي من منظور إسلامي حيث تطرق الباحثان إلى أساسيات علم النفس التربوي الإسلامي وحقيقة الإنسان من حيث الخير والشر، وفي الباب الثالث تناول الباحثان بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة عن طريق التربية الاعتقادية الإسلامية والبناء الخلقي والعلمي والروحي والإبداعي والاجتماعي والصحي والإرشاد والتوجيه الإسلامي، واستخدم الباحثان منهجاً وصفياً في دراستهما، وخلصت الدراسة إلى أن على علم النفس التربوي في الإسلام أن يهتم بجوانب شخصية الإنسان المختلفة كي تتكامل وتتوازن.

١٥- دراسة الرشيدي (٢٠٠١)، بعنوان: "مقومات بناء الإنسان في الأسرة، مدخل أساسي لتنمية الفرد وتقدم المجتمع".

هدفت الدراسة للتعرف على التغيرات العالمية المعاصرة وانعكاساتها على مفهوم الأسرة وطبيعتها الشخصية والاتجاهات المتناقضة في دور الأسرة نحو الأبناء وتنشئتهم وتعليمهم، وتعرض الباحث من خلال دراسته لمقومات بناء الإنسان في الأسرة استناداً إلى دورها المناط بها، وتناول دور الأسرة في البناء النفسي للشخصية، واستخدم الباحث منهجاً وصفياً في دراسته، وخلصت الدراسة إلى طرح رؤية موسعة لقضايا الأمة الاجتماعية، كمدخل جديد لبناء الإنسان العربي في ظل متغيرات العصر، مركزاً على دور الأسرة النفسي والتربوي في هذا الشأن.

١٦- دراسة العيسوي (٢٠٠١)، بعنوان: "الإسلام والإنسان المعاصر".

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأبعاد النفسية للشخصية الإسلامية، وركز الباحث على الجانب الروحي والمبادئ الإسلامية السامية والقيم والعبادات في الإسلام وأثرها في العلاج النفسي وشفاء النفوس من خلال الهدي القرآني، وتناول الباحث تكامل الشخصية الإنسانية في التصور الإسلامي، ومظاهر هذا التكامل، وتناول الباحث أيضاً الوعي الصحي في الإسلام، واستخدم الباحث في دراسته منهجاً وصفياً، وخلص الباحث إلى أن الإيمان الديني والخلق الروحي يؤدي بالإنسان إلى تكامل شخصيته وبالتالي توافقه مع نفسه وتكيفه ٠

١٧- دراسة أبي دف (٢٠٠٢)، بعنوان: "معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن" ٠

هدفت الدراسة إلى التوصل لخصائص المنهج الإسلامي في التربية كما تصورها سيد قطب في تفسيره، والكشف عن مفهومه للطبيعة الإنسانية وإبراز تصوّره للقيم، ونظرته للتغيير الاجتماعي والثقافي، وآرائه حول الأسرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وخلص الباحث إلى أن منهج قطب قد انطلق من التصور العقدي ومخاطبة الفطرة الإنسانية بالآيات الكونية وعدم محاربتها، وأن القيمة التي يقاس بها الناس هي قيمة التقوى، وأن مهمة التغييرهي تغيير الواقع الجاهلي الذي يصطدم مع المنهج الإسلامي، وأنه يتوجّب علينا تربية الجماعة المسلمة التربية الإسلامية دون عزلة عن الواقع ٠

التعقيب على الدراسات السابقة:

أكدت الدراسات السابقة على:

١- أن واقع المسلمين اليوم قد حاد بشكل كبير وواضح لا يختلف فيه اثنان ــ عن منهج الإسلام ونبعه الأصيل، وهذا الاختلاف بين النظرية والتطبيق عند المسلمين، نابع إما من جهل بالمنهج الإسلامي أو التبعية المفرطة والتقليد الأعمى للفلسفات المختلفة، نتيجة الانبهار بالنموذج الغربي في التقدم التكنولوجي والعلمي، مما جعل المسلمين ينهلون من علوم الغرب وفلسفاته دون تمحيص أو تدقيق، فأصبحت الدول العربية والإسلامية حقول تجارب لفكر الغرب وفلسفاته، مما أدى إلى تغيير معالم الشخصية المسلمة، فأصبح المسلمون في ذيل القائمة على مستوى العالم علماً وزراعة وصناعة، حتى أطلق عليهم لقب دول العالم الثالث أو النامي.

٢- الرقي بالأمة لا يكون إلا بالعودة إلى جذورها ومنبعها الأصيل، وذلك بأخذ المربين والمعلمين لدورهم الحقيقي بتربية النشء وتوعيتهم بمخاطر التبعية وهذا ما يتفق معه الباحث.

٣- يختلف الباحث مع نتيجة دراسة البوهي بأن الشخصية العربية شخصية متدينة وملتزمة بالدين، فإذا كان الأمر كذلك حقاً، فبم نفسر ظواهر التبرج والاختلاط والتقليد الأعمى في مجالات كثيرة، وظواهر أخرى مختلفة، فالتدين أمر نسبي يختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر٠

ما الذي استفاده الباحث من الدراسات السابقة؟

لا شك أن الباحث قد استفاد من الدراسات السابقة ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

١- التعرف على شخصية الشهيد سيد قطب رحمه الله والإلمام بجوانب مختلفة منها، لم يكن له ذلك لولا هذه الدراسة٠

٢- تحديد أهم النقاط والأسس التي يجب أن ترتكز وتقوم عليها الشخصية المسلمة كي تكون شخصية فاعلة وإيجابية، وبذلك نستطيع تغيير واقع التخلف الذي يحياه المسلمون، كالمقوم العقدي الإيماني والعلم والمسئولية وغيرها.

٣- الإلمام بأهم أساليب بناء الشخصية الإسلامية لتكون شخصية تقيم الخلافة على وجه الأرض، كالقدوة والموعظة وضرب الأمثال وغيرها ٠

مميزات الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

تميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بـ:

١- تعدد عناصر الشخصية الإسلامية فيها حيث تناولها الباحث من خلال كتاب الله الكامل الذي أحاط بكل جوانب شخصية الإنسان.

٢- اختصاصها بدراسة الشخصية من خلال فكر سيد قطب، حيث يعتبر من أهم المفكرين الذين كان لهم دور كبير في الصحوة الإسلامية المعاصرة.

٣- تنوع جوانب الدراسة حيث اهتمت بمقومات الشخصية وأساليب بنائها من خلال تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن".

الفصل الثاني
حياة سيد قطب

مقدمة:

هذا الفصل دراسة حول سيرة سيد قطب وفكره (١٩٠٦- ١٩٦٦م)، باعتباره شاعرا، وناقدا وأديبا، ومربيا، ومفكرا عظيما للحركة الفكرية المعاصرة ٠

ومعظم ما كُتب عن سيد قطب تَرَكَّزَ حول فكره وجهاده أو سجنه وتعذيبه وإعدامه، ولكنه لا يُلمّ بحياة هذا الشهيد وجوانبها الأدبية والإصلاحية، كما أنه يهمل فترة الضياع الروحي والصراع النفسي التي أعقبها انضمامه للحركة الإسلامية الإصلاحية، وتبنيه لقضية العدالة الإسلامية، وبذلك كانت حياة سيد قطب سلسلة متصلة الحلقات لم تشهد تحولاً مفاجئًا أو تغييرًا غامضًا٠

ويعتبر سيد قطب شخصية عجيبة فريدة، فهو أديب موهوب وسياسي واعٍ، ومفكر إسلامي رائد، ومفسر ملهم، وداعية شهيد، فكان قمة في كل هذه الميادين، وصاحب مدرسة ومنهاج يكاد يكون به أمة وحده، ولقد عاش سيد قطب حياة حافلة بالعطاء، قاربت علي الستين عاماً، تبوأ فيها قمة الأدب والفكر، وترك لنا مكتبة علمية رائعة ومتنوعة، تمثلت في مؤلفاته، فمنها التربوية، ومنها النقدية والأدبية، ومنها الدينية، ومنها الحركية، وسلك سيد قطب في حياته طريق العمل الإسلامي الحركي، وصار فيها قائداً من قادة الإخوان المسلمين، وقاد فيها التنظيم الإخواني الجديد ٠

إن سيدا رحمه الله يُعدّ في عصره علما من أعلام منهج مقارعة الظالمين، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله، فلم يقُض إلا مضاجع أعداء الله ورسوله٠ وما فرح أحد بقتله كما فرح أولئك، ولقد ضاق أولئك بهذا البطل ذرعا، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يحيي منهجه ويشعل كلماته حماسا، فزاد قبوله بين المسلمين وزاد انتشار كتبه؛ لأنه دلل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه، فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبة منهم لقتل منهجه وأنى لهم ذلك ٠

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، ولا لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ــ ونسأل الله أن يتقبله شهيدا، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون انتشاره بين المسلمين٠

وإني إذ اسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً}**(الفرقان:٣١)، فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد ﷺ ، وهو العلم والفكر المستنير المستبصر ٠

ولقد اكتوى سيد في حياته الإسلامية بنار المحنة، وقدم ملحمة بطولية رائعة، في العمل والدعوة، وفي الصبر والثبات، وفي الجهاد والمواجهة، وفي الاستعلاء والتحدي، وختم الله لـــه بخاتمـــة الشهادة التي يتمناها كل مسلم، وبعد استشهاده دبت الحياة في أفكاره وآرائـــه، وازداد إعجـــاب الناس به، وزاد إقبالهم على كتبه، واقتداؤهم بمواقفه الدعوية والجهادية، وكثيـــر مـــن هـــؤلاء المعجبين والمتأثرين والباحثين لا يعرفون إلا القليل عن حياته وأفكاره٠

وترك سيد قطب آثارا فكرية متعددة أثرت في فكر الإخوان المسلمين وغيرهم مـــن الحركـــات الإسلامية المعاصرة، ويُعد تفسير سيد قطب للقرآن المعروف باسم "في ظلال القرآن" مرجعـــا أساسا لفهم فكره.

وفي هذا الفصل سيتناول الباحث إن شاء الله حياة سيد قطب وفكره من جوانب مختلفـــة بـــشكل موجز٠

أولا: سيد قطب مولده ونشأته

ولد سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي عام ١٩٠٦ في قرية موشا المصرية المعروفـــة أيـــضا رسميا ببلد الشيخ عبد الفتاح نسبة إلى مواطنها المسلم أو الولي الصالح، في مركز أسيوط، على بعد ٢٣٥ ميلا، جنوب القاهرة، وتقع المدينة الرئيسة وهي أسيوط أعظم مدن الصعيد، كما هـــي الحال في موشا، على الضفة الغربية للنيل بين القاهرة وأسوان ٠(مسلم، ١٩٩٠: ٥٥)

"كان يرحمه الله ربعة في الرجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، وإن كان إلى القصر منه إلـــى الطول أقرب، وكان حنطي اللون، أسمر البشرة، أجعد الشعر، قد عرف في لسانه لثغة محببة في حرف الراء لا تؤثر على ما عرف عنه من إشراقة وفصاحة لسان وقوة بيان"٠(العظم،١٩٨٠ : ٥٠)

واختلف الكتّاب في أصل سيد قطب، فمنهم من قال بأنه مصري الأصل، "لكن كثيرين أثبتوا أنه هندي الأصل واعتمدوا في ذلك على كلام سيد قطب نفسه، وأن عائلته قد جـــاءت مـــن بـــلاد الحرمين، وقد أشار (الندوي) إلى أن جد سيد السادس كان هنـــديا وهـــو "الفقيـــر عبـــد الله" ٠ (الندوي، ١٩٧٥: ١٥٣)٠ وقد أشار محمد قطب إلى هذا الأصل٠ (قطب وإخوته، ١٩٦٧ :٥)، لكن محمد قطب نفى ذلك فيما بعد، وحمل كلام سيد للندوي على أنه مـــن بـــاب المجاملـــة ٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٣٠)

وممن أشار إلى أصله (عزّام) بقوله: "ويقال إن أصل الأستاذ سيد قطب هندي، وأن حـــسينا – جده الرابع– قد هاجر من الهند إلى أرض الحرمين حيث البيت العتيق ومثوى المصطفى ﷺ، ثم هاجر إلى مصر واستقر في هذه القرية المصرية"٠(عزام، ب٠ت :٧)، ويرى الباحث أنـــه لا

دليل حقيقي على أصله الهندي، وأن السحنة الهندية لقطب لا علاقة لها بأصله، حيث تبدو سحنة بعض الأقوام على وجوه بعض الناس، ولا يمكن تفسير السحنة الصينية مثلا على وجوه بعض الناس بأصلهم الصيني، وهو ما يعبر عنه بالمقولة الشعبية "يخلق من الشبه أربعين" ٠

أما عن نشأته: "فقد نشأ سيد في أسرة متدينة، وكان لأبويه أثر كبير في تنشئته، حيث تركا لمساتهما على الكثير من جوانب شخصيته، وغرسا فيه الإيمان والطهر والعفاف، فوالده كان صالحا ملتزما، يرتاد المساجد للصلاة، ووالدته كانت محافظة على دينها مؤدية لفرائض الإسلام، متصلة بالقرآن، وأثرت هذه التربية في نفسه، فنشأ على تعاليم الإسلام وكان حريصا على أداء الصلوات في المساجد وهو طفل صغير ٠ (الخالدي،١٩٨١ : ٣٠)

"وكان والده متنورا ــ حسب تعبيره ــ له ميل إلى التثقف، وكان منتسبا إلى الحزب الوطني ومشتركا في جريدته الرسمية، ولذلك سارع بإدخال ولده للمدرسة ــ التي كانت في بداية عهدها ــ فأظهر تفوقا واضحا في دروسه ــ رغم صغر سنه، التي لم تكن تتجاوز السادسة حينئذ ــــ وبقي فيها أربع سنوات، وحفظ خلال ذلك القرآن الكريم بحيث أتمه وهو في العاشرة، ثم سافر بعد ثلاث سنوات إلى القاهرة ليتم دراسته الثانوية في رعاية خاله، ثم دخل دار العلوم وتخرج منها٠ (بركات، ١٩٨٠ :٩)

ولقد احتفظ سيد قطب إلى درجة كبيرة ببيان حول طفولته وعائلته في سيرته الذاتية الأدبية (طفل من القرية) حيث حدثنا سيد عن أسرته وعن مركزها المرموق في القرية فقال عن نفسه: "نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالده قدر لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقص دائما، وكان والده قد صار عميد الأسرة المكلف حفظ اسمها ومركزها، في الوقت الذي لم ينله من الميراث إلا نصيب محدود، لا ينهض بما كانت تنهض به ثروة الأسرة مجتمعة على حين لا يستطيع أن ينقص شيئا من تكاليف المظهر في الريف" ٠ (قطب، ب٠ ت :٢١)

ولقد كان والد سيد كريما مضيافا، ينفق الكثير على أولاده وأهل بيته، لا يبخل عليهم بشيء، مما اضطر الوالد في نهاية المطاف إلى بيع بيت العائلة الكبير، ولذلك أرسلته أمه إلى القاهرة ليتعلم ويحصل على وظيفة، ويدخر ما يكفي من المال ليشتري ما باعه أبوه ٠(الخالدي، ١٩٩١: ٣٣)

أما عن مركز أسرة والدته، فيحدثنا عنه قائلا: "وكانت والدته من أسرة مماثلة أو أعرق، وقد وقع لها ما وقع لأسرة الوالد حرفا بحرف" ٠ (قطب، ب٠ ت : ٢١)

أما عن إخوته: "فقد تزوج والد سيد قطب زوجتين، أنجبت الأولى ولدا، أشار إليه سيد في عدة مواضع من كتابه طفل من القرية، أما الثانية ــ أم سيد ــ فقد أنجبت خمسة أولاد: ابنين وثلاث بنات، وهم: نفيسة، وسيد، وأمينة، ومحمد وحميدة ٠(الخالدي، ١٩٩١ :٤٠)

"ولقد جمع سيد قطب العديد من السمات النفسية والفكرية والخلقية الحسنة كان من أبرزها: "المثابرة والاجتهاد والنشاط الدؤوب، تمتعه بذاكرة قوية متقدة، غيرته الشديدة على دينه، الجود والعطاء والإيثار والتضحية، الانفتاح على الأدباء والمفكرين والإعلاميين، الجرأة في قول الحق وعدم المهادنة فيه، الثبات على المبدأ والإصرار على الحق، الاستعلاء على المساومات والإغراءات، والزهد في متاع الحياة، الصبر على المحن والرضا بقضاء الله" ٠ (أبو دف، ٢٠٠٢: ٥٢، ٥٣)

"ولقد أثرت في نفسه أحداث عمقت في نفسه وواكبت حياته فيما قال وفعل، وما أنتج من علم وفكر وثقافة: **أولها:** تربية وثقافة في أسرة مستنيرة بعض الشيء، **وثانيها:** حفظه القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة، **وثالثها:** صلته ببائع الكتب "العم صالح" ومكتبته المنزلية الناشئة، **ورابعها:** نظرة الناس إليه بتقدير وثقة ربات الخدور به، ولما يزل طفلا دون مستوى الثقة والطمأنينة، **وخامسها:** استعلاء ذوي السلطان على من دونهم من الناس وتجبرهم، **وسادسها:** الذل والهوان الذي كان يعاني منه الكثيرون ممن تقع عينه عليهم" ٠ (العظم، ١٩٦٦ :٢٢)

"ولقد تأثر سيد بشخصيات كان لها دور بارزفي حياته، فقد تأثر بناظر المدرسة الذي كان شديد العناية بتربية التلاميذ تربية روحية وخلقية وعدم الوقوف عند حدود المعلومات المدرسية الجافة"٠(الخالدي، ١٩٩١: ١٥)

"ومن الشخصيات التي أثرت فيه الأديب عباس محمود العقاد الذي كان أشهر حامل لراية التجديد في الأدب في مصر، وبقي متتلمذا على العقاد زمانا طويلا، يتبنى آثاره وينافح عنها، ويدخل في صراعات أدبية من أجلها ٠٠٠ إلا أنه كان له نوع من الاستقلال، بحيث أنه كان أقرب إلى "الابتداعية" في الأدب، بينما كان أستاذه أقرب إلى الأدب الفلسفي، ولعل ذلك يرجع إلى نشأته الريفية الأولى وإلى طبيعة نفسيته المتقدة عاطفة وخيالا، فضلا عن طبيعته المحبة للحرية، الكارهة للقيود" ٠ (بركات، ب٠ ت : ١١)

"ولقد عانى سيد في شبابه نتيجة بيع بيت العائلة الكبير ونتيجة موت والده وهو في سنته الأخيرة في دار العلوم (قرابة ١٩٣٩)، لذلك فقد وقع على كتفيه عبء ثقيل من المسئولية في رعاية وتعليم شقيقه وشقيقتيه عندما غادرت الأسرة موشا بصورة دائمة للمعيشة مع سيد في حلوان، ضاحية القاهرة الجنوبية٠ (مسلم، ٢٠٠١ :٩٨)

"واضطر سيد للعمل مدرسا ابتدائيا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية أحد، اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة، وكان هذا التغيير سببا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم" ٠ (العودة، ٢٠٠٠: ٩٨)

ثانيا: شخصيته العلمية والأدبية

١- المربي والمعلم الفاضل:

"لسيد قطب آراؤه في التربية والأدب والنقد والصحافة فقد كان سيد يجمع بين التدريس والصحافة في بداية حياته، وقد طرحت عليه مجلة "الأسبوع" ــ التي كان يكتب فيها ــ سؤالا عن الصحافة والتدريس، للمفاضلة بينهما، فقال من جملة حديثه: فأنا في حجرة المدرسة أحاول أن أشيع جوا من الأدب والصحافة، حتى مع أصغر التلاميذ، وأنا في مكتب التحرير أميل أن أكون المدرس الواضح المقرر، وأميل أن أتحدث عن التربية والتعليم، وإذا كنت أخرجت كتابا في الأدب عن "مهمة الشاعر في الحياة" فأنا على وشك إخراج كتاب في التربية عن "المراهقة: أخطارها وعلاجها" (الخالدي،١٩٩١ : ٩٨ ،٩٩)، وبعد أن بين مزايا كل من المدرسة والصحافة، قدم المدرسة وفضلها على الصحافة ٠

ويتحدث عن مجانية التعليم في دول العالم الغربي، ويضرب مثلا لذلك "السويد" فيقول: "وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ٢١١)

ويتحدث (قطب) عن إمكانية الاستفادة من الغرب في العلوم البحتة دون علوم التربية وطرق التدريس لعدم مناسبتها لقيمنا واتجاهاتنا الإسلامية في رسالته لصديقه محمد جبر بقوله: "إن أمريكا هي أكبر أكذوبة عرفها العالم، نستطيع أن نَفِد من أمريكا في البعثات العلمية البحتة: الميكانيكا والكهرباء، والكيمياء، والزراعة وما إليها، فأما حين نحاول أن نستفيد من أمريكا في الدراسات النظرية ــ ومنها طرق التدريس ــ فأحسب أننا نخطئ أشد الخطأ، وننساق وراء الطريقة الأمريكية في الإعلان"٠(الخالدي، ١٩٩٠: ٢٠٥ ، ٢٠٦)، ويرى الباحث أن تطبيق طرق التدريس الأمريكية والغربية المتغيرة باستمرار، والتي لاتناسب روح الإسلام ولا قيَمه نتج عنه التخبط في المجال التربوي، وهذا ملحوظ للباحث في عمله كمعلّم ٠

ولقد عبر سيد قطب عن عدم ترك الجاهليين(١) لأبناء الحركة الإسلامية، لتطبيق منهجها التربوي التعليمي، ولهذا يتحرش الجاهليون بهم، ويعتدون عليهم!، وقد ركز سيد على هذا

١- أعداء الحركة الإسلامية من علمانيين وقوميين وبعثيين وشيوعيين ورأسماليين وغيرهم ٠

المعنى في أكثر من موقع في الظلال، ولعل أبرز مثال على ذلك تعقيبه على قصة نبي الله شعيب مع قومه فيقول:

"إن الطاغوت يفرض المعركة فرضا على الجماعة المسلمة ــ حتى لو آثرت هي أن لا تخوض المعركة معه ــ !، إن وجود الحق في ذاته يزعج الباطل، وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل . . إنها سنة الله التي لا بد أن تجري ٠٠٠" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣ :١٣١٨)

ومن خلال هذا الواقع يرى الباحث أن ماقاله قطب قد حصل بالفعل في أيامه، حيث ضُربت الحركة الإسلامية وأبناؤها، وهو يتجسد فعليا في هذه الأيام، فإذا لم تُرد الحركة الإسلامية دخول الانتخابات قالوا عن أبنائها: إرهابيون، وإذا دخلوا الانتخابات وضعوا كل العراقيل والمحبطات في طريقهم٠

وظهر هذا واضحا بعد نجاح الحركة الإسلامية وفوزها في الانتخابات الأخيرة، وبدء تشكيل الحكومة الإسلامية الأولى في الأراضي المحررة من فلسطين؛ مما دفع أهل الباطل بكل أطيافهم وألوانهم وأشكالهم؛ لتدبير المؤامرات ودس الدسائس؛ لتحطيم الإرادة الإسلامية ووأد التجربة الإسلامية في مهدها، ولسان حالهم ومقالهم أن المنهج الإسلامي لا يصلح لهذا الزمن وهو غير قادر على قيادة الأمة٠

وكأن التاريخ يعيد نفسه، وهذا ما قاله تماما مدير المخابرات البريطاني لسيد قطب عندما كان في أمريكا حينذاك، حيث قال له: "إذا قُدّر ونجحت حركة الإخوان في استلام حكم مصر فلن تتقدم مصر أبدا، وسيحولون بعقلياتهم المتخلفة بين الحضارة الغربية، وستقف عقلياتهم المتحجرة دون تطور الشعب والأرض، ثم قال: ونحن نأمل من الشباب المتعلمين أمثالك ألا يمكنوا هؤلاء من الوصول إلى سدة الحكم"٠(عزّام، ب٠ت :١٩)

٢- سيد قطب الشاعر والأديب الناقد: أما عن علاقته بالأدب والنقد فلم يكن سيد في الكلية طالبا عاديا فقد أظهر عدم رضاه عن منهاج الدراسة في دار العلوم في رسالة وجهها إلى طه حسين منها: "لا ريب كذلك أن دراسة الأدب ناقصة في هذه المدرسة، ومثلها دراسة التربية وعلم النفس"٠ (قطب،١٩٦٩ : ٦٥)

وكان سيد يدير النقاشات الأدبية في الكلية وكان معروفا بآرائه النقدية، وكان يقدم رأيه في موضوعات الأدب والنقد والشعر، بصراحة وشجاعة وحدّة، ولم يقف خلاف سيد في الرأي مع زملائه الطلاب فحسب، بل شمل أساتذته، فقد كان يخالفهم في الرأي بشأن المسائل الأدبية والنقدية، يخالفهم بأدب واحترام وتقدير٠

ومن الأمثلة على ذلك رأيه في شعر أحمد شوقي ونقده الحاد له، عندما ألقى محاضرة في مدرج "كلية دار العلوم" ــ وهو طالب في الكلية ــ وهي بعنوان: (مهمة الشاعر في الحياة وشعر

الجيل الحاضر)، فقال: "وإن كان رأيي في "شوقي" كله، بعد دراسة كاملة لكل ما أنتجه، لا يختلف كثيرا عن تعليقي عن الأمثلة المختارة" ٠ (قطب، ب٠ ت :١٠)

و"قد قام سيد قطب بنقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين والرد عليه في صحيفة دار العلوم، والذي طالب فيه طه حسين بتغريب الحياة المصرية بما فيها من ثقافة وفكر، ويبدو أن جريدة (الإخوان المسلمون)، وهي صحيفة يومية كبرى كانت تصدر في تلك الفترة قد أُعجبت بالرد فنشرته على صفحاتها، وكانت هذه اللفتة بداية صلة ودودة هادئة غير منظمة بين الأديب الشاب المهتم بشئون الأدب وحدها والحركة الإسلامية الكبرى التي تهتم بتربية الشباب المسلم وتوجيه الأمة أجمع، نحو التكامل والشمول في الفكر الإسلامي الأصيل"٠(بركات، ١٩٨٠ ١٢٥، ١٢٦)

أما بالنسبة لنظرته للشاعر: فالشاعر في نظر سيد قطب: "هو ذلك الإنسان الذي لديه شعور عميق بالحياة والذي شكلته الحياة لكي يقوم بدور الوسيط بينها وبين الناس، ولإتمام مهمته على الشاعر أن يكون لديه شعور أدق وأعمق للحياة من ذلك الموجود لدى الجماهير٠٠٠ وعليه أن يعبر عن مشاعره كما يراها هولا كما يراها الآخرون"٠ (مسلم،١٩٩٠ :٥٨)

ولقد كان لسيد تجربته مع كتابة القصص، فكتب سيد قطب قصة "المدينة المسحورة" وهي قصة خيالية أسطورية، استوحاها من قصص ألف ليلة وليلة، وقد أصدرتها دار المعارف ضمن سلسلة "اقرأ" سنة ١٩٤٦٠ م٠ (الخبّاص، ١٩٨٣ : ٢٨١)

ثم أصدر سيد كتابه (كتب وشخصيات) وهي مقالات نقدية نشرها سيد في المجلات، نقد فيها كتبا لأدباء وباحثين، "حيث تناول فيه أكثر من ثلاثين أديبا وبعض ما قدموا في عالم الشعر والقصة والرواية والنفس والبحوث والتراجم والتاريخ"٠ (بركات، ١٩٨٠ :١٣٤)٠ أما علاقته بالنقد " فقد أصدر سيد كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" في شهر يونيو ــ حزيران ــ عام ١٩٤٨م٠ (حمودة، ١٩٨٧ : ١١١)، وقد أهداه سيد لروح الإمام عبد القاهر الجرجاني العالم اللُّغوي والبلاغي صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ٠ (قطب، ب٠ ت : ٣)

وفي ختام هذا الباب هذه أبيات من قصيدة "فلسطين الدامية" التي عبر بها الشاعر عن أحاسيسه الصادقة نحو فلسطين المُتآمر عليها وشعبها المجاهد المنكوب، فانبرى الشاب يحيي بقصيدته جهاد المجاهدين، وينعي على الدخلاء تآمرهم وغدرهم بالشعوب المغلوبة والأوطان السليبة، فيقول: (قطب،١٤٠٩: ٢٧٩)

عهد على الأيام ألا تهزموا ... النصر يَنبُت حيث يرويه الدم

في حيث تعتبط الدماء فأيقنوا ... أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا

وهو الجهـــاد حميـــةٌ جيـــاشة ماأن تخاف من الردى أو تحـــجم
إن الخـــلود لمن يطيق مُيسّـــر فليمضِ طلاب الخلود و يقدمـــوا

وفي قصيدة أخرى يخاطب سيد كل أخ له في الدعوة، وكل رفيق فـــي درب الإيمـــان وميـــدان الجهاد والاستشهاد: (قطب، ١٩٨٨ : ٢٩١، ٢٩٢)

أخـــي أنـــت حـــــــــــرٌ وراء الـــسدود .. أخـــي أنـــت حـــــــر بتلـــك القيـــود
إذا كنـــــت بـــــالله مستعـــــصما .. فمـــــاذا يـــــضيرك كيـــــد العـــــــبيد
أخي قـــد أصابك ســـهم ذليـــل .. و غـــدرا رمـــــاك ذراع .. كليـــل
ســـــتُبترُ يومـــــا فـــــصبر جميـــــل .. و لـــــم يـــــدْم بعـــــدُ عـــــرينُ الأســـــود
أخـــي هـــل تُـــراك ســـئمت الكفـــاح؟ .. وألقيـــت عـــن كاهليـــك الـــسلاح؟
فمـــن للـــضحايا يواســـي الجـــراح؟ .. يرفـــع راياتهـــا مـــن جديـــد؟
أخـــي إننـــي مـــا ســـئمت الكفـــاح .. ولا أنـــا ألقيـــت عنـــي الـــسلاح
وإن طـــوقتني جيـــوشُ الظـــــــلام .. فـــإني علـــى ثقـــة ... بالـــصباح
فـــإن أنـــا مـــت فـــإني شـــهيد .. وأنـــت ستمـــضي بنـــصر جديـــد
ســـأثأر .. لكـــــن لـــربٍ و ديـــن .. وأمـــضي علـــى ســـنتي فـــي يقـــين
فإما إلى النصـــــــر فـــــوق الأنام .. وإما إلى الله في الخـــــــــالدين

ثالثا: المفكّر الإسلامي الرائد

ومن خلال نظرة الباحث إلى عطاء سيد قطب الفكري، وجده ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **الإسلاميات الفنية:** وهي التي كتبها بقصد التدبر الفني والتذوق الجمالي ٠ ٠ ٠ وقد شملت: "التصوير الفني في القرآن" و "مشاهد القيامة في القرآن" ٠ (العظم، ١٩٨٠ : ١٤٩)

"وقد بدأ مقاله التصوير الفني في القرآن الكريم بيّن فيه أن المفسرين للقرآن لم يدرســوه مــن الناحية الفنية دراسة مستقلة حقيقية، وأعلن أنه لابد من دراسة أدبية فنية، نقدية بيانيـــة للقـــرآن تكشف عما حوى من الجمال التصويري، وتشرح خصائصه الفنية، ولوازم أســلوبه، وحيويـــة تعبيره، وروحانية اتجاهه "٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٢٦٩)

ويعبّر (قطب) عن ذلك بقوله: "ولكنهم شغلوا أنفسهم" بمباحث عقيمة حول اللفظ والمعنى أيهما تكمل فيه البلاغة، ومنهم من غلبت عليه روح القواعد البلاغية، فأفسد الجمال الكلي المنسق، أو انصرف عنه إلى التقسيم والتبويب، ووصلوا في بعض الأحيان، إلى درجة مـــن الإســـفاف لا تطاق" ٠(قطب، ١٩٨٦ : ٢٣)

٢- الإسلاميات الفكرية العامة: "بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٤٧م ــ وهو العام الذي طبع فيه "مشاهد القيامة في القرآن"، ــ وانتهت هذه المرحلة عام ١٩٥٣م ــ وهو العام الذي انضم فيه إلى جماعة الإخوان المسلمين رسميا ــ"٠ (الخالدي، ١٩٩١ :٢٧٣)

وهي مرحلة كتاباته "التي كتبها بقصد الحث على تدبر ما ورد في الإسلام من فكر عميق ومعان نبيلة، وبها يستثير الهمم ويحرك موات الأنفس: أن عودوا إلى هذا الدين العظيم الذي يغنينا عن استيراد الفكر من الشرق أوالغرب، ويثرينا بكل مانريد لأنفسنا من خلاص وما نرجوه لأمتنا من أسباب المنعة والنصر، وقد كتب عطاء هذه المرحلة بلغة أقرب إلى الحديث النفسي أو الخطاب الحماسي، فهو يهمس بهذا ويثور في ذلك، ولكنه في الحالين يتحدث بعاطفة نبيلة وغيرة متقدة مشبوبة تستعجل القوم أن ينتبهوا قبل أن يفوت الأوان، وأشهر كتب هذه المرحلة: العدالة الاجتماعية في الإسلام، ومعركة الإسلام والرأسمالية، والسلام العالمي والإسلام"٠ (العظم، ١٩٨٠ : ١٤٩)

٣ – الإسلاميات الحركية الهادفة: وهي التي كتبها بعد دراسة ومعاناة، لتكون منهاجا لعمل حركي منظم، وخطة لجماعة تلتزم بالإسلام وتتميز به بين الناس، حتى تكون نواة العمل المنظم وطلائع الفداء والتضحيات لإقامة حكم إسلامي عادل وتطبيق شرع الله في الأرض ٠

ويتمثل عطاء هذه المرحلة في كتبه: هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته، والإسلام ومشكلات الحضارة، وأخيرا، في ظلال القرآن، ومعالم في الطريق٠ (العظم،١٩٨٠ :١٥٠)

"وكان كتابه الشهير "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وبه تحوّل سيد من كاتب، إلى مفكر إسلامي، وبه عاش مرحلة "الإسلاميات الفكرية العامة"، وبه بدأ سيره الحثيث نحو الفكر الإسلامي الذي أصبح رائدا له، وقد أحدث ضجّة ــ فور صدوره ــ في مختلف الأوساط:

١- فالأوساط الشيوعية حاربته، واعتبرت صاحبه من ألد أعدائها، لأنه يفتح عيون المظلومين على باب آخر، غير الباب الذي يدعونهم إليه٠

٢- والأوساط الغربية الراصدة لاتجاهات الإصلاح في المجتمع، حاربته واعتبرت صاحبه صاحب دعوة إسلامية، والإسلام ودعاته أعداء لهم٠

٣- والأوساط الحكومية الرسمية، اعتبرت الكتاب، وتوجّه سيد الجديد، انتصارا لفكر ودعوة خصومها "الإخوان المسلمين"، الذين كانوا ــ وقت إصدار الكتاب ــ في السجون والمعتقلات، جزاء لهم على قتال اليهود في فلسطين!!، ولذلك حاربت هذه الأوساط الكتاب ٠

٤- لكن الأوساط الإسلامية ــ وبخاصة شباب الإخوان المسلمين ـــ فرحوا بالكتاب، وأُعجبوا به، واعتبروه إضافة جديدة في الدعوة الإسلامية، واعتبروا توجّه سيد الفكري الإسلامي كسبا للدعاة إلى الله، واعتبروه قريبا جدا من الإخوان المسلمين، واعتبره بعضهم في طريقه إلى الإخوان، إن لم يعتبره بعضهم من الإخوان فعلا! وأقبل شباب الإخوان على الكتاب، يدرسونه ويتفاعلون معه" ٠ (الخالدي، ١٩٩١: ٢٧٤، ٢٧٥)

واختار سيد قطب اسما جديدا هو: "العدالة الاجتماعية" الذي ابتكره سيد، مخالفا بذلك مصطلحي الرأسمالية والاشتراكية اللذين كانا سائدين في ذلك الوقت ٠

وقد أصدر الكتاب وفي مقدمته قال: "إلى الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين يردون هذا الدين جديدا كما بدأ٠٠يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون ٠٠ مؤمنين في قرارة أنفسهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين٠٠إلى أولئك الفتية الذين لاأشك لحظة أن روح الإسلام القوية ستبعثهم من ماضي الأجيال إلى مقبل الأجيال في يوم قريب جد قريب"، ففهم الذين اطَّلعوا عليها أن الكاتب يقصد بذلك شباب الإخوان المسلمين ٠ (العظم، ١٩٨٠: ١٥٤ ، ١٥٥)

رابعا: المفسر المُلهَم

قبل الحديث عن سيد المفسر الملهم للقرآن الكريم، لا بد من الإشارة إلى البواعث التي حركت فيه الرغبة ووجهته هذه الوجهة؛ ليكون من أعلامها وأصحاب الرأي الواعي والعميق فيها ٠

"ولقد دخل سيد قطب عالم القرآن أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يعيش مع آيات ويخرج بشيء جديد، **كانت المرة الأولى:** وهو يضع أول لبنة في دراساته القرآنية حين ألف كتاب "التصوير الفني في القرآن" الذي يعتبر بحق حجر الأساس في مكتبة القرآن التي وعد بها وحاول تقديمها للمكتبة العربية الإسلامية، **والثانية:** وهو يعد بمكتبة قرآنية كاملة كما أشرنا ليثبت صحة نظريته ودقة رأيه وصواب حكمه بأن طريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير، **والثالثة:** وهو يكتب "مشاهد القيامة في القرآن" ويقول في هذا الكتاب: "والقرآن هذا الكلام المعجز الجميل، هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الإطلاق، فلا أقل من أن يعاد عرضه، وأن ترد إليه جدته، وأن يستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضا" ، وكأنه قد اختط لنفسه خطة يكتب وفقها من القرآن، وعن القرآن !، **والرابعة:** وهو يعلن في ختام بيانه في "مشاهد القيامة في القرآن" حيث يقول: "وبعد: فإني لأرجو أن أكون وفقت في هدفي القريب من هذا الكتاب، كما أتمنى أن أوفق في الهدف البعيد الذي أرجوه من لواحقه: ذلك الهدف البعيد هو إعادة عرض القرآن، واستحياء الجمال الفني الخالص فيه، واستنقاذه من ركام التأويل والتعقيد، **والخامسة:** وهو يتحدث في مقدمة تفسيره "في

ظلال القرآن"، بأن هذا العنوان لم يتكلفه بل حقيقة عاشها في الحياة بكل كيانه"٠ (العظم، ١٩٨٠، : ٢٤٦، ٢٤٧)

وإذا كان كتاب "التصوير الفني في القرآن" بيانا للمفتاح الجمالي، الذي فتح به سيد كنوز القرآن الجمالية، فإن الطبعة الجديدة المنقحة من الظلال هي "المفتاح الحركي" الذي فتح به سيد كنوز القرآن الحركية المذخورة فيه ٠

ويعتبر سيد "مجددا" في عالم التفسير لما أضافه من معانٍ وأفكار حركية وتربوية على التفاسير السابقة ٠ (الخالدي،١٩٩١ :٥٤٧)

قال عنه الأستاذ محمد قطب: "الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، وعاشه لحظة بلحظة، وفكرة بفكرة، ولفظة بلفظة، وأودعه خلاصة تجربته في عالم الإيمان" ٠ (قطب، ١٩٨٦ :٩)، ولقد أورد (العظم) تجربة سيد مع الظلال بقوله: "عنوان لم أتكفله، فهو حقيقة عشتها في الحياة .. فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل القرآن فترة، أستروح فيها مالا أستروحه في ظل سواه، فترة تصلني بالسماء، وتفتح لي فيها نوافذ مضيئة وكوى مشعة، وهي في الوقت ذاته تثبت قدمي في الأرض، وتشعرني أنني أقف علي أرض صلبة، لاتدنسها الأحوال، ولا تزل فيها الأقدام"٠(العظم، ١٩٧٩ :٢٤٧)

وقد ذكر (الخالدي) أبرز الأهداف التربوية لتفسير الظلال والمتمثلة في الآتي:

١- تزويد المسلم المعاصر بدليل عملي مكتوب، لسمات الشخصية الإسلامية المنشودة ولذلك كان يركز ــ عند تفسيره للآيات ــ على الجانب العملي لمعناها، والإيحاءات الحية التي تقود العاملين في طريق الدعوة والإصلاح، ولهذا نراه يركز كثيرا على بيان طبيعة الإيمان وحقيقته وقيمته ومقوماته في الحياة الإنسانية، وآثاره في النفس والسلوك والحياة على مستوى الفرد والمجتمع ٠

٢- بيان ملامح وسمات المجتمع الإسلامي، الذي ينشئه القرآن الكريم والتعريف بالأسس القويمة، التي يقوم عليها ورسم الطريق الحركي الجهادي لإنشائه وذلك من منطلق أن الجماعة ضرورية لتربية الأفراد تربية قرآنية ناجحة٠

٣- بيان معالم الطريق التي تسلكه الجماعة المسلمة إلى ربها ورسم سماته وتحديد مراحله والتحذير من الفتن والمغريات والمعوقات فيه ٠(الخالدي، ١٩٨٦: ٨٢)

ومن خلال استقراء تفسير الظلال، يتضح أن سيد قطب قد عالجَ قضايا تربوية عديدة لعل من أبرزها، التصوّر الإسلامي عن الإنسان والكون والحياة، وخصائص المنهج الإسلامي في التربية، والطبيعة الإنسانية، والقيم، والتغير الاجتماعي والثقافي، والأسرة المسلمة كوسيط

تربوي، وتربية الجماعة المسلمة، ونظرة الإسلام إلي المعرفة والعلم، وجوانب أساسية في تربية الشخصية المسلمة، والتربية العقائدية والأخلاقية والجهادية والاجتماعية٠(أبو دف، ٢٠٠٢ :٥٦) وتُرجم الظلال إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل اللغة الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية والأندونيسية وغيرها من اللغات٠ (الخالدي، ١٩٩١: ٥٤٩)

خامسا: أهم التهم الموجَّهة إليه

لكل مفكر أسلوبه الخاص يه، ولكل قارئ فهمه الخاص به أيضا، وقد يحمل النص الواحد أكثر من دلالة؛ فيفهمه البعض بشكل مخالف لفهم الآخرين، وكل حسب فهمه، صحيحا كان أم سقيما، كما يقول المتنبي:(المتنبي، ب.ت،ج١: ٤٨٨)

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

وكما يقول أيضا:(المتنبي، ب.ت،ج١: ٣٢٤)

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

وقد وُجهت إلى سيد قطب تهم مختلفة، قد تكون بقصد الإساءة إليه، وقد تكون بهدف الوصول إلى فهم فكره، وتكاد تكون آراء الشهيد بين منّزه لها ومتجنّ ناقم عليها، وأهم هذه التهم هي تهمة تكفيره للمجتمعات الإسلامية والحكام والأفراد فيها، ولتوضيح الأمر للقارئ سيعرض الباحث بعض الأدلة التي استند عليها سيد قطب ٠

يرى البعض أن الرجل قد كفّر المسلمين كافّة، إذا لم يعملوا في صف الجماعة التي ينتمي إليها والحركة التي يعمل للإسلام من خلالها، وأنه عدّ المجتمعات المعاصرة في ديار الإسلام مجتمعات جاهلية أفرادا وحكاما وأنظمة، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فلقد كان سيد قطب رحمه الله في كلامه عن الإيمان والكفر والتوحيد والشرك والتحاكم والطاعة ــ يريد أن يبين للمسلمين المعاصرين طريق الدعوة، ومعاني الشرك، وحقيقة الإسلام والشرك، وطريق المسلمين والمشركين، وما يترتب على هذه الطريق وتلك، ثم يدعو هؤلاء المسلمين أن يختاروا ما يريدون بعد هذا البيان، وعليهم أن يتحملوا نتيجة هذا الاختيار !!، وذلك امتثالا لقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}**٠(الأنعام :٥٥)(العظم،١٩٨٠:٢٨٥)

ويروي (خفاجي) أنه أَرسلَ رسالة لسيد مع أحد الإخوان وهم في السجن، وذلك بعد أن تبنت مجموعة من الإخوان فكرة التكفير لأفراد المجتمع نتيجة التعذيب الشديد والموقف اللامبالي للمجتمع، فبعث إليه بتفاصيل تفكير وسلوك هؤلاء الإخوة، فأرسل لهم سيد منكراً عليهم ذلك، وفي المرة الثانية قال غاضبا: "لقد وضعت حملي على حصان أعرج"٠(خفاجي،١٩٧٩: ٥٥٨)

ولقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة إزاء تصفية الحركة الإسلامية جسديا سنة ١٩٥٤م، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلا وهي تكبر وتهتف، ما بالها الآن بكماء عمياء صماء؟، بل إن قسما ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم ! ٠

لقد وقف طويلا أمام هذه الظاهرة وأخيرا وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله)٠(عزام، ب٠ت:٤٥)

ويتناول سيد المسلم (المُتَّهم بالتكفير) في تفسيره لقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}**(الأنعام :٥٥)، فيقول: "ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم ليست من هذا، إنها أي ــ المشقة ــ تتمثل في وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين، في أوطان كانت في يوم من الأيام دارا للإسلام، يسيطر عليها دين الله، تهجر الإسلام حقيقة، وتعلنه اسما، وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام اعتقادا وواقعا، وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقادا"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٢: ١١٠٦)

ويورد (العظم) الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الجهل ويقسّمها إلى أقسام تتناول معاني مختلفة منها: جهل الحقيقة الكبرى لوجود خالق الكون، ومنها بمعنى سوء السلوك، أما الجاهلية من نفس المادة فقد وردت في أربعة مواضع، ومنها قوله تعالى: **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}٠**(المائدة:٥٠)

ويعلّق عليها (ابن كثير) بقوله: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بَنِيه شرعاً متبعا يقدِّمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"٠(ابن كثير، ١٩٨٠، ج٢ :٦٨)

وللتعرف أكثر على رأي سيد قطب في التكفير للحاكمين والمحكومين سنبدأ أولا بالمحكومين:

فالمحكومين لا يعتبرون كفارا إلا إذا أرادوا أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله، **ورضُوا وقبلوا** حكم غير الله، وعلّق (قطب) على قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا**

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً}(النساء:٦٠)، معتبراً إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجا من الإيمان، بل وعدم الدخول فيه ابتداء، فيقول: "نحن نجد في هذه المجموعة من الآيات، تحديدا كاملا دقيقا حاسما لشرط الإيمان وحدّ الإسلام، ونجد شهادة من الله بعدم إيمان الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، كما نجد قسما من الله سبحانه – بذاته العلية – أنهم لا يدخلون في الإيمان؛ ولا يحسبون مؤمنين حتى يحكموا الرسول ﷺ في أقضيتهم، ثم يطيعوا حكمه، وينفذوا قضاءه . طاعة الرضى، وتنفيذ الارتياح القلبي؛ الذي هو التسليم، لا عجزا واضطرارا، ولكن طمأنينة وارتضاء" (قطب، ١٩٨٦، ج١: ٦٩٣)، وكذلك في قوله تعالى: **{وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ}**(المائدة:٤٣)، وكذلك قوله تعالى: **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}**(النساء:٦٥)، وهذا بالنسبة للجماهير التي **تقبل وترضى**، وأما الجماهير التي تُحكم بغير ما أنزل الله فلا تعتبر راضية، ومن ثم كافرة لمجرد أن الأنظمة والتشريعات غير الإسلامية تطبّق عليها، رغم أنها قد تسكت عن ذلك خوفا ورهبا، وهي آثمة لسكوتها لكن الإثم شيء والكفر شيء آخر ٠(الخالدي، ١٩٨٦ :٢١٥)، ويبين (قطب): "الإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع فضلا على أن يروا دين الله لا يتبع، بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها! وهم ساكتون، ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٤٩٦)

ويبين (البهنساوي) أنه: "لا يخفى على أحد أنه لا ينسب لساكت قول، فالإسلام لم يجعل السكوت رضا إلا في حالة البنت البكر عند زواجها، وما عدا ذلك لا يقام الحكم فيه إلا بمقتضى قول أو فعل"٠(البهنساوي،١٩٧٧: ١٣٩)

أما عن الحاكمين: فكلام سيد صريح في تكفيرهم، ويعلق سيد على قوله تعالى: **{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}**(المائدة:٤٤)، فيقول: "بهذا الحسم الصارم الجازم، وبهذا التعميم الذي تحمله مَن الشرطية وجملة الجواب، بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان، وينطلق حكما عاما، على كل من لم يحكم بما أنزل الله، في أي جيل، ومن أي قبيل، والعلة هي التي أسلفنا . . هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله، إنما يرفض ألوهية الله، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية، ومن يحكم بغير ما أنزل الله، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب، ويدَّعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر . . وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان، والعمل –

وهو أقوى تعبيرا من الكلام – ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟!"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :٨٩٨)، ومن ثم يجزم قطب في كلمات قليلة حكمه على الحكام والمحكومين بقوله: "إما إسلام وإما جاهلية، إما إيمان وإما كفر، إما حكم الله وإما حكم الجاهلية، والذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون، والذين لا يقبلون حكم الله من المحكومين ما هم بمؤمنين" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :٩٠٥)

ويؤكد (قطب) صفة الشرك لمن يطيع الشياطين بإنسهم أوجنِّهم من خلال تفسيره لقوله تعالى: **{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**(الأنعام :١٢١)،فيرى اتباعا لنص الآية وفهم علماء السلف ــ أن طاعة الشياطين ــ من الإنس والجن ــ والتحاكم إليهم واتباعهم، شرك وخروج عن الإسلام، مستشهدا بقول أئمة التفسير من علماء الأمة، فيقول: "إن النص القرآني لقاطع في أن طاعة المسلم لأحد من البشر في جزئية من جزئيات التشريع التي لا تستمد من شريعة الله، ولا تعتمد على الاعتراف له وحده بالحاكمية، إن طاعة المسلم في هذه الجزئية تخرجه من الإسلام لله، إلى الشرك بالله، وفي هذا يقول ابن كثير: "وقوله تعالى: **{وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}**، أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه، إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** . . . الآية، وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال: بلى! إنهم أحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم([٢])، وكذلك روى ابن كثير عن السدي في قوله تعالى: **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** . . . الآية قوله: "استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ ولهذا قال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا"٠(الترمذي، ب٠ت، ج٥ : ٢٧٨)(قطب، ١٩٨٦،ج٣ : ١١٩٧)

وكان الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود يرى هذا الرأي، فقد أورد الطبري: "عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة، فقال من السحت، قال فقالا: "أفي الحكم ؟ قال ذاك الكفر! ثم تلا هذه الآية: **{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَـافِرُونَ}**٠(المائدة:)(الطبري، ١٩٨٤، ج٦: ٢٥٧)

وقد أيد ذلك (الأشقر) بقوله: "أما هؤلاء الذين جاؤونا بالقوانين الكافرة، وطبقوها على الشعوب الإسلامية بقوة الحديد والنار، وحاربوا وعذبوا كل من نادى بتطبيق الإسلام، فهؤلاء ليسوا من الإسلام في شيء٠٠٠"٠(الأشقر، ١٩٩٣: ٢٥ –٣٦)

---

[٢]- **وذلك تعليقا على قول عدي بن حاتم على تلاوة الرسول ﷺ للآية القرآنية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون}٠ (التوبة: ٣١)**

ويقرر (الهضيبي) أن: " الحاكم على غير الأمر، بمعنى المُعطي صفة شرعية للشيء أو الفعل على خلاف أمر الله، فهو بالإجماع مستجيز أمر الله، جاحد للنص المعلوم له، كافر مشرك". (الهضيبي، ١٩٧٧: ٢٠٧، ٢٠٨)

ويتحدث (قطب) عن أصحاب الشعارات الجديدة أو "الياسق([٣]) الجديد"، من علمانية، وقومية، ووطنية وغيرها من الشعارات وما تمثله من سلطة صنمية كسلطة الأصنام في الجاهلية، فيقول: "فإذا رفعت في أي أرض وفي أي وقت شعارات ينطق باسمها الحكام والكهان، ويقررون باسمها ما لم يأذن به الله من الشرائع والقوانين والقيم والموازين والتصرفات والأعمال . . . فهذه هي الأصنام في طبيعتها وحقيقتها ووظيفتها !، إذا رفعت "القومية" شعارا ، أو رفع "الوطن" شعارا، أو رفع "الشعب" شعارا، أو رفعت "الطبقة" شعارا ... ثم أُريد الناس على عبادة هذه الشعارات من دون الله، وعلى التضحية لها بالنفوس والأموال والأخلاق والأعراض، بحيث كلما تعارضت شريعة الله وقوانينه وتوجيهاته وتعليماته مع مطالب تلك الشعارات ومقتضياتها، نحيت شريعة الله وقوانينه وتوجيهاته وتعاليمه، ونفذت إرادة تلك الشعارات – أو بالتعبير الصحيح الدقيق: إرادة الطواغيت الواقفة وراء هذه الشعارات – كانت هذه هي عبادة الأصنام من دون الله، فالصنم ليس من الضروري أن يتمثل في حجر أو خشبة، ولقد يكون الصنم مذهبا أو شعارا!، إن الإسلام لم يجيء لمجرد تحطيم الأصنام الحجرية والخشبية!، ولم تبذل فيه تلك الجهود الموصولة، من موكب الرسل الموصول، ولم تقدم من أجله تلك التضحيات الجسام وتلك العذابات والآلام، لمجرد تحطيم الأصنام من الأحجار والأخشاب!، إنما جاء الإسلام ليقيم مفرق الطريق بين الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن، وبين الدينونة لغيره في كل هيئة وفي كل صورة . . ولا بد من تتبع الهيئات والصور في كل وضع وفي كل وقت لإدراك طبيعة الأنظمة والمناهج القائمة، وتقرير ما إذا كانت توحيدا أم شركا؟ ... والذين يظنون أنفسهم في "دين الله" لأنهم يقولون بأفواههم "نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، ويدينون لله فعلا في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث، بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيق لغير الله؛ ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله – وكثرتها مما يخالف مخالفة صريحة شريعة الله – ثم هم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم– أرادوا أم لم يريدوا– ليحققوا ما تتطلبه منهم الأصنام الجديدة، فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأصنام، نبذت أوامر الله فيها ونفذت مطالب هذه الأصنام ... الذين يظنون أنفسهم "مسلمين" وفي "دين الله" وهذا حالهم، عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم!!!". (قطب، ١٩٨٦

---

[٣]- سبق تعريفه ص٢٥ .

،ج٤: ٢١١٥)، والحقيقة التي يراها الباحث أن هذه الأصنام التى يعبدها الناس بوعي وبغير وعي، هي كما قال الشاعر عمر أبي ريشة:

أمَّتي كم صنمٍ مجّدته .. لم يكن يحملُ طُهر الصنم..؟

ويذكر (الصاوي) تعليقا لآل الشيخ يبين فيه أنه: من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين علي قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ٠

ثم أخذ يعدد أنواع الحكم بغير ما أنزل الله التي تخرج من الملّة فقال: من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله: إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أوغير ذلك من مذاهب الكفار وأي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة؟، وذكر كلاما للفقي يعلق فيه على كتاب (فتح المجيد) لآل الشيخ، وموضحا تفسير ابن كثير لقوله تعالى: **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** (المائدة :٥٠)، فيقول: "ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها"٠ (الصاوي، ب٠ت : ٧٢، ٧٣)

والصفات التي تجعل من اتصفوا بها مشركين عند قطب يحددها الخالدي في أربع صفات:

١- يدينون لغير الله في مناهج حياتهم في الشرائع والقوانين٠

٢- يخضعون ــ **راضين** ــ لشرائع بشرية تخالف مخالفة صريحة شرع الله٠

٣- يبذلون ما يملكون للأصنام الجديدة المعنوية٠

٤- إذا تعارضت مطالب الأصنام المعنوية مع دين الله، نبذوا أوامر الله، وقدموا مطالب الأصنام !، فهل يشك أحد في شرك طائفة من الناس عندما تتوفر فيها هذه الصفات الأربعة وتجتمع فيها؟٠ (الخالدي، ١٩٨٦: ٢١٠، ٢١١)

ويرى الباحث أن بعضا ممن ينتمون للإسلام اسما، ينطبق عليهم ما ذكره قطب، ولقد استوقفتني آيتان من كتاب الله كنت أتلوهما، ولكنهما أثارتا انتباهي أخيرا، حيث يقول تعالى: **{وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}**(يوسف : ١٠٦)، بعد قوله تعالى: **{وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}** (يوسف: ١٠٣)، ويفسر مجاهد الآية الثانية من السورة بقوله: "إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"٠(الطبري، ١٩٨٤،ج١٣: ٧٨)، ثم يذكر الله بعد ذلك الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم للتمييز بين الشرك والإخلاص في الاعتقاد والعبادة في

قوله تعالى: **{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّـهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**(يوسف: ١٠٨)، وهذا مصداقا لفهم سيد قطب للشرك ٠

سادسا: جهوده في الدعوة ومحنته

بدأ سيد حياته السياسية مع حزب الوفد، والسبب في انتمائه لهذا الحزب هو إقامته عند خاله "أحمد حسين عثمان" الذي كان وفديا، ثم تعرّف سيد على العقاد، وأعجب به وبمكتبته، والعقاد كان وفديا، واستمر انتماؤه لحزب الوفد مدة دراسته الجامعية في دار العلوم، وقد فتحت المجلات والدوريات الوفدية صفحاتها أمامه، وصار ينشر فيها نتاجه الأدبي والسياسي حتى العام ١٩٤٣م عندما أنذر السفير البريطاني الملك "فاروق" وطلب منه إقالة رئيس الوزراء، وأمره بأن يعهد إلى "مصطفى النحاس" زعيم حزب الوفد بتشكيل وزارة جديدة خلال أربع وعشرين ساعة ٠

وهكذا وصل حزب الوفد إلى الحكم على ظهر الدبابات البريطانية؛ مما أسخط الناس عليه وجعله يخسر الكثيرين من مؤيديه، وكان سيد من أولئك الساخطين الناقمين، فتخلى عن الحزب، وانضم إلى حزب انشق عن الوفد يسمى "الطليعة الوفدية" أوحزب "السعديين" وبقي فيه سيد حتى عام ١٩٤٥م، وبعد ذلك تخلى عن الأحزاب كلها ٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٢٦٥، ٢٦٦)

وفي نهاية العام كتب سيد مقالا أعلن فيه الحرب على الأحزاب المصرية كلها، كما أعلن رفضه لتلك الأحزاب، وخروجه منها، وعدم انتمائه لأي منها فقال: "هذا القلم ليس لحزب من الأحزاب، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاما، بعد أن خلى الميدان من كل جبار"٠ (قطب،١٩٤٥ : ١٣٠٩)، ووصف سيد عقليات قادة الأحزاب بأنها عقليات أنصاف حلول، وبأنهم لا يصلحون لقيادة الجيل الجديد، فأعصابهم منهوكة، وقلوبهم خاوية من الإيمان الحار بشعبهم وأمتهم، كلهم نشأوا وفي نفوسهم أن إنجلترا دولة لا تقهر، وأن الفقر مرض مستوطن ٠٠٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٢٦٧)

لم يكن سيد ممن يتخلى عن الإصلاح والتغيير، رغم تركه للأحزاب كلها، فقد كانت له جهود فردية ملحوظة في الدعوة إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وكتب مقالاته في المجلات مثل "العهد" و"الثقافة" وغيرها، وكان منزله في"حلوان" ضاحية القاهرة الجنوبية منتدى سياسيا عاما، يقصده الشباب المتلهف على الإصلاح والتغيير، يستمع لآراء سيد وتحليلاته وتوجيهاته، واستمر سيد يعمل في الدعوة والإصلاح بمفرده، بدون انتماء إلى حزب أو جماعة من الجماعات، حتى عام ١٩٥٣م، عندما وجد ضالته في "جماعة الإخوان المسلمين" فانضم إليها، واستمر معها حتى لقي ربه ٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٢٦٧)، ويعتقد الباحث أن عمل سيد في وزارة المعارف مدرسا ثم موظفا في الوزارة حيث عمل في التفتيش، ثم في مراقبة

الثقافة، وعدم انقطاعه عن الكتابة في الصحف والمجلات، وخصوصا مجلتي الثقافة والرسالة ثم مجلة الفكر الجديد ومهاجمته – في شدة وعنف – الاستعمار، والاستبداد السياسي، والفساد الاجتماعي، والاهتراء الأدبي والنقدي،هو الذي دفع رجال الحكم والوزارة بطريقة مستساغة في ظاهرها، وهي إيفاده في بعثة إلي أمريكا لمدة عامين "لدراسة المناهج التعليمية"، وهي في الحقيقة للتخلص منه، لكن سيد فضح الحضارة الأمريكية الزائفة في "أمريكا التي رأيت"، أو "أمريكا من الداخل" ٠

ولقد قربت سيد من جماعة الإخوان المسلمين وهو في أمريكا حادثتان:

أولهما: اغتيال المرشد العام للإخوان المسلمين "الإمام حسن البنا" سنة ١٩٤٩م على يد الحكومة المصرية والقصر الملكي؛ لأنه عرف منها فضل حركة الإخوان ودورها، وأثرها على القوى المعادية للإسلام والمسلمين، فيقول سيد معلقا على ذلك:

"وقد قُتِلَ الشهيد حسن البنا، وأنا هناك في عام ١٩٤٩م، وقد لَفَتَ نظري بشدَّة ما أبدَتْه الصحف الأمريكية ــ وكذلك الإنجليزيةُ التي كانت تصل إلي أمريكا ــ من اهتمامٍ بالغٍ بالإِخوان، ومن شماتَة واضحة، في حل جماعتِهم وضربْهِا وفي قتل مرشدها" ٠(قطب، ب٠ ت : ١٠)

ويقول أيضا: "كنت في ١٣ شباط ١٩٤٩م مستلقيا على أحد أسرّة مستشفى في أمريكا فرأيت رقصا صاخبا وموسيقى وأنوارا ورأيت الابتسامات تعلو الوجوه، والفرح يغمر المستشفى فقلت: أيُّ عيد هذا الذي تحتفلون به؟ قالوا: اليوم قُتل عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا، قال: فهزتني هذه الكلمة من أعماقي"٠(عزام، ب٠ت : ٩)، وثانيهما: استدعاء مدير المخابرات البريطاني له في بيته، إذ كانت السفارات الغربية وأجهزتها الأمنية تتسابق في رمي شباكها لاصطياد الطلاب الشرقيين لخدمة مصالحها الاستعمارية، ولتسيير فلسفة الغرب وفكره في البلاد العربية والإسلامية، وكان مع مدير المخابرات نسخة من كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام" يترجمها إلى الإنجليزية، ومما قاله له مدير المخابرات: "إذا قدّر ونجحت حركة الإخوان في استلام حكم مصر فلن تتقدم مصر أبدا، وسيحولون بعقليتهم المتخلفة بين الحضارة الغربية، وستقف عقلياتهم المتحجرة دون تطور الشعب والأرض ، ثم قال: ونحن نأمل من الشباب المتعلمين أمثالك ألا يمكنوا هؤلاء من الوصول إلى سدة الحكم "، ويقول سيد: قلت في نفسي (الآن حصحص الحق)، وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها، فهذه أمريكا ترقص على جمجمة البنا، وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها – حتى داخل أمريكا – لمحاربة الإخوان، ويقول سيد: "**فصممت في قرارة نفسي أن أدخل الإخوان وأنا لم أخرج بعد من بيت مدير المخابرات البريطاني**"٠(عزّام، ب٠ت : ١٨، ١٩)

واستمرت هجمة السلطة الحاكمة وأعوانها على الجماعة وأبنائها بزجهم في السجون والمعتقلات وتعذيبهم وقتلهم، مما جعل سيد يتعاطف مع الجماعة و مصابها ٠

"وظل هذا الارتباط العاطفي لسيد وتأييده للإخوان وقربه من دعوتهم وهو في أمريكا، ولما عاد إلى مصر، انفتح عليهم وجرى بينه وبينهم اتصال وتزاور وتنسيق، صار يزداد يوما بعد يـــوم، وتوّج هذا الارتباط العاطفي بالارتباط الرسمي عام ١٩٥٣م، فصار أخا ملتزما بنظام الجماعـــة وتنظيمها"٠ (الخالدي، ١٩٩١ : ٣٢٢)

وكتب قطب سنة ١٩٥١، ١٩٥٢ في مجلة "الرسالة" الأسبوعية عن رؤيته لأمريكا "من الداخل" مجتمعا وحضارة، وسياسة، وخلقا، وكذلك جهود أمريكا وعملها الدائب "لتخليق إسلام جديـــد"، ونشره في دول العالم الثالث، وهو "إسلام" يتسع لخدمة مصالحها، وأهدافها الاستعمارية النفعية، وفي سبيل ذلك تجند إمكانات مادية ضخمة، مستعينة بمواليها، وأنصارها من عبّـــاد الـــدولار، وعلماء السلطان، والحاقدين علي الإسلام، ومما كتبه – رحمه الله – "والإســـلام الـــذي يريـــده الأمريكان، وحلفاؤهم في الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، ولـــيس هـــو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية، إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم، لأن الإسلام حين يحكم سينشّئ الشعوب نشأة أخـــري، وسيعلّم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن طرد المستعمر فريضة، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء، فكلاهما عدو، وكلاهما اعتداء..الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق الأوسط "إســـلاما أمريكانيا".. يجوز أن يستفتي في منع الحمل، ويجوز أن يستفتي في دخول المـــرأة البرلمـــان، ويجوز أن يستفتي في نواقض الوضوء، ولكنه لا يستفتي أبدا فـــي أوضـــاعنا الاجتماعيـــة أو الاقتصادية أو نظامنا المالي، ولا يستفتي أبدا في أوضاعنا السياسية والقومية "٠(قميحة، ٢٠٠٦: ٣)، ويرى الباحث أن هذه الصورة التي قدّمها سيد قطب "للإسلام الأمريكاني" من نصف قـــرن اعتمادا على رؤيته الميدانية الموضوعية "لأمريكا من الداخل" هي نفـــسها الـــصورة الوحيـــدة "المشروعة" للإسلام الذي تريده أمريكا للشعوب المسلمة حاليا، ويرى الباحث كذلك أن تغاضي أمريكا والغرب عن التيارات الدعوية الإسلامية على الأقل أودعمها، في مقابل هجمتها وحربها المسعورة على التيارات الدعوية الجهادية يفسر ذلك٠

ومما كتبه في مقاله "أمريكا التي رأيت": شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقـــاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك".

ويؤكد سيد انضمامه الفعلي لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٣م بقوله: "وكانت نتيجة هذه الظروف مجتمعة، انضمامي بالفعل سنة ١٩٥٣م إلى جماعة الإخوان المسلمين"٠(قطب،ب٠ ت : ١٧)

ومن العجيب انضمام سيد للإخوان في فترة حرجة جدا من مراحل الجماعة، حيث كانوا مقدمين على محنة خطيرة شديدة قاسية، وقد كان قبلها سيد مقربا من عبد الناصر ورجال الثورة، بل كان العقل المدبر والمخطط لها، ،وكان سيد على علم بالمؤامرات ضد الجماعة، مما يفسر لنا نفسية سيد الصادقة الجادة الجريئة الشجاعة، التي ترفض المتاجرة بالأفكار والمبادئ ٠

وفي ذلك يقول عزام: "وعاد من الولايات المتحدة عام ١٩٥٠ إلى مصر ليخوض معارك سياسية ضد طغيان فاروق، وفساد الأحزاب، وهيمنة المستعمر الإنكليزي، واستقطبت هذه الكتابات فيمن استقطبت ضباط انقلاب "٢٣ يوليو"، فأعجبوا بها، وتعرفوا على كاتبها، وقامت بينهم وبينه علاقات، وتم اختياره بعد نجاح الانقلاب مستشاراً لمجلس قيادة الثورة، ثم أميناً عاماً مساعداً لهيئة التحرير، وكان مرشحاً ليكون وزيراً للمعارف أو للإعلام لكنه رفض الوزارة والجاه عندما لمس سوء نوايا قادة الانقلاب، وأدرك بأنهم ليسوا جادين في تحكيم شرع الله، وارتاب رحمه الله في اتصالاتهم المشبوهة، ولم يجلس الأستاذ سيد في منزلة عندما رفض الوزارة والمغريات، وما كان لداعية مجاهد أن يفعل ذلك، وإنما انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في أحلك ظروفها وأشدها قساوة ... انضم إليها وهو يعلم بأنهم على أبواب محنه"٠ (عزام، ب٠ت :٢٥)

ومن أهم أعماله مع الإخوان هو إشرافه على جريدتهم "الإخوان المسلمين"، ورسائله الدعوية الشهرية، وزيارته لسوريا حيث ألقى فيها محاضرة استمرت ساعتين بدون كتاب ولا ورق، وقدم فيها من جوانب الجمال في التعبير القرآني ما أبهر الحضور، والتقى فيها مع قيادات الإخوان المسلمين هناك ٠

و"إذا كان حسن البنا يعدّ البذرة الصالحة للفكر الإسلامي المعاصر، فإن سيّد قطب يمثل الثمرة الناضجة لذلك الفكر المستنير"٠(الخالدي،١٩٨٦: ٨٢)

وكانت مدة عمل سيد مع الإخوان قصيرة قبل أن يدخل فيها السجن، ففي عام ١٩٥٤م أصدر عبد الناصر أمرا بحل الجماعة، بعد تدبيره لحادثة اغتيال فاشلة مفتعلة له، ونسب إليها العمل لتفريق الأمة، وتهديد الأمن والتعاون مع الإنجليز لقلب نظام الحكم ٠

وفي صبيحة اليوم التالي اعتقل قادة الإخوان ومنهم سيد قطب، ثم اعتقل الألوف من أبناء الحركة وزُج بهم في غياهب السجون ٠ (الخالدي،١٩٩١ : ٣٤٦،٣٤٧)

وسِيم المعتقلون أصنافا وألوانا من العذاب، وعلى رأسهم سيد الذي أظهر للمحكمة الصورية التي حكمت عليه آثار التعذيب على جسمه، وقال للقضاة بأنكم عملاء للمخابرات الامريكية، وأن لديه الوثائق على ذلك؛ مما أدى إلى رفع الجلسة ومن ثم الحكم عليه في محكمة سرية بخمسة عشر عاما، وقد كان الجلادون حريصين ألا يموت سيد قطب ليبقى معذبا فكانوا يربطونه بالكرسي ويقولون: "نحن نعلم أنك إذا عذبت ستموت، ونحن لا نريد أن تموت"٠(عزام، ب٠ت:١٤)

وسأله أحد إخوانه: لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك رقبتك؟ قال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرخص!٠ (الخالدي، ١٩٩٠: ٤٧٤)

وقد أورد (العظم) نماذج من آلات وآليات التعذيب في السجون ما تقشعر منها الأبدان٠ (العظم،١٩٨٠ : ٥٨ -٦٠)

وللتعرف على صلابته وقوة إرادته رغم نحافة جسده ومعاناته الشديدة من التعذيب بسبب عدم اعترافه على المرشد، سنذكر قوله لأخته عندما زارته في السجن: إن رأيت الوالد المرشد ــ حسن الهضيبي ــ فبلغيه عني السلام، وقولي له: لقد تحمّل سيد أقصى ما يحتمله بشر، حتى لا تُمسَّ بأدنى سوء ٠(الخالدي، ١٩٩٠: ٤٧٤)

واستغل سيد خلوته في السجن الانفرادي، وبدأ في تأليف الكتب وخاصة تفسيره "في ظلال القرآن"، وبعد تدهور حالته الصحية وإصابته بنزيف في الرئة نتيجة التعذيب، وإصابته بعدة أمراض؛ تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف، بعد شفاعة له من مفتي العراق الشيخ أمجد الزهاوي، وأفرج عنه عام ١٩٦٤م٠ (قطب، ب٠ ت : ٧٢-٧٤)

ويلخص (عزام) فترات اعتقال سيد قطب الثلاثة قبل إعدامه بقوله: "ودخل سيد السجن عام ١٩٥٤م مع عدد من قادة الإخوان المسلمين، ثم أفرج عنه وعنهم بعد قليل، ثم عاد إلى السجن في العام نفسه ١٩٥٤ بعد حادث المنشية حيث كان نصيبه مما سمي "محكمة الشعب" خمسة عشر عاماً من الأشغال الشاقة، وأفرج عنه في "مايو" من عام ١٩٦٤ بعد توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف،، ثم أعيد اعتقاله في "أغسطس" عام ١٩٦٥، وقدم لما أسموه "محاكمة"، وتم إعدامه في ٢٦ "أغسطس" من عام ١٩٦٦م رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى"٠ (عزام، ب٠ت : ٢٥)٠

ولم يستسلم الإخوان المسلمون لحل جماعتهم، بل اعتبروها موجودة في عالم الواقع، ولما أفرج عن بعض القياديين في الحركة، والتقوا بسيد بعد خروجه من السجن عام١٩٦٤م، طلبوا منه قيادة التنظيم الجديد للإخوان، فأوضح لهم سيد حالته الصحية التي لا تسمح بقيادة التنظيم، وطلب

منهم أن يقوموا بدور القيادة، وان تقتصر مهمته على التوجيهات التربوية والتعليمية والثقافية والسياسية العامة لهم، لتوعيتهم فقط ٠(الخالدي، ١٩٩١ : ٣٩٥)

وقد أعادت السلطة اعتقال قيادات وأعضاء الجماعة، وفي عام ١٩٦٥م، تم اعتقال سيد قطب وسيق إلى السجن الحربي إلى أن تم إعدامه، وفي السجن عاد سيد إلى تأليف الكتب وأعاد تنقيح "الظلال" وألف كتابه "معالم في الطريق"، ووضع الأفكار الرئيسة لكتابه "مقومات التصور الإسلامي" ٠

وعندما طُلب منه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: لن أعتذر عن العمل مع الله، وعندما طُلب منه كتابة كلمات يسترحم فيها عبد الناصر قال: إن إصبع السبابة الذي يشهد بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يُقِرّ به حكم طاغية، وقال ردا على ذلك الطلب (الاسترحام): لماذا أسترحم؟ إن سجنت بحق فأنا أقبل حكم الحق!، وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل!!! ٠ (الخالدي، ١٩٩٠: ٤٧٤)

"وعندما سيق الأستاذ سيد قطب إلى المشنقة .. كان يبتسم ابتسامةً عريضة نقلتها كاميرات وكالات الأنباء الأجنبية حتى أن الضابط المكلف بتنفيذ الحكم سأله، من هو الشهيد ؟! فرد عليه سيد قطب بثباتٍ وعزيمة: "هو من شهد أن شرع الله أغلى من حياته"، وقبل أن ينفذ الحكم، جاؤوه برجلٍ معمَّم من الأزاهرة المغمورين، فقال له "قل لا إله إلا الله "، فردّ عليه الشهيد ردَّه الراسخ: "وهل جئت هنا إلا من أجلها" !! وتم تنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب صاحب الظلال، ونفّذ فيه الحكم في فجر الاثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦"٠ (العودة، ٢٠٠٠ : ١٥)

ومما قيل عن إعدامه وابتسامته الواثقة من انتصاره ومنهجه:

يا شهيدا رفع الله به جبهة الحق على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا علما حاديا للركب رمزا للفدى
ما نسينا أنك قد علمتنا بسمة المؤمن في وجه الردى
غَالَكَ الحقد بليل حالك كنت فيه البدر يهدي للهدى
نسي الفجار في نشوتهم أن نور الحق لا لن يخمدا

وهكذا انتهت حياة الشهيد ليبقى خالدا في وجدان الملايين من المسلمين ٠

سابعا: انتاجه الأدبي والعلمي

للشهيد سيد قطب العديد من الكتب في كافة المجالات، فقد كان سيد رحمه الله موسوعيا في قراءاته وكتاباته، فمنها القصص، والدواوين الشعرية، والثقافية، والأدبية، والدينية، والنقدية، ومنها المطبوع وغير المطبوع، وذكر الخالدي بأن مؤلفات سيد قطب المطبوعة هي ستة وعشرون مؤلفا:

أ- كتب اللغة والأدب والنقد:

١ – مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد) (مطبوع) ٠

٢ – النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، (نقد) (مطبوع) ٠

٣ – نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد)(مطبوع) ٠

٤ – كتب وشخصيات (نقد) (مطبوع) ٠

٥- الجديد في اللغة العربية (أدب) (مطبوع) ٠

٦ – الجديد في المحفوظات (أدب) (مطبوع) ٠

٧ – الشاطئ المجهول (شعر) (مطبوع) ٠

٨ – لحن الكفاح (شعر) (غير مطبوع) ٠

٩- لحن الكفاح (شعر) (غير مطبوع) ٠

١٠- أفراح الروح (خواطر)(غير مطبوع)٠

ب- القصص:

١- روضة الطفل (قصص للأطفال بالاشتراك) (مطبوع) ٠

٢- أشواك (قصة) (مطبوع) ٠

٣- المدينة المسحورة (قصة) (مطبوع) ٠

٤- الأطياف الأربعة (بالاشتراك مع إخوته) (مطبوع) ٠

٥- القصص الديني للأطفال (بالاشتراك مع عبد الحميد جودة السحار) (مطبوع) ٠

٦- طفل من القرية. (صور وصفية)(مطبوع) ٠

ج- كتب الفكرالإسلامي:

١ – في ظلال القرآن (تفسير) (مطبوع) ٠

٢ – معركة الإسلام والرأسمالية (فكر) (مطبوع) ٠

٣ – السلام العالمي والإسلام (فكر) (مطبوع) ٠

٤ – العدالة الاجتماعية في الإسلام (فكر) (مطبوع)

٥ – دراسات إسلامية (فكر) (مطبوع) ٠
٦ – هذا الدين (فكر) (مطبوع) ٠
٧ – المستقبل لهذا الدين (فكر) (مطبوع) ٠
٨– خصائص التصور الإسلامي (فكر) (مطبوع) ٠
٩ – الإسلام ومشكلات الحضارة (فكر) (مطبوع) ٠
١٠ – معالم في الطريق (فكر) (مطبوع) ٠
١١ – مقومات التصور الإسلامي (فكر) (مطبوع) ٠
١٢– نحو مجتمع إسلامي (فكر) (غير مطبوع) ٠
١٣ – في التاريخ: فكرة ومنهاج (فكر) (غير مطبوع) ٠
١٤ – معركتنا مع اليهود (فكر) (غير مطبوع) ٠
١٥ – أمريكا التي رأيت (فكر) (غير مطبوع)٠
١٦– التصوير الفني في القرآن (نقد)(مطبوع) ٠
١٧– مشاهد القيامة في القرآن (نقد) (مطبوع) ٠

الفصل الثالث

مقومّات الشّخصية الإسلاميّة

مقدمة:

ما أشبه الشخصيةَ الإسلاميةَ بالبناءِ الشامخ الذي يُبنى على أسسٍ وقواعدَ متينة، ولكلِ أمةٍ منهجُها في إعداد أفرادها وسلوكِ طريقِ أمةٍ أو طائفة، فمن يسلكْ طريقَ روما لا يصل إلى مكَّةَ المكرمة ٠

وكانت هذه المقوماتُ واضحةَ المعالمِ في عصر النبوة وما بعده، نتيجةَ التمسكِ الشديدِ بالقيم الإسلامية وصعوبةِ المواصلات؛ مما أدى إلى الحِفاظ على تلك المقوماتِ صافيةً من الشوائب٠

واليومَ ونحن في عصرِ العولمةِ والقرْية الإلكترونية انهارت الحدودُ بين الأقطار والقوميات والثقافات، ووَهَنت روابطُ الدم، مما أدى إلى أزمة الهوِية والجنسية والثقافة٠

ونزعت شعوب أوروبا وأمريكا عن الجنسيات فيها قيود السفر والعمل والإقامة، وأحالتها إلى مجرد أدوات للتعارف تماما كما يوجه القرآن الكريم: **{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** (الحجرات :١٣)، بينما يستمر فقهاء الملوك والرؤساء في بلادنا بالإسهام في تعزيز سجون الجنسيات العصبية الجاهلية وقيودها من وطنية وقومية فرقت كلمة الأمة ومزقت شملها٠

واليوم فإن الأمة الإسلامية تعيش فترة حرجة من حياتها، وما ذاك إلا نتيجة ابتعادها عن أمر ربها، وسنة نبيها ﷺ ، فتلقفت أساليب وأفكارا شرقية أو غربية، مقطوعة عن حبل الله المتين، وكانت المبررات بأن الإسلام لا يصلح لهذا الزمن المتسارع في تطوراته وعلومه، وانطبق عليهم قول الشافعي:(الشافعي، ٢٠٠٦ :١١٧)

نعيب زماننا والعيب فينا	وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب	ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب	ويأكل بعضنا بعضا عيانا

ونتج عن ذلك أن مرت الأمة بجهل مظلم، وتخلف مخزٍ، وفقر مدقع، وكادت أن تنتهي لولا أن تداركها الله برحمته٠

والأمة الإسلامية ــ بلا شك ــ مستهدفة من أعداء الإسلام، الذين أخذوا يغزونها فكريا، وتربويا، وماديا، بل وفي جميع مجالات الحياة، فظهرت أجيال ــ في غالبها ــ لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وأصبحت العبادة عندها عادة ٠

ومن دواهي الأمور أن الخطر الأعظم يأتي من داخل الأمة وليس من خارجها، ممن ينتمون لديننا، من جلدتنا، وممن يتكلمون بألسنتنا٠

وما أشبه اليوم بالبارحة، بالأمس البعيد وضع جنكيزخان زعيم التتار كتاب "الياسق" ليحكم به بلاد الإسلام، واليوم يوجد بيننا من يعتنق الياسق العصري ويريد تطبيقه، بالهوينا واللين تارة، وبالمكر والخديعة تارة، وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات، ويسمّون من يدعوهم إلى الاستمساك بديننا وشريعتنا (رجعيا) و(جامدا)، ولسان حالهم يقول: نعم للياسق الجديد، أعني الدين الجديد !٠

وكما يقول (عبد الله النديم): "والتخلي عن مقومات الشخصية الحضارية، بتقليد الغير، هو (تسليم الذات بلا حرب)"٠ (عمارة، ٢٠٠٤ :١٥٣١)

ولن تخرج الأمة من هذه الأزمة إلا بالعودة إلى منهج الله القويم كما يقول قطب: "لن يخلِّص البشرية من أزمتها، ويحلّ لها ما عقّدته من مشكلاتها في جاهليتها المعاصرة إلا المنهج الرباني الذي أنزله الله؛ ليقوم الناس بالقسط؛ وليكون شفاء ورحمة للمؤمنين" ٠ (قطب، ١٩٧٩ : ١٢ ،١٣)

والحقيقة أن مشكلة التخلف الذي تعاني منه الأمة تحتاج في حلها إلى تربية متينة وعميقة، تربية تقوم على أسس تربوية فكرية سليمة، ولا يتم ذلك إلا بالمعرفة الحقّة لمقومات شخصية المسلم، ومن ثم تطبيقها التطبيق الصحيح حتى تؤتي أكلها؛ فينهض بها الإنسان والمجتمع ٠

وللتصور الإسلامي للشخصية الإسلامية "مقوماته" التي يتألف منها قوامه، ويقوم عليها كيانه، وهي ثابتة غير قابلة للترقيع والإصلاح الجزئي، راسخة رسوخ الجبال؛ لأنه بها يأخذ ملامحه، ويتميز بها استقلاله، وتنفرد بها شخصيته؛ لقوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا}**٠(المائدة :٣)

و"المقومات" التي يتألف منها التصور الإسلامي هي وحدها التي يرضاها الله للناس، ولم يجعل لهم في شأنها خيارا٠

والالتزام بهذه المقومات ــ دون غيرها ــ هو الالتزام بالإسلام، والعكس صحيح، بل هو رفض لدين الله أصلا، ولا طريق وسطا بين الطريقين، وليس هنالك من صورة أخرى تتحقق بها صفة "المسلم" لإنسان ٠

ومن هنا فإنه يجب على المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية، المخلصين لعقيدتهم، الغيورين على نهج حياتهم، أن يعملوا بإخلاص وتضحية، لإنقاذ سفينة الإسلام من الهلاك، وجذبها إلى شاطئ الأمان كل حسب قدرته ٠

ومن أجل أن تزول المعوقات؛ ينبغي لنا أن نجلو وجه الشخصية الإسلامية، لنزيل عنها ما علق بها من الغبار المتراكم المتكاثف بمرور الأيام، ونعمق صورتها في نفوس الأفراد والجماعات٠

ولايتم ذلك إلا بوجود مصلحين يردون الأمور إلى أصلها ونبعها الصافي الطيب؛ ولذلك قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"٠ (أبوداود، ب٠ت،ج٢: ٥١٢)، وقَولِه ﷺ: "يرثُ هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عُدولهُ، ينفونَ عنه تأويلَ الجاهلينَ، وانتحالَ المُبطلينَ وتحريفَ الغالين"٠(البيهقي،١٩٩٤،ج١٠: ٢٠٩)

وتجديد الدين لا يعني تلقيح ما فيه من أحكام بمادة غيره، فهذا هو الفهم العقيم؛ لأنه يؤدي إلى التغيير والتبديل، ولكنه يعني إزالة ما علِق بالدين من أوهام وخرافات، وهي الغبار الذي يعلو سطحه، فيظنه الناس منه وما هو منه ٠

ومن العجيب أن بعض الدعاة يدافعون عن الإسلام بأسلوب فيه كثير من الضعف، فإذا راجت بضاعة الديمقراطية بين الناس راحوا يتحدثون عن ديمقراطية الإسلام، وإذا فتنت شعوبنا بالاشتراكية، صنعوا للإسلام اشتراكية... لقد كان الإسلام عند هؤلاء الكتّاب اشتراكياً، قومياً... ديمقراطياً، تقدميا ٠

أما سيد قطب رحمه الله، فقد رفض هذه الأساليب، وحذّر منها، وطالب بتوضيح الرؤية والتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، بقوة ووضوح، دون تلجلج أو تلعثم، وبدون شك أو ريبة ٠

وسأختم حديثي بقوله في ذلك: "وحين ندرك حقيقة الإسلام على هذا النحو، فإن هذا الإدراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام، في ثقة وقوة، وفي عطف كذلك ورحمة، ثقة الذي يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ما عليه الناس هو الباطل، وعطف الذي يرى شقوة البشر، وهو يعرف كيف يسعدهم، ورحمة الذي يرى ضلال الناس وهو يعرف أين الهدى الذي ليس بعده هدى !، لن نتدسس إليهم بالإسلام تدسساً، ولن نربت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة ... سنكون صرحاء معهم غاية الصراحة، هذه الجاهلية التي أنتم فيها نجس والله يريد أن يطهركم ... هذه الأوضاع التي أنتم فيها خبث، والله يريد أن يطيّبكم، هذه الحياة التي تحيونها دون، والله يريد أن يرفعكم٠٠٠هذا الذي أنتم فيه شقوة وبؤس ونكد، والله يريد أن يخفف عنكم ويرحمكم ويسعدكم، والإسلام سيغير تصوراتكم وأوضاعكم وقيمكم، وسيرفعكم إلى حياة أخرى تتكرون معها هذه الحياة التي تعيشونها..." ٠(قطب،١٩٧٨: ١٥٣)

أولا: المقوم العَقَدي

مقدمة:

لما كانت التربية تهدف إلى بناء الإنسان على ما يحقق الهدف السامي من خلافته على الأرض وتحقيق العبودية الكاملة لله، وكانت العقيدة هي أصول الدين إذا تأصلت في النفوس واستقرت

في القلوب، وزرع هذه الأصول وترسيخها في النفوس هو القاعدة الصلبة والمرتكز الأساس الذي تبنى عليه الأهداف، وتتحقق باستجابة الجوارح وانقياد الهوى إلى كل الأمور التي يرشد إليها الهادي البشير ﷺ، وباتباعه والتسليم لما يقضي يصحّ انقياد الهوى لقوله تعالى: **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}**. (النساء:٦٥)، فالإيمان بالانقياد الظاهر، والطمأنينة الباطنة لأمر الله سبحانه وتعالى وحكمه، والعمل بحسب الأمر والنهي، رغبة ورهبة، هو الإيمان الحق الذي به تتربى الأمة ويعمر الكون. (الحمد، ١٩٨٨ :٢٩، ٣٠)

والأديان السماوية أصلها واحد كما يقول النبي ﷺ: "وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ". (البخاري، ١٩٨٧،ج٣: ١٢٧٠)، والدين على رأس مقومات الأمم بعامة، وفي الأمة الوارثة جماع مقوماتها، فلغتها لغة كتاب الإسلام، وأعرافها وعاداتها لا يحفل بها ما خالفت مبادئ الإسلام وقواعده وفضائله في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفي منهج حياة صحابته رضوان الله عليهم. (إبراهيم،١٩٩٣ :٩٨٤)

ويؤكد (قطب) على هذه الحقيقة بقوله: "وهذا الذي يقرره القرآن في أمر الكتاب هو النظرية الإسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد، كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله، يقوم على القاعدة الأصيلة: قاعدة التوحيد المطلق، ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة، وتتراكم الخرافات والأساطير، حتى يبعد الناس نهائيا عن ذلك الأصل الكبير، وهنا تجيء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصيلة، وتنفي ما علق بها من الانحرافات، وتراعي أحوال الأمة وأطوارها في التفصيلات، وهذه النظرية أولى بالاتباع من نظريات الباحثين في تطور العقائد من غير المسلمين، والتي كثيرا ما يتأثر بها باحثون مسلمون، وهم لا يشعرون، فيقيمون بحوثهم على أساس التطور في أصل العقيدة وقاعدة التصور، كما يقول المستشرقون وأمثالهم من الباحثين الغربيين الجاهليين !". (قطب، ١٩٨٦،ج١ :٢١٦)

ولأهمية العقيدة في تربية الأمة طالت دعوة الهادي البشير ﷺ إلى غرسها وترسيخها في النفوس أكثر من نصف فترة النبوة (لمدة ثلاثة عشر عاما)(الحمد، ١٩٨٨ :٣٤)، وظل النبي ﷺ يرسّخ العقيدة في نفوس أصحابه حتى إذا انصبغت نفوسهم وعقولهم بها؛ بدأ النبي ﷺ في تعليمهم العبادات والمعاملات، ثم تركهم يضربون في فجاج الأرض يبتغون من فضل الله وينشرون دين الله في أصقاعها .

ويقرر(قطب) تفرّد منهج القرآن في عرضه للعقيدة، ومن ثم عدم جواز استعارة أي منهج بشري أو قالب فلسفي لعرضها بقوله: "كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حيّة واقعية، كان يخوض بها معركة مع الركام المعطل للفطرة، في نفوس آدمية حاضرة واقعة، ومن ثم لم يكن

شكل "النظرية" هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الحاضر، إنما كان هو شكل المواجهة الحية للعقابيل والسدود والحواجز والمعوّقات النفسية والواقعية في النفوس الحاضرة الحية، ولم يكن الجدل الذهني الذي انتهجه – في العصور المتأخرة – علم التوحيد، هو الشكل المناسب كذلك"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢ : ١٠١٢)

وقد نادى (قطب) في الكثير من المواضع الأخرى بترك الفلسفة وعلم الكلام في عرض العقيدة الإسلامية، ووافقه (الأشقر) بقوله: "لا لقاء بين الدين والفلسفة، فهما منهاجان مختلفان: في البداية والنهاية، والطريقة والأسلوب، وفي التأثير والعطاء، وقبل ذلك كله في المنابع والمصادر"٠(الأشقر، ١٩٧٧: ٣٨)، فقال قطب: "يكثر المفسرون والمتكلمون هنا من الكلام عن خلق الأرض والسماء، يتحدثون عن القبلية والبعدية، ويتحدثون عن الاستواء والتسوية . . وينسون أن "قبل وبعد" اصطلاحان بشريان لا مدلول لهما بالقياس إلى الله تعالى؛ وينسون أن الاستواء والتسوية اصطلاحان لغويان يقربان إلى التصور البشري المحدود صورة غير المحدود . . ولا يزيدان . . وما كان الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين حول هذه التعبيرات القرآنية، إلا آفة من آفات الفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى، عند مخالطتها للعقلية العربية الصافية ، وللعقلية الإسلامية الناصعة . . وما كان لنا نحن اليوم أن نقع في هذه الآفة، فنفسد جمال العقيدة وجمال القرآن بقضايا علم الكلام"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٥٣)

١- معنى العقيدة ومكوناتها عند (قطب):

"العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة؛ لأن الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات، **والعقيدة تعني الإيمان**" ٠(الهاجري، ١٩٩٣ :٢)

"والإيمان هو المرتكز الأول والأساس الذي يقوم عليه الإسلام، وعقيدة التوحيد أي الإيمان بالله تعالى وحده، وتنزيهه عن كل ما يمس تفرده بالألوهية والربوبية، هي العقيدة الأساس لكل المعتقدات، كالإيمان بالغيب والإيمان بالكتب السماوية كلها وبالرسل جميعهم، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى"٠ (ملكاوي،١٩٩٠: ٣٩٠)

والاعتقاد في اللغة: مصدر عقد يعقد عقدا، عقيدة، واعتقادا، وله معان متعددة في اللغة، قال ابن منظور: "**عقد قلبه** على الشيء: لزمه" ٠(ابن منظور، ب٠ت، ج٣ : ٢٩٨)

وفي الشرع: يراد بها "الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان القلب عليه بغير تردد أو شك، فيخرج منه الشك والوهم والظن" ٠ (القارئ، ١٩٨٣ : ١٠)

وزاد هذا المعنى إيضاحا (خطّاب) بقوله: "العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالأموال والنفس"٠ (خطّاب، ١٩٧٢ :٣٣)

أما العقيدةعند قطب فتعني: "استجابة الروح لله الذي من نفخة روحه صار الإنسان إنسانا"٠ (قطب،١٩٨٦ ،ج١ :٤٣٦)، أي انعكاس الإيمان على واقع الإنسان العملي٠

والعقيدة عند قطب تتجسد في الشهادتين وما يترتب عليهما من حقوق، فيقول: "فلا إيمان أصلا ولا إسلام، لا إيمان ابتداء ولا إسلام، لأن الذين يفعلون ذلك لم يدخلوا بعد في الإيمان، ولم يعترفوا بعد بأركان الإسلام، وفي أولها: شهادة أن لا إله إلا الله، التي ينشأ منها أن لا حاكم إلا الله، وأن لا مشرع إلا الله" ٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٢ :٧٠٥)

ويعلق (دراز) على قوله تعالى: **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ{١} الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{٢} الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ{٣} مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ{٤}}**(الفاتحة :١-٤)، فيقول: "فشذرات ثلاث انتظمت أركان العقيدة القرآنية الثلاث، من حيث المبدأ، فالواسطة، فالمعاد، فرب العالمين هو المبدأ، والرحمن الرحيم هو مصدر الرحمة في الحياة، ومالك يوم الدين هو صاحب الأمر النهائي عند الحساب"٠(دراز، ٢٠٠٥: ٦ ،٧)

وللشهادتين عند قطب وجهان: قولي وفعلي: "لم يكن مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هو هذا المدلول الباهت الفارغ الهزيل الذي يعنيه اليوم من يزعمون أنهم مسلمون – لمجرد أنهم يشهدون هذه الشهادة بألسنتهم، ويؤدون بعض الشعائر التعبدية، بينما ألوهية الله في الأرض وفي حياة الناس لا وجود لها ولا ظل، وبينما القيادات الجاهلية والشرائع الجاهلية هي التي تحكم المجتمع وتصرف شؤونه". (قطب، ١٩٨٦،ج٣ : ١٥٠٣)

والشهادتان عند قطب تشمل: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات: "الألوهية تعني ــ في جملة ما تعني ــ الاعتراف "بأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف القادر على كل شيء"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٣: ١٧٦٣)

والصلة بين الألوهية والربوبية في نظر (قطب) هي صلة الأصل بالفرع والكل بالجزء، "فالربوبية إحدى خصائص الألوهية الحقّة، وبيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٤: ١٧٥٣)، فالألوهية متعلقة بالصفات الحاصلة من المخلوق تجاه الخالق، كالخوف والرجاء والعبودية وغيرها، فيم تختص الربوبية بالصفات الحاصلة من الخالق تجاه المخلوق كالخَلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والتدبير وغيرها؛ ولذلك فالعبودية أخص خصائص الألوهية، وفي هذا يوضح قطب: "إن الأمر في هذا الدين – الإسلام – بل في دين الله كله منذ أن أرسل رسله للناس منذ فجر التاريخ، إن الأمر في دين الله كله هو: لمن الألوهية في هذه الأرض ؟ ولمن الربوبية على هؤلاء الناس ؟"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١ : ٥٩٥)

أما عن توحيد الله في أسمائه وصفاته فيقرر قطب بأن أسماء الله وصفاته توقيفية، فالمسلم يتلقى هذه الأسماء والصفات من النصوص ــ القرآن والحديث ــ ولا يجوز له أن يطلق على الله أسماء من عنده لم ترد في النصوص، ولا أن يصفه بصفة من عنده لم ترد فيها، وقد قرر ذلك في معرض ردّه على عالم غربي عندما وصف الله "بأنه العقل اللانهائي" و"أنه استطاع أن يدرك ببالغ حكمته الحياة"، فردّ عليه قطب بقوله: "هذا التعبير "العقل اللانهائي" راسب من رواسب الفلسفة، يستخدمه الرجل لأنه من رواسب ثقافته! والمسلم لا يعبّر عن الله سبحانه إلا بما سمّى به نفسه من أسمائه الحسنى"٠(قطب،١٩٨٦،ج٣ : ١١٥٥)

ويؤكد (ياسين) تقسيم قطب لأنواع التوحيد الثلاثة بقوله: "فالإيمان بالله يتضمن توحيده في ثلاثة ٠٠٠" (ياسين،١٩٨٢: ٦)

والتوحيد هو أساس الدعوة الإسلامية، وهو الدعوة التي أرسل الله من أجلها الرسل، وهي تتجسد في "شهادة أن لا إله إلا الله"، بل إن تحقيق العبودية لله تعالى هو الهدف من خلق الخلق حيث قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**٠(الأنبياء: ٢٥)

ويعلّق (قطب) على أهمية التوحيد وخطورته فيقول: "التوحيد هو أول الثوابت الإسلامية ومصدر آيات القرآن الكريم، ليكون بمثابة نقطة الانطلاق وحجر الزاوية في بناء أي نسق علمي سليم يوجّه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود، ويساعده باقي المسلمات الفكرية والإيمانية على فهم وقراءة كلمات الله القرآنية في كتابه المنظور، طالبنا الحق سبحانه وتعالى به في أول ما نزل من المسطور" ٠ (قطب، ١٩٨٧: ١٨٢)

ويبيّن (قطب) أركان الإيمان، فيقول: "والحقيقة التي يثيرها النص القرآني في الفكر: هي طبيعة التصوّر الإسلامي ومقوّمات هذا التصور– ومن بينها تلك العوالم الظاهرة والمغيبة التي علّم الإسلامُ المسلمَ أن يدركها أولاً، وأن يتعامل معها أخيراً – ومن بين تلك العوالم المغيبة عالم الملائكة، وقد جعل الإسلام الإيمان بها مقوماً من مقومات الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ٠٠٠"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ١٠٤٢)

وعقيدة الإيمان بأركانها الستة متكاملة متناسقة عند قطب: "هذا التكامل الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية، وتمتاز به النفس المؤمنة بهذه العقيدة، والجدير بأن تكون عليه العقيدة الأخيرة التي جاءت ليلتقي عليها الناس جميعا؛ ولتهيمن على البشرية جميعا، وليعيش الناس في ظلالها بمشاعرهم وبمنهج حياتهم حياة متكاملة، شاملة للشعور والعمل، والإيمان والنظام، الذين يؤمنون بالغيب، فلا تقوم حواجز الحس دون الاتصال بين أرواحهم والقوة الكبرى التي صدرت عنها،

وصدر عنها هذا الوجود؛ ولا تقوم حواجز الحس بين أرواحهم وسائر ما وراء الحس من حقائق وقوى وطاقات وخلائق وموجودات، والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج١: ٣٩) ويعلّق قطب على قوله تعالى: **{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو}**(الأنعام: ٥٩)، بقوله: "ونقف لنقول كلمة عن الغيب و مفاتحه واختصاص الله – سبحانه – "بالعلم" بها . . ذلك أن حقيقة الغيب من "مقومات التصور الإسلامي" الأساسية؛ لأنها من مقومات العقيدة الإسلامية الأساسية؛ ومن قواعد "الإيمان" الرئيسية . . وذلك أن كلمات الغيب و"الغيبية" تلاك في هذه الأيام كثيرا – بعد ظهور المذهب المادي – وتوضع في مقابل "العلم" و"العلمية" . . والقرآن الكريم يقرر أن هناك "غيبا لا يعلم مفاتحه" إلا الله، ويقرر أن ما أوتيه الإنسان من العلم قليل، وهذا القليل إنما آتاه الله له بقدر ما يعلم هو – سبحانه –"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ١١١٣)، ويضيف قطب: "إنها مسألة كبيرة هذا الإيمان بالله والإيمان بالآخرة، مسألة أساسية في حياة البشر، إنها حاجة أكبر من حاجات الطعام والشراب والكساء، وإنها إما أن تكون فيكون "الإنسان" وإما ألا تكون فهو حيوان من ذلك الحيوان"٠(قطب،١٤٠٦هت:٣٤١١)

ويؤكد(غنيم) أن الإيمان بالغيب أصل من أصول الإيمان وله أهميته الخاصة فيقول: "قدّم الله سبحانه وتعالى الإيمان بالغيب على إقامة الصلاة وذلك في النص الكريم: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**(البقرة:٣)(غنيم، ١٩٨٧ :٥٠)، ويؤكد (البنا) بان الإيمان بالغيب من صفات المتقين، فيقول: "وهو دليل على حسن استعداد النفوس لتلقي حقائق الدين، والتصديق بها، والعمل لها، ولهذا جاء في صدر هذه الصفات وهو أفضل أنواع الإيمان وأعلاها"٠(البنا، ١٩٩٣ :٧٩)، وقد رُوي أنه ذُكر عند ابن مسعود أصحاب محمد ﷺ وإيمانهم فقال عبد الله: "إن أمر محمد كان بيّنا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ: **{ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه}** إلى قوله تعالى **{يؤمنون بالغيب}**٠(الحاكم، ١٩٩٠،ج٢ :٣٠٣٣)

وللإيمان بالأركان الستة أهمية عظيمة عند قطب، والإيمان باليوم الآخر جزء منه، ويعلّق قطب على قوله تعالى: **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**(البقرة:١٧٧)، فيقول: "ذلك هو البر الذي هو جماع الخير، فماذا في تلك الصفات من قيم تجعل لها هذا الوزن في ميزان الله ؟ ما

قيمة الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ؟ إن الإيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى، وشتى الأشياء، وشتى الاعتبارات، إلى عبودية واحدة لله تتحرر بها النفس من كل عبودية، وترتفع بها إلى مقام المساواة مع سائر النفوس في الصف الواحد أمام المعبود الواحد؛ ثم ترتفع بها فوق كل شيء وكل اعتبار، وهي نقطة التحول كذلك من الفوضى إلى النظام، ومن التيه إلى القصد، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه، فهذه البشرية دون إيمان بالله الواحد، لا تعرف لها قصدا مستقيما ولا غاية مطردة، ولا تعرف لها نقطة ارتكاز تتجمع حولها في جد وفي مساواة، كما يتجمع الوجود كله، واضح النسب والارتباطات والأهداف والعلاقات، والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة في الجزاء؛ وبأن حياة الإنسان على هذه الأرض ليست سدى ولا فوضى بغير ميزان، وبأن الخير لا يعدم جزاءه ولو بدا أنه في هذه الأرض لا يلقى الجزاء، والإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيب الذي هو مفرق الطريق بين إدراك الإنسان وإدراك الحيوان، وتصور الإنسان لهذا الوجود وتصور الحيوان، الإنسان الذي يؤمن بما وراء الحس والحيوان المقيد بحسه لا يتعداه، والإيمان بالكتاب والنبيين هو الإيمان بالرسالات جميعا وبالرسل أجمعين، وهو الإيمان بوحدة البشرية، ووحدة إلهها، ووحدة دينها، ووحدة منهجها الإلهي، ولهذا الشعور قيمة في شعور المؤمن الوارث لتراث الرسل والرسالات" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :١٥٩)

وقضية "القضاء والقدر" أو "الجبر والاختيار" أو "الإرادة والكسب" والتي أشغلت علماء الكلام، عند (قطب) ميسرة وليست معقّدة، وواضحة لا لبس فيها، وذلك لأنه جمع الآيات المتفرقة التي تتحدث عنها، فقال: "النصوص القرآنية تقول: إن كل ما يحدث بإرادة الله وقدره، وتقول في الوقت ذاته إن الإنسان يريد ويعمل ويحاسب على إرادته وعمله٠٠ والقرآن كله كلام الله، ولن يعارض بعضه بعضا، فلا بد إذن أن تكون هناك نسبة معينة بين هذا القول وذاك، ولا بد إذن أن يكون هناك مجال لإرادة الإنسان وعمله يكفي لحسابه عليه وجزائه، دون أن يتعارض هذا مع مجال الإرادة الربانية والقدر الإلهي، كيف؟ هذا ما لا سبيل لبيانه، لأن العقل البشري غير كفء لإدراك كيفيات عمل الله" ٠(الخالدي، ١٩٨٦: ٤٤١)، ويرى الباحث أن الإنسان يملك الإرادة للفعل وهي لا تتنافى مع إرادة الله عز وجل ولا تنافيها ٠

والإيمان باليوم الآخر له أهميته العظمى عند (قطب) حيث يقول: "لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة، ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان، كجماعة الماديين في كل زمان، يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري، إلى عالم البهيمة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس! ويسمون هذا "تقدمية" وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها، فجعل

صفتهم المميزة، صفة: الذين يؤمنون بالغيب والحمد لله على نعمائه، والنكسة للمنتكسين والمرتكسين"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٤٠)

والإيمان عند (قطب) يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فيقول: "والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً، وما ينتهي به إلى الاطمئنان . . إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه؛ فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن، ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان . . وكما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً، فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات التي تزيده إيماناً . . لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى: إن في ذلك لآيات للمؤمنين . . إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، ومن ذلك قول أحد الصحابة – رضوان الله عليهم – : كنا نؤتى الإيمان قبل أن نؤتى القرآن . . ." ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣ : ١٤٧٥)، وفي تفسيره للآية: "فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون"، يقول: "فأما الذين آمنوا فقد أضيفت إلى دلائل الإيمان عندهم دلالة فزادتهم إيمانا، وقد خفقت قلوبهم بذكر ربهم خفقة فزادتهم إيمانا، وقد استشعروا عناية ربهم بهم في إنزال آياته عليهم فزادتهم إيمانا"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٣ :١٧٤٢)

ويؤكد قوله السابق ما أورده العسقلاني عن البخاري فقال: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" ٠ (العسقلاني،١٩٦٩: ٤٧)

والولاء والبراء عند (قطب) جزء لا يتجزأ من عقيدة التوحيد الإسلامية وذلك اقتداء بمؤسس الحنيفية السمحة نبي الله إبراهيم، فيقول: "ثم تأتي الجولة الثالثة فتصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة: أمة التوحيد، وهذه القافلة الواحدة: قافلة الإيمان، فإذا هي ممتدة في الزمان، متميزة بالإيمان، متبرئة من كل وشيجة تنافي وشيجة العقيدة، إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم، أبيهم الأول وصاحب الحنيفية الأولى، وفيه أسوة لا في العقيدة وحدها، بل كذلك في السيرة، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها؛ ثم خلص منها هو ومن آمن معه، وتجرد لعقيدته وحدها: **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم، ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ٠٠٠وينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، وماض طويل، وأسوة ممتدة على آماد الزمان، وإذا هو راجع إلى إبراهيم، لا في عقيدته فحسب، بل في تجاربه التي عاناها كذلك، فليس الأمر جديدا ولا مبتدعا ولا تكليفا

يشق على المؤمنين، ثم إن له لأمة طويلة عريضة يلتقي معها في العقيدة ويرجع إليها، إذا انبتت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته، فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال، الشجرة التي غرسها أول المسلمين إبراهيم . . ." ٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٦ :٣٥٤٢)

والولاء الخالص لله ولرسوله وللمؤمنين عنده لا يحتمل ولا يقبل شريكا معه: "إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكا، فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة؛ ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة، كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة؛ على أن يكون مستعدا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة، ومفرق الطريق هو أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع، وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الأرض، فإذا اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة وبالزوج والعشيرة؛ ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن، ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطيبات من الرزق – في غير سرف ولا مخيلة – بل إن المتاع بها حينئذ لمستحب، باعتباره لونا من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عباده، وهم يذكرون أنه الرازق المنعم الوهاب، يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء –إن استحبوا الكفر على الإيمان – ٠٠٠ " ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٣ :١٦١٥)

ويشير الخالدي إلى أن (قطب) قد وقف على طريقة القرآن في عرض العقيدة، ومن ثم أدرك سر تفاعل الصحابة الكرام بحقائق العقيدة، ومعايشتهم الحية لها، فكانت العقيدة عملية واقعية حية عندهم، تفاعلوا معها بكل مشاعرهم وكيانهم، وليس بعقولهم وأذهانهم فقط٠٠٠ وقارن بين هذا وبين عرض المتأخرين للعقيدة، وتحويلها من أمور حياتية إلى مسائل ذهنية، ومخاطبتهم الذهن والعقل فقط، وبذلك أصبحت قضايا نظرية عقلية فلسفية معقدة، بدل أن تكون موجهة للحياة البشرية، وقائدة لها قيادة عملية واقعية٠ (الخالدي، ١٩٨٦ : ٤٨)

ويؤكد (قطب) على أن: "العقيدة الإسلامية يجب أن تتمثل في نفوس حية، وفي تنظيم واقعي، وفي حركة تتفاعل مع الجاهلية من حولها، كما تتفاعل مع الجاهلية الراسبة في نفوس أصحابها – بوصفهم كانوا من أهل الجاهلية قبل أن تدخل العقيدة إلى نفوسهم وتنتزعها من الوسط الجاهلي، وهي في صورتها هذه تشغل من القلوب والعقول ومن الحياة أيضا مساحة أضخم

وأوسع وأعمق مما تشغله "النظرية"؛ وتشمل – فيما تشمل – مساحة النظرية ومادتها، ولكنها لا تقتصر عليها"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٢: ١٠١٣)

أما عن قواعد المنهج السلفي في أخذ العقيدة، فتتمثل فيما يأتي:

١– تقديم الشرع على العقل٠

٢– رفض التأويل الكلامي٠

٣– الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية٠

وهذه القواعد تبدو واضحة في منهج قطب وخاصة في كتابيه (الظلال) و(خصائص التصور الإسلامي)٠ (الخالدي، ١٩٨٦ : ٥٥)

والشرك عند (قطب) أنواع: "إن الشرك ألوان، والشركاء ألوان، والمشركين ألوان، وليست الصورة الساذجة التي تتراءى للناس اليوم حين يسمعون كلمة الشرك وكلمة الشركاء وكلمة المشركين: من أنّ هناك ناسا كانوا يعبدون أصناما أو أحجارا، أو أشجارا، أو نجوما، أو نارا٠٠٠الخ، هي الصورة الوحيدة للشرك!، إن الشرك في صميمه هو الاعتراف لغير الله – سبحانه – بإحدى خصائص الألوهية، سواء كانت هي الاعتقاد بتسيير إرادته للأحداث ومقادير الكائنات، أو كانت هي التقدم لغير الله بالشعائر التعبدية والنذور وما إليها، أو كانت هي تلقي الشرائع من غير الله لتنظيم أوضاع الحياة، كلها ألوان من الشرك، يزاولها ألوان من المشركين، يتخذون ألوانا من الشركاء!، والقرآن الكريم يعبر عن هذا كله بالشرك؛ ويعرض مشاهد يوم القيامة تمثل هذه الألوان من الشرك والمشركين والشركاء، ولا يقتصر على لون منها، ولا يقصر وصف الشرك على واحد منها؛ ولا يفرق في المصير والجزاء بين ألوان المشركين في الدنيا وفي الآخرة سواء" ٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٢: ١٠٣٦)

وفي موضع آخر يوضح (قطب) مفهوم الشرك بقوله: "إن الشرك باللّه يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير اللّه من عباده، ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته، ولا تقديم الشعائر التعبدية له . . كما هو واضح من الفقرة السابقة، ولكنا إنما نزيدها هنا بيانا وهذه الحقائق – وإن كان المقصود الأول بها في السياق هو مواجهة الملابسات التي كانت قائمة في المجتمع المسلم يومذاك من التردد والتهيب للمعركة مع الروم ، وجلاء شبهة أنهم مؤمنون باللّه لأنهم أهل كتاب – هي كذلك حقائق مطلقة تفيدنا في تقرير "حقيقة الدين عامة"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٣: ١٦٤٢)

و شرط العبودية الحقّة عند (قطب) يتمثل في أمرين رئيسين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس، أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً وربا، عبداً يَعبد، وربًّا يُعبد، وأن ليس وراء ذلك شيء؛ وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار، ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود؛ وإلا رب واحد والكل له عبيد .

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله، ويقول الله عز وجل عن التوحيد: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**٠ (الأنبياء:٢٥)، ويعتبر (قطب) أن أعلى قيمة في هذا الكون هي قيمة الإيمان، ومن حاز هذه القيمة فلهُ الخير كله، ومن فقدها فليس بنافعه شيء"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٦ :٣٨٢٣)، ويؤكد (النحوي) ذلك، ويخلص بأن مشكلات الأمة تكمن في واحدة أو أكثر من النقاط الآتية:

أ- الخلل في التصور لقضية الإيمان والتوحيد، وعدم إنزالها منزلتها العادلة الأمينة، والخلل في الجهود المبذولة من أجلها ٠

ب- هجر منهاج الله والخلل في الارتباط به وفي دراسته وتدبره، حتى لم يعد يؤدي الدور الذي كان يؤديه في مدرسة النبوة الخاتمة ٠

ج- الخلل في فهم الواقع، وعدم رده إلى منهاج الله ٠

د- الخلل في الممارسة والتطبيق في الواقع، وهو ناتج عن المشكلات الثلاثة السابق ذكرها٠ (النحوي، ١٩٩٨: ١٣٥)

وللاعتقاد درجات: "فالناس في قوة العقيدة أقسام: منهم من تلقاها تلقينا واعتقدها عادة، وهذا لا يؤمن عليه أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات، ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه وقوي يقينه، ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر واستعان بطاعة الله تعالى وامتثال أمره وأحسن عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكمل إيمانه وأتم يقينه وثبت فؤاده"٠(البنا، ١٩٩٢: ٣٨٠)

٢- أهمية العقيدة في بناء شخصية المتعلم:

قضية الاعتقاد أهم قضية عرفها الإنسان؛ لأن التوحيد مطلوب قبل كل شيء، ولا يقبل عمل إلا بتوحيد صحيح، وما يقسَّم الناس في الدنيا والآخرة إلا على أساس التوحيد، فإذا تم بناء الإيمان عند المتعلم على أساس قوي يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، كان هذا محرّكا قويا يحرك قلب المتعلم إلى الالتزام، وهذا هو الوازع الذي تتحرك دوافع المتعلم على ضوئه ويتفاعل بناء عليه، وبالتالي يتكون لديه رادع قوي عن الشهوات والشبهات، ويتربى على

طاعة الله ورسول ﷺ" ٠ (المعارف، ١٩٩٥ : ١٠)، ولذلك كان الدين أول الكليات الخمس التي بدونها تفسد الحياة وتضيع المصالح، وهي:

أ- الدين: وشُرع لحفظه قتل المرتد٠

ب- النفس: وقد شرع لحفظها عقوبة القصاص٠

ج- العقل: وقد شرع لحفظه عقوبة حد الشرب٠

د- العِرض: وقد شرع لحفظه عقوبة الرجم أو الجلد مئة جلدة٠

هـ- المال: وقد شرع لحفظه عقوبة قطع اليد ٠(خليل،٢٠٠٤: ٧٥٣، ٧٥٤)

والإيمان عند (البنا) "أفضل الوسائل في إصلاح النفوس؛ لأنه يحيي الضمائر ويوقظ الشعور، وينبه القلوب، ويترك مع كل نفس رقيبا لا يغفل، وحارسا لا يسهو، وينمي فيها الدوافع التي تدفعها إلى الخير دفعا وتصدها عن الآثام صدا" ٠(البنا،١٩٧٨: ١٥)

ويؤكد (قطب) ذلك بقوله: "**إن عقدة الفطرة البشرية هي عقدة العقيدة، وما لم تنعقد هذه العقيدة أولا فلن يثبت فيها شيء من خلق أو تهذيب أو إصلاح اجتماعي، إن مفتاح الفطرة البشرية هاهنا، وما لم تفتح بمفتاحها فستظل سراديبها مغلقة ودروبها ملتوية، وكما كشف منها زقاق انبهمت أزقة؛ وكلما ضاء منها جانب أظلمت جوانب، وكلما حلت منها عقدة تعقدت عقد، وكلما فتح منها درب سدت دروب ومسالك، إلى ما لا نهاية، لذلك لم يبدأ المنهج الإسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها، من هذه الرذائل والانحرافات، إنما بدأ من العقيدة، بدأ من شهادة أن لا إله إلا الله، وطالت فترة إنشاء لا إله إلا الله هذه في الزمن حتى بلغت نحو ثلاثة عشر عاما، لم يكن فيها غاية إلا هذه الغاية! تعريف الناس بإلههم الحق وتعبيدهم له وتطويعهم**"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٢ :٩٧٣)

٣- آثار العقيدة:

أ- الإيمان يحرك المؤمن للالتزام الديني ويدفعه للعمل الصالح: ويعتبر (قطب) أن العقيدة تعني للمسلم كل شيء: "فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله، ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج ! . . . في نهاية المطاف"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ : ١٢)

والعقيدة هي أكرم الحقائق: "حقيقة الإيمان في هذا الوجود هي أكبر وأكرم الحقائق، والذي يسكب في قلب المؤمن طمأنينة لا حد لها" (قطب، ١٩٨٦،ج١ :٤٣)، وعقيدة الإيمان الصحيحة تدفع للعمل الصالح النافع: "وما أحوجنا – نحن الذين نقول إنا مسلمون – أن نستيقن هذه الحقيقة: أن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح، فأما الذين يقولون: إنهم مسلمون ثم يفسدون في الأرض، ويحاربون الصلاح في حقيقته الأولى وهي إقرار منهج الله في الأرض، وشريعته في الحياة، وأخلاقه في المجتمع، فهؤلاء ليس لهم من الإيمان شيء، وليس لهم من

ثواب الله شيء، وليس لهم من عذابه واق ولو تعلقوا بأماني كأماني اليهود التي بين الله لهم وللناس فيها هذا البيان" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ : ٨٦)، وكما يقول الشاعر:

أنا مسلمٌ وأقولها ملئ الورى وعقيدتي نور الحياة وسؤددي

ب- العقيدة تحفظ كرامة الإنسان من الخضوع لغيره من المخلوقين، وتخرجه من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد: "يخرج الله فيه – من شاء – من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، عالماً يولد فيه "الإنسان" الحر الكريم النظيف، المتحرر من شهوته وهواه، تحرره من العبودية لغير الله"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٣ :١٢٥٥)

ويقول أيضا: "والإسلام – بهذا المعنى – هو الدين عند الله، وهو الذي جاء به كل رسول من عند الله، لقد أرسل الله الرسل بهذا الدين ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور العباد إلى عدل الله"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١ : ٤٠٧)

ويؤكد (الشيباني) ذلك بقوله: "فمن شأن الفرد المؤمن بربه حقا أن يكون أكثر ثقة بالناس وأكثر شعورا بالعزة والكرامة ٠٠٠ وأقل تعرضا لمشاعر الذل والهوان"٠(الشيباني، ١٩٨٨: ١٣٠)

ويؤكد (باشا) ذلك بقوله: "وعقيدة التوحيد الإسلامي هي التي تحفظ كرامة الإنسان وتكريمه بإخضاعه للخالق الواحد جل وعلا، وتحرره من سلطان العقائد الوثنية أو المذاهب الوضعية"٠(باشا، ١٩٨٨ : ٢٥)

ويعلق قطب على أهمية عقيدة التوحيد بقوله: "شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه (ربعي بن عامر) رسول قائد المسلمين إلى (رستم) قائد الفرس، وهو يسأله: "ما الذي جاء بكم؟" فيقول: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"، وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلها خالقا للكون؛ ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة؛ ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه؛ فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ : ١٠٥٧)

ج- العقيدة تجلب الطمأنينة والأمن النفسي: وتتفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن (القلق) هو السبب الرئيس في نشوء الأمراض النفسية، والإيمان بالله إذا ما بث في النفس منذ الصغر فإنه يكسب الإنسان مناعة من الأمراض النفسية ٠ (مرسي، ١٩٩٤: ١٩٤ ،١٩٥)

ولو نظرنا إلى الغرب لوجدنا الكثير من الأمراض النفسية والانهيارات العصبية المستشرية فيه، بل وحالات الانتحار، وما ذلك إلا نتيجة لخواء القلوب من الإيمان، وخلائها من العقيدة؛ مما نتج

عنه عدم الأمن والأمان النفسي، ومن ذلك ماذكره قطب: "وكتب الطبيب العالم العالمي ألكسيس كاريل في كتابه: "الإنسان ذلك المجهول" بقوله: "بالرغم من أننا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسل والدفتريا والحمى التيفودية . الخ فقد حلت محلها أمراض الفساد والانحلال، فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والقوى العقلية . . . ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحات على عدد المرضى الموجودين في جميع المستشفيات الأخرى، وكالجنون، فإن الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية آخذ في الازدياد، وهي أكثر العناصر نشاطاً في جلب التعاسة للأفراد، وتحطيم الأسر . . إن الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية، التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن"٠(قطب،١٩٨٥: ٦٣٧)

ولقد تبين من دراسات كثيرة ارتباط الإيمان بالصحة النفسية، وارتباط ضعف الإيمان والكفر بوهن الصحة النفسية، فأشارت نتائجها إلى أن معظم المضطربين نفسيا وعقليا لا دينيون، ليس لهم هدف رئيس في الحياة، وأن معظم الأصحاء نفسيا لهم عقيدة دينية، وانتهت الأكاديمية الوطنية للدين والصحة النفسية في أمريكا إلى أن الإيمان من عوامل الصحة النفسية؛ لأن الدين يجعل للحياة غاية، ويمد الإنسان بقيم مطلقة تنظم سلوكه، أما الإلحاد فمن عوامل وهن الصحة النفسية والاضطرابات النفسية والعقلية،؛ لأنه يدل على اختلال فلسفة الحياة عند الملحد واختلال اتجاهاته نحو نفسه ونحو أسرته والناس والعالم ٠ (سيفرين، ١٩٧٨: ٥٠٣)

وتورد (سري) معالم الوقاية من المرض النفسي من وجهة نظر الدين في ثلاث نقاط وهي:

١- الإيمان: ويتضمن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر٠

٢- التدين (السلوك الديني): ويتضمن عبادة الله، والإخلاص لله، والمسئولية، والبعد عن الحرام، والعزة والقوة٠

٣- الأخلاق: وتتضمن الاستقامة، وإصلاح النفس وتزكيتها، ومعارضة هواها، وضبطها، والصدق، والأمانة، والتواضع، ومعاشرة الأخيار، والكلام الحسن ٠٠٠إلخ٠ (سري، ١٩٩٠: ٢٦٦، ٢٦٧)

ويفسر(ابن كثير) قوله تعالى: **{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى{١٢٣} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى{١٢٤}}**٠ (طه : ١٢٣ -١٢٤)، فيقول: "ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج وإن تنعم ظاهره ٠٠٠ فهو في قلق وحيرة وسآمة وشك"٠ (ابن كثير، ١٩٨٩ ،ج٤ :٢٣٩)

ويؤكد (قطب) ذلك بقوله: "فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . . فهو في أمان من الضلال والشقاء باتباع هدى الله، وهما ينتظران خارج عتبات الجنة، ولكن الله يقى منهما من اتبع هداه، والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقا في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة . شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة، وما من متاع حرام، إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه، والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع ! ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء، ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض، وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود، حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤ : ٢٣٥٥)

ويأتي صلاح النفوس بالإيمان في الإسلام من كون الإسلام يدعو إلى حسن الخلق، ويعتبره دليلا سلوكيا على الإيمان الذي وقر في القلب، فكلما زاد الإيمان زاد حسن الخلق، وكلما نقص الإيمان نقص حسن الخلق٠(مرسي،١٩٨٨ :١٣٠)

"فحسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق" ٠(الغزالي،١٩٦٧: ٦٩)، ويشير (قطب) إلى أنّ: "البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير . خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها . . حقيقة الإيمان . . وخواء حياتها من المنهج الإلهي، هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه .

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيدا عن ذلك الظل الوارف الندي . ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق !

ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتحس الخواء والجوع والحرمان، وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات، وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام! وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير . . . لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها .

إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف، يطاردها فتهرب منه، ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير!، وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم، هاربون من ذوات أنفسهم . . وسرعان ما يتكشف الرخاء المادي والمتاع الحسي الذي يصل إلى حد التمرغ في الوحل،عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكرات والمخدرات والجريمة، وفراغ الحياة من كل تصور كريم!، إنهم لا يجدون أنفسهم لأنهم لا

يجدون غاية وجودهم الحقيقية . . إنهم لا يجدون سعادتهم لأنهم لا يجدون المنهج الإلهي الـذي ينسق بين حركتهم وحركة الكون، وبين نظامهم وناموس الوجود . . إنهم لا يجدون طمـأنينتهم لأنهم لا يعرفون الله الذي إليه يرجعون" ٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ٤٢٢)

ويعتبر الكثير من علماء النفس والصحة النفسية أن صحة النفس وإحساسها بـالأمن مـن أهـم أولويات وحاجات الإنسان، وهذا ما أشار إليه تعالى: **{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{٣} الَّذِي أَطْعَمَهُـم مِّـن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{٤}} (قريش:١ -٤)**، وقوله تعالى: **{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُـلِّ مَكَـانٍ فَكَفَـرَتْ بِـأَنْعُمِ اللّـهِ فَأَذَاقَهَـا اللّـهُ لِبَـاسَ الْجُـوعِ وَالْخَـوْفِ بِمَـا كَـانُواْ يَصْنَعُونَ}**٠(النحل:١١٢)

ومن ثم اعتبر (ماسلو) في ترتيبه الهرمي للحاجات الإنسانية، أن حاجة الإنسان للأمن تأتي في الترتيب الثاني بعد حاجته للطعام والشراب٠(عبد الرحيم، ١٩٨٦: ٣٠٧)، وقد قـسّم (اللّـوح) الطبّ إلى ثلاثة أنواع:

١- الطب الوقائي ٠

٢- الطب العلاجي ٠

٣- الطب النفسي والاجتماعي ٠ (اللوح، ٢٠٠٢ : ٢١٧)

ويقول تعالى على لسان نبي الله إبراهيم مخاطبا قومه: **{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٨١} الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُـم مُّهْتَـدُونَ {٨٢}}**٠(الأنعـام :٨١-٨٢)، فالأمن للذين يوحدّون الله ولا يشركون به شيئا، ولا أمن ولا أمان لغيرهم ٠

ويفسر (قطب) قوله تعالى: **{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْـرُ مَنُوعًا {٢١} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُـومٌ {٢٤} لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥} وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {٢٦} وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَـذَابِ رَبِّهِـمْ مُـشْفِقُونَ {٢٧} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ {٢٨} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٣٠} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٣١} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٣٢} وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ {٣٣} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٣٤} أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُـونَ {٣٥}}** (المعارج : ١٩-٣٥)، بقوله: "ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة في حياة الإنسان، لا كلمة تقال باللسان، ولا شعائر تعبدية تقام، إنه حالة نفس ومنهج حياة، وتصور كامـل للقـيم والأحداث والأحوال، وحين يصبح القلب خاوياً من هذا المقوم فإنه يتأرجح ويهتز بتناوبه الرياح كالريشة! ويبيت في قلق وخوف دائم، سواء أصابه الشر فجزع، أم أصابه الخير فمنع، فأما حين يعمره الإيمان فهو منه في طمأنينة وعافية، لأنه متصل بمصدر الأحـداث ومـدبر الأحـوال، مطمئن إلى قدره شاعر برحمته، مقدر لابتلائه، متطلع دائما إلى فرجه من الضيق، ويسره مـن

العسر، متجه إليه بالخير، عالم أنه ينفق مما رزقه، وأنه مجزي على ما أنفق في سبيله، معوض عنه في الدنيا والآخرة، فالإيمان كسب في الدنيا يتحقق قبل جزاء الآخرة، يتحقق بالراحة والطمأنينة والثبات والاستقرار طوال رحلة الحياة الدنيا"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٦ : ٣٦٩٩)

ويعلق أيضا على سورة الفلق بقوله: "تعالوا إلى الحمى، تعالوا إلى مأمنكم الذي تطمئنون فيه، تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف وأن لكم أعداء وأن حولكم مخاوف وهنا، هنا الأمن والطمأنينة والسلام"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٦: ٤٠٠٦)

د- العقيدة تحمى الإنسان وتنوّر طريقه الذي يمشي به في الناس وهي الراية التي يجتمع تحتها المسلمون: "هذه قيمة العقيدة في حياة المؤمن، ومن ثم يجب أن يستوي عليها، متمكنا منها، واثقا بها، لا يتلجلج فيها، ولا ينتظر عليها جزاء، فهي في ذاتها جزاء، ذلك أنها الحمى الذي يلجأ إليه، والسند الذي يستند عليه، أجل هي في ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور، وطلبه للهدى، ومن ثم يهبه الله العقيدة ليأوي إليها، ويطمئن بها"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤ :٢٤١٢)

ويضيف قطب: "وهكذا تبدو قيمة العقيدة الإسلامية في تصحيح التصورات والأوضاع الاجتماعية"٠ (قطب، ١٩٨٦ :٢١٧٨)

ويبين قطب بأنها: "الراية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم، ولم يصد الناس عنها، ولم يحل بينهم وبين سماعها، ولم يفتن المؤمنين بها، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه". (قطب، ١٩٨٦ :٣٥٤٥)

هـ- العقيدة تفتح المدارك وتنوّر البصائر وتثبت بها القلوب أمام التحديات الإنسية والجنِّية في الدنيا والآخرة: "ذلك أن إيمانهم بالله يجعلهم يتلقون كل ما يصدر عنه بما يليق بجلاله؛ وبما يعرفون من حكمته، وقد وهبهم الإيمان نورا في قلوبهم، وحساسية في أرواحهم، وتفتحا في مداركهم، واتصالا بالحكمة الإلهية في كل أمر وفي كل قول يجيئهم من عند الله" ٠(قطب، ١٩٨٦ : ٥٠)

ويقول أيضا: "وما أحوج الأمة المسلمة في كل وقت إلى تملّي هذه التوجيهات، وإلى دراسة هذا القرآن بالعين المفتوحة والحس البصير، لتتلقى منه تعليمات القيادة الإلهية العلوية في معاركها التي تخوضها مع أعدائها التقليديين؛ ولتعرف منها كيف ترد على الكيد العميق الخبيث الذي يوجهونه إليها دائبين، بأخفى الوسائل، وأمكر الطرق، وما يملك قلب لم يهتد بنور الإيمان، ولم يتلق التوجيه من تلك القيادة المطلعة على السر والعلن والباطن والظاهر، أن يدرك المسالك

والدروب الخفية الخبيثة التي يتدسس فيها ذلك الكيد الخبيث المريب ... " (قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ٦٥)

و- العقيدة معيار للتفاضل والتفضيل في الإسلام وهي دليل على وحدة الإنسانية: يفسر قطب قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**٠(الحجرات:١٣)، بقوله: "وليس للَّون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف بـه فـضل الناس: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، والكريم حقا هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علم وعـن خبرة بالقيم والموازين: إن الله عليم خبير، وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميـع القـيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦ :٣٣٤٨)

وهي نعمة عظمى، يبين (قطب) بأنّ: "الإيمان بالحياة الآخرة نعمة، نعمة يفيضها الإيمان علـى القلب، نعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني، المحدود الأجل الواسع الأمل وما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود، إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة". (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٩)

ز- العقيدة الصحيحة تدفع الإنسان إلى الهداية: وهي ثمرة يجنيها من آمن بالله، قال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}**٠(التغابن:١١)، وقال علقمة معلقا على الآيـة السابقة: "هـو الرجـل تـصيبه المـصيبة فـيعلم أنهـا مـن قِبـل الله ــ تعـالى ــ فيـسلّم ويرضى"٠(الطبري،ب.ت،ج١١٥:١٢)، ويؤكد (قطب) ذلك، بقوله: "وقد فسَرها بعض الـسلف بأنها الإيمان بقدر الله والتسليم له عند المصيبة، وعن ابن عباس يعني يهدي قلبه هداية مطلقـة، ويفتحه على الحقيقة اللدنية المكنونة، ويصله بأصل الأشياء والأحداث، فيـرى هنـاك منـشأها وغايتها، ومن ثم يطمئن ويقر ويستريح، ثم يعرف المعرفة الواصلة الكلية فيستغني عن الرؤية الجزئية المحفوفة بالخطأ والقصور" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦: ٣٥٨٨)

ويشير(قطب) إلى أن: "نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس، وتفتح له من أبواب المعرفة، وتفيض فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان، ومن ثم يجد فيه الهدى، كما يستروح فيه البشرى، وكذلك نجد القرآن يكرر هذه الحقيقة في مناسبات شتى، هدى للمتقين، هدى لقوم يؤمنون، هدى لقوم يوقنون، شفاء ورحمة للمؤمنين، فالهدى ثمرة الإيمـان والتقـوى واليقين"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج١ : ٩٣)

ح- العقيدة الصحيحة تنمي الفضائل لدى المسلم: والإيمان يربي في المسلم الانتماء إلي الأمة المسلمة عن طريق الانتماء إلي الخالق: ويؤكد (قطب) ذلك بقوله: "إن شريعة الله للنـاس هـي طرف من قانونه الكلي في الكون، فإنفاذ هذه الشريعة لا بد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق

بين سيرة الناس وسيرة الكون، والشريعة إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير، فهي موضوعة لتنفذ في مجتمع مسلم، كما أنها موضوعة لتساهم في بناء المجتمع المسلم، وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني، ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير، ونظافة في الشعور، وضخامة في الاهتمامات، ورفعة في الخلق، واستقامة في السلوك . . . وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية، فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود)(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٧)، وتربي فيه الفضائل الثابتة: كالأمانة، والصدق، وطهارة القلب، ونظافة السلوك، ونحو ذلك مما يحتاجه الأفراد والقادة، ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ...}**(الشورى:٣٧)، فيقول: "وطهارة القلب، ونظافة السلوك من كبائر الإثم والفواحش أثر من آثار الإيمان الصحيح، وضرورة من ضرورات القيادة الراشدة، وما يبقى قلب على صفاء الإيمان ونقاوته وهو يقدم على كبائر الذنوب والمعاصي ولا يتجنبها، وما يصلح قلب للقيادة وقد فارقه صفاء الإيمان وطمسته المعصية وذهبت بنوره".(قطب، ١٩٨٦،ج٥ : ٣١٦٤)، والإيمان يرسخ اليقين في انتصار الحق وعدم اليأس من هزيمة الباطل: إذا صدق إيمان المرء، استيقن واقتنع أن العاقبة للمتقين، وأن الحق سينتصر ولو بعد حين، ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "وقد جعل الله انتصار الحق سنة كونية كخلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، سنة لا تتخلف، قد تبطئ، تبطئ لحكمة يعلمها الله، وتتحقق بها غايات يقدرها الله، ولكن السنة ماضية، وعد الله لا يخلف الله وعده، ولا يتم الإيمان إلا باعتقاد صدقه وانتظار تحققه".(قطب، ١٩٨٦ ،ج٥: ٢٦٦٦)

ط- العقيدة الصحيحة تؤدي إلى القضاء على كثير من الأمراض الاجتماعية: إن المرء إذا آمن إيمانا حقيقيا فإنه لا يؤذي جاره ولا يبخل عن ضيفه، يحب لله ويبغض لله، ولا يقول إلا خيرا، ويبتعد عن الهجران والقطيعة، سواء لزوجه أو للناس من حوله، ولا ينافق: قال رسول الله ﷺ: "لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث".(ابن الحجاج، ١٩٨٧:ج١٦ : ١١٨)

ويشرح (قطب) قول جعفر للنجاشي: "وإنها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول ﷺ تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية . تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال . . إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع، تزكية ترتفع

بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه ، ويتعامل مع الملأ الأعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوي الكريم ٠

ويعلمهم الكتاب والحكمة . . يعلمهم الكتاب فيصبحون أهل كتاب، ويعلمهم الحكمة فيدركون حقائق الأمور، ويحسنون التقدير ، وتلهم أرواحهم صواب الحكم وصواب العمل وهو خير كثير وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . . ضلال الجاهلية التي وصفها جعفر بن أبي طالب لنجاشي الحبشة حين بعثت قريش إليه عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ليكرهاه في المهاجرين من المسلمين، ويشوها موقفهم عنده، فيخرجهم من ضيافته وجيرته . . فقال جعفر: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف . . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦: ٣٥٦٥)

ي- العقيدة الصحيحة تنفِّذ سنن الله في أرضه وتلبي حاجات الإنسان الفطرية وتحرر الإنسان من الخرافات والأوهام والأساطير والأباطيل: يوضح (قطب) إلى أنّ: "الإيمان بالله، وعبادته على استقامة، وإقرار شريعته في الأرض . . . كلها إنفاذ لسنن الله"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ٢٨٣)، فـ"الإيمان بالله نور تشرق به النفس، فترى الطريق، ترى الطريق واضحة إلى الله، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب، غبش الأوهام وضباب الخرافات، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار". (قطب، ١٩٨٦ ،ج٤ :٢٠٨٥)

"والإيمان بالغيب يلبي حاجة الفطرة البشرية إلى مجهول، والمجهول يحيط بها حيثما اتجهت، وفيها هي الاستجابة لمواجهة هذا المجهول، وفيها الرغبة الفطرية في الخروج من قيد الحس الذي يقف عنده الحيوان، ويتجاوز الإنسان لينطلق مع خصائصه التي تفرقه عن الحيوان"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٣٦٩)

ويقول أيضا: "إنه الغيب . . إنه المجهول . . والعقل البشري – تلك الذبالة القريبة المدى – إنما يسبح في بحر المجهول، فلا يقف إلا على جزر طافية هنا وهنالك يتخذ منها معالم في الخضم، ولولا عون الله له، وتسخير هذا الكون، وتعليمه هو بعض نواميسه، ما استطاع شيئا . . ولكنه

لا يشكر . . وقليل من عبادي الشكور . . بل إنه في هذه الأيام ليتبجح بما كشف الله له من السنن، وبما آتاه من العلم القليل . . يتبجح فيزعم أحيانا أن "الإنسان يقوم وحده" ولم يعد في حاجة إلى إله يعينه ! ويتبجح أحيانا فيزعم أن "العلم" يقابل "الغيب" وأن "العلمية" في التفكير والتنظيم تقابل "الغيبية" وأنه لا لقاء بين العلم والغيب، كما أنه لا لقاء بين العقلية العلمية. . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى . . [النجم:٢٩] وأن الغيب كله لله: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو . . . [الأنعام:٥٩] وأن الذي يعلم الغيب هو الذي يرى: أعنده علم الغيب فهو يرى ؟ . . [النجم:٣٥] . . . وهي ناطقة بذاتها عن مدلولاتها . . وليستيقنوا أن "الغيب" هو الحقيقة "العلمية" الوحيدة المستيقنة من وراء كل التجارب والبحوث والعلم الإنساني ذاته ! وأن "العلمية " في ضوء التجارب والنتائج الأخيرة مرادفة تماما "للغيبية " . . أما الذي يقابل الغيبية حقا فهو "الجهلية" !!! الجهلية التي تعيش في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر – ربما – ولكنها لا تعيش في القرن العشرين٠

عالم معاصر – من أمريكا – يقول عن "الحقائق" التي يصل إليها "العلم" بجملتها: "إن العلوم حقائق مختبرة؛ ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته . ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ، وهي تبدأ بالاحتمالات، وتنتهي بالاحتمالات كذلك . . وليس باليقين . . ونتائج العلوم بذلك تقريبية، وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات؛ ونتائجها اجتهادية، وقابلة للتعديل بالإضافة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :١١١٥)

ثانيا: المقوم العلمي

مقدمة:

لا تستقيم أعمال الإنسان إلا بالعلم اليقيني الذي هو ترقِّي العقل إلى درجة الإحاطة بما يكتنف الإنسان من أسباب السعادة والشقاء، أو تنازع البقاء الذي هو حياة القوي بموت الضعيف، وإنما يتيسر وصول العقل إلى هذه الدرجة من العلم بالتعلم والتهذيب إذا روعي فيهما جانب الفضيلة على وجه يشعر معه المتعلم أنه إنما يتعلم ليعمل فينفع نفسه وبني جنسه بالعلم٠(العظم، ٢٠٠٤: ١٢٠)

ومن المسلّم به أن الإسلام يقوم على ثلاثة دعائم رئيسة، أولها الإيمان، وثانيها العلم، وثالثها العمل، والارتباط بين الدعائم الثلاثة وثيق للغاية٠(سلطان، ١٩٨٠: ١٥٦)

ويؤكد (زيدان) بأن العلم سابق للعمل في الإسلام مستشهدا بقوله تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ}**٠(محمد :١٩)، فقدّم الله تعالى العلم على العمل، ومعرفة لا إله إلا الله تكون

للاعتقاد، وتكون للعمل، لا لأحدهما دون الآخر، وهذا ما ذكره البخاري: "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل وأراد أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ٠٠٠ وحتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه، فبدأ بالعلم، أي حيث قال فاعلم أنه لا إله إلا الله ثم قال واستغفر لذنبك والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو متناول لأمته"٠ (العسقلاني،ب.ت ،ج١: ١٦٠)، ولعلّ ما ذكره ابن حنبل يوضح ذلك عندما قال: "حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب النبي ﷺ: إنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم والعمل" ٠(ابن حنبل، ب٠ت، ج٥: ٤١٠)

وقال علي بن أبي طالب: "إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها"٠(جلال، ١٩٧٧:٢٣)

والواقع أن تقديم العلم على أي عمل ضروري للعامل حتى يتعلم ما يريد فيقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضروريا فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله؛ لأن ما يقوم به من الدين ومنسوب إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلا بما يريده ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم؛ فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرّمه٠

والأخذ بالعلم الصحيح امتثال لقول النبي ﷺ عندما ذكر له رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"٠(الترمذي، ب٠ت، ج٥: ٥٠)، وقول النبي ﷺ: "فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد"٠(الترمذي، ب٠ت، ج٥: ٤٨) (زيدان، ١٩٨١: ٣١٥)، فالعلم والعمل صنوان لا ينفصلان لتتم الفائدة منهما، فالعلم المجرد الذي يختزن في الصدور، ولا ينتفع منه عن طريق العمل الخيِّر هو ليس بعلم نافع، كما أن العمل الارتجالي، الذي لا يستند إلى معرفة وعلم وتخطيط، هو عمل معرض للخطأ وإعطاء نتيجة عكسية٠(يالجن، ١٩٩٧: ٣٤٧)

والجهل ضلال لا يعلمه إلا الله، ضلال الخرافات، ضلال الشركيات، ضلال الجهل والتخلف، ضلال التبعية والتقليد، ضلال الذلة والصغار لأمم الأرض، فلما أتى النبي ﷺ ماذا فعل؟ هل قال للناس إنكم بحاجة إلى مصانع؟، أو صوامع للغلال والحبوب؟، أو منتجات أو مأكولات أو

مشروبات؟، فكلهم بحاجة إلى هذه الأمور، ولكنها ذرّة في مسألتها وفي رسالته التي جاء من أجلها ﷺ، فأعرض النبي ﷺ عن هذه تماما وتركهم في بيوت الطين، يركبون الحمير والجمال، ويأخذون الماء على ظهورهم في القرب، ويأكلون خبز الشعير، ولكنه ﷺ عقد الندوات والحلقات، وأرسل العلم في الدنيا ليحرر الإنسان من جهل الخرافة، فإنه إذا تعلم هذا الإنسان فسوف يفجر الدنيا، وسوف يوجه البشرية إلى بر الأمان ٠(القرني، ١٩٩١ :٢٠ ،٢١)

١- **تعريف العلم:** أطلقت كلمة العلم في تاريخ الحضارة الإسلامية على الأنساق المعرفية المختلفة، ولذلك أطلقت على علوم القرآن والحديث والفقه والكلام٠٠٠وهكذا ٠(علي، ١٩٩١ :٢٨٩)

والعلم لغة: "من عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً نقيض جَهِل"٠(الفراهيدي،ب٠ت، ج٢: ١٥٢)

أما العلم اصطلاحا فهو: "كل معرفة مستندة إلى استدلال"٠(عبد الحليم، ٢٠٠١: ٣٣) ويتبنى (عبد الحليم) تعريف (كارين وصند) بأن للعلم ثلاثة مكونات هي: الاتجاهات العلمية والمعرفة العلمية والطريقة العلمية٠

ومن خلال التعريف السابق نرى أن المفهوم الغربي للعلم قاصر على الجانب الحسي العقلي فقط، أي الماديات في الكون، ويقوم على الملاحظة والتجربة، بينما نظرة الإسلام للعلم تتسع لتشمل إضافة إلى عالم الشهادة عالم الغيب، والآيات القرآنية تبين ذلك ومنها قوله تعالى عن عالم الغيب: **{وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}** (الأنعام:٧٣)، وقوله تعالى عن عالم الشهادة: **{وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}** (يونس:٥)، ويشير (قطب): "ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها، لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة ، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة، ولا يتفقان في حكم واحد على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون، فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال . . هذا يرى ظاهرا من الحياة الدنيا؛ وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة للظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة ، والموت والحياة، والماضي والحاضر والمستقبل، وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء"٠(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٢٧٥٩)

وهناك مصطلحا المعرفة والفكر أوالتفكير اللذان قد يختلطان بمفهوم العلم على كثير من القراء، ولذلك سيعرفهما الباحث من أجل تجلية الأمور وإيضاحها:

أما المعرفة: فهي من: "عرف يعرف معرفة وعرفانا: عَلِم"٠(الفيروز آبادي، ١٩٩٥: ١٠٨٠) و وتنقسم المعرفة إلى قسمين:

أ- المعرفة الاعتيادية: وتعرف بالذوق العام وهي مجموعة المفاهيم والأفكار والتصورات والقضايا التي يكونها الإنسان في حياته اليومية عن العالم الخارجي بكل ما فيه من موجودات وحركات وظواهر مختلفة٠(خليل، ١٩٧١ :١١٩)، ومن ذلك ما قاله (قطب): "وهذه الآيات معروضة للأنظار، يراها العالم والجاهل، ولها في القلب البشري روعة مباشرة، ولو لم يعلم الإنسان شيئاً عن حقيقتها العلمية، فبينها وبين الكائن البشري صلة أعمق من المعرفة العلمية ٠ بينها وبينه هذا الاتصال في النشأة، وفي الفطرة، وفي التكوين، فهو منها وهي منه، تكوينه تكوينها، ومادته مادتها، وفطرته فطرتها، وناموسه ناموسها، وإلهه إلهها . . فهو من ثم يستقبلها بحسه العميق في هزة وإدراك مباشر لمنطقها العريق ! لهذا يكتفي القرآن غالبا بتوجيه القلب إليها، وإيقاظه من غفلته عنها، هذه الغفلة التي ترد عليه من طول الألفة تارة، ومن تراكم الحواجز والموانع عليه تارة، فيجلوها القرآن عنه، لينتفض جديداً حياً يقظاً يعاطف هذا الكون الصديق، ويتجاوب معه بالمعرفة القديمة العميقة الجذور" ٠ (قطب،١٩٨٦،ج٥: ٣١٢٤)

ب- المعرفة العلمية: وتعرف بأنها مجموعة المفاهيم والمبادئ والقضايا والنظريات التي يتوصل إليها العلماء لتعليل أو شرح الحوادث في الطبيعة والتنبؤ بحالاتها في المستقبل، ابتغاء رسم صورة علمية عن حقيقة العالم الخارجي٠(خليل، ١٩٧١ : ١٢٠)

ويعلّق (قطب) بأنه: "ليس لنا أن نتلمس للنصوص القرآنية مصداقا من النظريات التي تسمى "العلمية" – حتى ولو كان ظاهر النص يتفق مع النظرية وينطبق – فالنظريات "العلمية" قابلة دائما للانقلاب رأسا على عقب، كلما اهتدى العلماء إلى فرض جديد، وامتحنوه فوجدوه أقرب إلى تفسير الظواهر الكونية من الفرض القديم الذي قامت عليه النظرية الأولى، والنص القرآني صادق بذاته، اهتدى العلم إلى الحقيقة التي يقررها أم لم يهتد، وفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية، فالحقيقة العلمية قابلة للتجربة – وإن كانت دائما احتمالية وليست قطعية – أما النظرية العلمية فهي قائمة على فرض يفسر ظاهرة كونية أو عدة ظواهر، وهي قابلة للتغيير والتبديل والانقلاب . . ومن ثم لا يحمل القرآن عليها ولا تحمل هي على القرآن، فلها طريق غير طريق القرآن، ومجال غير مجال القرآن"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ١٨٥٨ ،١٨٥٩)، ويبين أنّ: "المشاهدة الأولية الساذجة تقنع بصدق هذه العجيبة! العجيبة التي يمرون عليها غافلين، عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء، يحتك بعضه ببعض فيولد ناراً، ثم يصير هو وقود النار، بعد اللدونة والاخضرار . . والمعرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التي يختزنها الشجر الأخضر

من الطاقة الشمسية التي يمتصها ، ويحتفظ بها وهو ريان بالماء ناضر بالخضرة؛ والتي تولد النار عند الاحتكاك، كما تولد النار عند الاحتراق . . هذه المعرفة العلمية تزيد العجيبة بروزاً في الحس ووضوحاً، والخالق هو الذي أودع الشجر خصائصه هذه، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، غير أننا لا نرى الأشياء بهذه العين المفتوحة ولا نتدبرها بذلك الحس الواعي، فلا تكشف لنا عن أسرارها المعجبة، ولا تدلنا على مبدع الوجود، ولو فتحنا لها قلوبنا لباحت لنا بأسرارها، ولعشنا معها في عبادة دائمة وتسبيح"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥ :٢٩٧٧)

والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم يقال لإدراك الكلي والمركب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام وعلم الآثار وغيره ٠(أنيس وآخرون،١٩٧٢: ٦٢٤)

ويبين (قطب) بأنّ: "العقل بمصاحبة وحي الله وهداه بصير، وبترك وحي الله وهداه أعمى، واقتران الحديث عن تلقي الرسول ﷺ من الوحي وحده، بالإشارة إلى العمى والبصر، بالسؤال التحضيضي على التفكير: إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل: هل يستوي الأعمى والبصير: أفلا تتفكرون ؟"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ١٠٩٩)

ويؤكد (قطب) بأنّ: "الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني – أيا كانت الأدوات المتاحة له – فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها . . فمن الخطأ المنهجي – بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته – أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري! هذا بالقياس إلى "الحقائق العلمية" . . والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى "علمية"، ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه . . وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها . . فهذه كلها ليست "حقائق علمية" حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض، كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية، إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق! ومن ثم فهي قابلة دائما للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب، بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة"٠(قطب،١٩٨٦،ج١ : ١٨١ ،١٨٢)

٢– أهمية العلم والمعرفة: للعلم والمعرفة في الإسلام أهمية عظيمة، حيث جعل الله العلم طريق الأنبياء، فقال تعالى: **{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}** (يوسف:١٠٨)،

ويعلّق (قطب) على هذه الآية: "ونقف من هذا الحشد على معلم من معالم هذا المنهج في الدعوة إلى الله – على بصيرة – دعوة تخاطب الكينونة البشرية بجملتها، ولا تخاطب فيها جانبا واحدا من قواها المدركة . . جانب الفكر والذهن، أو جانب الإلهام والبصيرة، أو جانب الحس والشعور"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٠٦٩)

وأول آية نزلت على النبي ﷺ بصيغة الوجوب والحث (اقرأ) بالحديث عن نعم الله وآلائه ومنها "التعلُّم والتعليم": **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{٥}}**٠(العلق:١-٥)، وعروس القرآن بدأت بالعلم: **{الرَّحْمَنُ{١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ{٢} خَلَقَ الْإِنسَانَ{٣}}**٠(الرحمن :١-٣)، ويفسر (ابن كثير) هذه الآيات بقوله: "فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة٠٠٠ وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة، وفيه أيضا: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم"٠(ابن كثير، ١٩٨٠،ج٤: ٥٢٩)

وانظر كيف استشهد الله تعالى على وحدانيته، وعلى ألوهيته، وهي أعظم شهادة، فاستشهدهم وترك غيرهم ممن شهدوا له بالوحدانية، فقال تعالى: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**٠(آل عمران:١٨)(القرني، ١٩٩١ :٩٦)، وأقسم الله تعالى بـ: **{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}**٠ (القلم :١)، وقوله تعالى: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}**٠(العنكبوت:٤٣)، والقرآن ينظر إلى العلم على أنه سبيل لسيادة الإنسان، والعلماء هم موطن الإكرام والسيادة: **{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** (المجادلة:١١)، ويرد (قطب) على ذلك بقوله: "وقد كانت المناسبة مناسبة قرب من الرسول ﷺ لتلقي العلم في مجلسه، فالآية تعلّمهم: أن الإيمان الذي يدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر، والعلم الذي يهذب القلب فيتسع ويطيع؛ يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات"٠ (قطب،١٩٨٦،ج٦: ٣٥١٢)

وجعل الله تعالى أشد الناس خشية له هم العلماء: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}**٠(فاطر:٢٨)(علي، ب٠ت: ١٥ ،١٦)، وجعل الله العلم نورا والجهل ظلمات فقال تعالى: **{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**(الأنعام :١٢٢)، ويعلق قطب على الآية بقوله: "كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين، قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف، كانت قلوبهم مواتا، وكانت أرواحهم ظلاما . . ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء، ويفيض منها النور

فتمشي به في الناس تهدي الضال، وتلتقط الشارد، وتطمئن الخائف، وتحرر المستعبد، وتكشف معالم الطريق للبشر وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد . الإنسان المتحرر المستنير، الذي خرج بعبوديته لله وحده من عبودية العبيد! أفمن نفخ الله في روحه الحياة، وأفاض على قلبه النور . . كمن حاله أنه في الظلمات، لا مخرج له منها؟ إنهما عالمان مختلفان شتان بينهما شتان! فما الذي يمسك بمن في الظلمات والنور حوله يفيض ؟"٠(قطب،١٩٨٦،ج٣: ١٢٠٢)

فهذه بعض الآيات الكريمة، أما عن الأحاديث فكثيرة هي، فالنبي ﷺ اشترط لفكاك أسرى بدر من المشركين تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، ومنها قوله ﷺ: "الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما"٠(ابن ماجة، ب٠ت، ج٢: ١٣٧٧)

وقول النبي ﷺ: "إن العلماء ورثة الأنبياء إن العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"٠(أبن ماجة، ب.ت، ج١: ٨١)، وقول النبي ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"٠(أبو داود،ب٠ت،ج٢ ٣٤١)، ومن أراد الله به خيرا علمه الدين وفقهه فيه كما يقول النبي ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"٠ (البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٣٩)، وقول النبي ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"٠(ابن ماجة،ب.ت، ج١:٨١)، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة: قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج١: ٨٣)

وعن النبي ﷺ: أنه قال لعائشة أم المؤمنين: "إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٢: ١١٠٤)، وورد عن ابن عمر أنه قال: "مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة"، وصح عن الشافعي قوله: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"٠(الشربيني، ١٩٩٧،ج١: ١٣)، ومن طريف ما يروى عن عبد الله بن المبارك ــ وهو أحد علماء المسلمين ــ أنَّه قيل له: "لو أن الله أعلمك بأنك تموت في العَشاء فما تصنع في يومك ؟ فقال أقوم وأطلب العلم"٠(شلبي،١٩٨٢: ١٢٢)

٣- بعدا العلم: للعلم بعدان ديني ودنيوي، ولا علم بغير عمل، فالبعد الديني يكون مفاهيم الإنسان عن الكليات التي تفسر له عالم الغيب والشهادة، عالم الآخرة والأولى، عالم ما وراء الطبيعة وعالم الكون الطبيعي، والبعد الدنيوي يكون له مفاهيم عن عالم الشهادة، عن الكون الطبيعي، وعن قوانينه وخصائصه، وأسراره وأفعاله، وكنوزه ومكنوناته حتى يستثمرها لصالح البشرية، وعمارة الأرض وبناء الحضارة عليها٠

وهدف اكتشاف العالمين هو التبصر بحقيقة الوجود حتى نعبد الله على بينة، وهو المعرفة لظواهر الكون حتى يمكن تسخيرها لتعمير الأرض؛ ولذلك فأي علم لا ينتفع به هو علم ضائع، ومن أجل ذلك يحذر النبي ﷺ من علم لا ينفع، وكما يقول الأغا: "إن المعرفة جسم العلم أو هيئته، والفكر أسلوبه، والعمل طريقته، والإيمان مرشده"٠(الأغا، ١٩٩٤: ٢٣١)

ولذلك يعتبر (قطب) أنه من النقص الخطير تعلّم أمور الدنيا دون تعلم ما وراءها: "فالاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر يحتاج إلى علم بمسالكها ودوراتها ومواقعها ومداراتها . . كما يحتاج إلى قوم يعلمون دلالة هذا كله على الصانع العزيز الحكيم . . فالاهتداء - كما قلنا - هو الاهتداء في الظلمات الحسية الواقعية، وفي ظلمات العقل والضمير . . والذين يستخدمون النجوم للاهتداء الحسي، ثم لا يصلون ما بين دلالتها ومبدعها، هم قوم لم يهتدوا بها تلك الهداية الكبرى؛ وهم الذين يقطعون بين الكون وخالقه، وبين آيات هذا الكون ودلالتها على المبدع العظيم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :١١٥٩)

٤- مفهوم العالِم في الإسلام: فالعالِم في الإسلام لا يقتصر على الفقيه الديني، وإنما عالم العلوم الطبيعية والكونية وفروعها هو عالم بالمفهوم الإسلامي، وإذا تدبرنا الآيات القرآنية لعرفنا أن القرآن يعني بالعلماء علماء الطبيعيات وغيرها: **{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}**٠(فاطر:٢٨)، والقرآن اهتم بالطبيعيات لأن الإنسان مستخلف في الأرض، ومعنى الخلافة تعميرها، ولا يمكن ذلك إلا بدراسة ظواهرها الطبيعية والبشرية، وإمكاناتها ومواردها الطبيعية، وبدراسة واستكشاف أسرارها حتى يمكن تسخيرها: **{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ}**٠(الجاثية:١٣)، ولأن علماء المسلمين الأوائل فهموا هذا المعنى؛ لذلك اندفعوا لدراسة الكون والطبيعة، ودرسوا ما وصل إليه سابقوهم ومحّصُوه ونقّحوه وأضافوا إليه الكثير٠

لكن اقتصار العلم على علوم الدنيا دون الآخرة هو مخالفة واضحة للدين: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}**٠(الروم:٧) (سلطان، ١٩٨٠: ١٦٦، ١٦٧)، ويقرر(قطب) بأنّ: "هذا التناسق في تصميم الكون، لا يكون إلا ووراءه يد تنسقه، وحكمة تقدره، وإرادة تدبره،

يدرك هذا بقلبه وحسه كل إنسان حين توجه مشاعره هذا التوجيه، فإذا ارتقى في العلم والمعرفة تكشفت له من هذا التناسق آفاق ودرجات تذهل العقول وتحير الألباب . وتجعل القول بأن هـذا كله مجرد مصادفة قولا تافها لا يستحق المناقشة، كما تجعل التهرب من مواجهة حقيقة القـصد والتدبير في هذا الكون، مجرد تعنت لا يستحق الاحترام"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٦: ٣٨٠٦)

٥- الأهداف العامة للعلم بشكل عام: للعلم بشكل عام أهداف، وهي:

أ- الوصف والتفسير ٠

ب- التنبؤ: ويوضح (قطب) أنه: "تقدمت دراسة نظرية المـصادفة والاحتمـال مـن الوجهـة الرياضية تقدما كبيرا، حتى أصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث بعض الظواهر ، التي نقول: إنها تحدث بالمصادفة، والتي لا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخـرى"٠(قطـب، ١٩٨٦،ج٢: ١١٥٤)

ج- الضبط والتحكم ٠ (الدمرداش، ١٩٨٧ :٢٢٩ -٢٣١)

٦- خصائص العلم في الإسلام: للعلم في الإسلام خصائص تميزه وهي:

أ- علم يقيني (عدم اتباع الظن): **{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**٠(الإسراء:٣٦) (أحمد وإبراهيم،١٩٩٩: ٥٢ ،٥٨)، ويعلق (قطب)على الآيات: "وما شك رسول الله ﷺ ولا امترى، ولقد ورد أنه ﷺ عندما أنزل الله عليه: فإن كنت في شك ممـا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك، فـلا تكـونن مـن الممترين . . قال: لا أشك، ولا أسأل"٠(الصنعاني، ١٩٨٢، ج٦: ١٢٥) (قطـب،١٩٨٦ ،ج٣: ١١٩٥)

ب- التراكمية والاستمرارية: فهو يشبه الصرح، فالمعرفة العلمية تراكمية البناء، تنمـو أفقيـا وعموديا، ونحن نبدأ من حيث انتهى الآخرون، ويترتب على ذلك أن هناك معرفـة سـابقة أو ضرورية لتعلم معرفة جديدة أو لاحقة، فالعلم لا يأتي دفعة واحدة، بل على مراحل، وإذا جـاء دفعة واحدة ذهب دفعة واحدة، قال تعالى: **{ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِـنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً}**٠(الحج:٥)(زيتون، ١٩٩٦: ٢٨) ويفسرها (قطب) بقوله: "ولا ضير – وفق روح الإسلام وتوجيهه – من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة، علما وتطبيقا . . مع ربطها بالمنهج الإيماني: من ناحية الشعور بها، وكونها من تسخير الله للإنسان، ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية، وتوفير الأمن لهـا والرخاء، وشكر الله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوى والطاقات الكونية، شكره بالعبـادة، وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية . . فأما التلقي عـنهم فـي التـصور

الإيماني، وفي تفسير الوجود، وغاية الوجود الإنساني، وفي منهج الحياة وأنظمتها وشـرائعها، وفي منهج الأخلاق والسلوك أيضا . . أما التلقي في شيء من هذا كله، فهو الذي تغيـر وجـه رسول الله ﷺ لأيسر شيء منه، وهو الذي حذر الله الأمة المـسلمة عاقبتـه، وهـي الكفـر الصراح"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٤٠)

ج- الشمولية: فهو يشمل علمي الدنيا والآخرة، قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِـنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاء}** (فاطر:٢٨)، فهو يشمل الخشية من الله وتقواه، وإصلاح الكون وتعميره، والقيام بكل ما فيه خير الإنسان والأمة في الدنيا والآخرة٠(جلال، ١٩٧٧:٢٣)

د- التكافؤ في الفرص للمتعلمين، فالعلم للجميع رجالا ونساء، فقد روى البخاري أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، "فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيـه تعلمنا مما علمك الله فقال: [اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكـذا]، فـاجتمعن فأتـاهن رسول الله ﷺ فعلّمهن مما علّمه الله"٠ (البخاري، ١٤٠٧، ج٦: ٢٦٦٦)

هـ- نفعية العلم: قال تعالى: **{وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاس}**٠(الحديد:٢٥)

و- منشط إنساني عالمي: بمعنى أنه أسهمت فيه وشاركت في إقامة صرحه حضارات وشعوب، فكل ما ينتجه شعب من الشعوب يأخذه آخر ويبني فوقه كله أو فوق بعـضه وهكـذا، أي يبـدأ الإنسان فيه من حيث انتهى الآخرون ٠

ز- اجتماعي (اجتماعية العلم): أي أن العلم يؤثر في المجتمع ويتأثر به ٠ (عبد الحليم، ٢٠٠٢: ١٩٩-٢٢٣)

٧- **أنواع طلاب العلم والمتلقين له:** أما عن أنواع المتلقين للعلم فقد قسمهم النبي ﷺ إلى ثلاثـة أنواع، بقوله: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَـأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًـا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" ٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٤٢)

ولذلك مثّل (ابن القيم) لهذين الصنفين النافعين من الصحابة والتابعين فعدَّ من الطبقـة الأولـى للصحابة أبا هريرة، ومن الطبقة الثانية ابن عباس ٠(ابن قيم الجوزيـة، ١٩٨٤ : ٧٢)، وفـي حديث آخر يوضح النبي ﷺ أنواع المتلقين، فيقول ﷺ: "فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلَّغ أوعـى من سامع"٠(البخاري، ١٩٨٧، ج٢: ٦٢٠)

ويعيب (القرني) على بعض طلبة العلم ومن الذين ينتسبون إليه ممن يهونون شأنه، وذلك أنهم إذا سمعوا بشاب قد حفظ متناً من المتون كصحيح البخاري أو رياض الصالحين مثلا، قالوا: زاد نسخة في البلد، فيقول (القرني): ومعنى قولهم أنه ليس في ذلك فائدة، بل هذا جهل بالفائدة، لا والله ما زاد نسخة في البلد، بل زاد عالماً جهبذا حافظا علّامة يوجه الأجيال بإذن الله تعالى، والله تعالى امتدح الحفَّاظ فقال عن الملائكة: **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ{١٠} كِرَاماً كَاتِبِينَ{١١}}**. (الانفطار:١٠ -١١)، فمدحهم بالحفظ، وقال عن الحفظ: **{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}**(العنكبوت:٤٩)، فنحن لا ننطلق إلا من علم ولا ندعو إلا إلى علم ولا تصلح الدعوة إلا بعلم.(القرني، ١٩٩١ :٦٨ -٩٦)

وكان الصحابة الكرام أكثر الناس حفظا للقرآن الكريم والحديث، ويكفي ما ذُكر عن أبي هريرة أنه حفظ الآلاف المؤلفة من الأحاديث دون أن ينسى حرفا واحدا فضلا عن كلمة واحدة .

٨- **مصادر العلم وأدواته:** للعلم مصدران إلهي وبشري، ويمكن للإنسان بما لديه من أدوات أن يتفهم هذين المصدرين، ومن الملاحظ أن المصدرين متكاملان بردهما إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الذي خلق الإنسان، وركب فيه إمكانيات الوصول إلى المعرفة، وهداه إليها، فالعلم مكتسب وليس وراثيا، ولنقف قليلا مع المصدرين:

أولا: المصدر الإلهي (الوحي): ويقصد به الإعلام في خفاء، بمعنى أن غير الموحى إليه لا يعلم شيئا، ويمكن أن يتم بصوت مجرد عن الكلمات أو بالإشارة، ومن الوحي الإلهام، وهو مصدر مباشر من الله سبحانه وتعالى، ويعرفه علماء المسلمين بأنه: ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به أنباء الغيب والشرائع والحكم، والله يوحي لخلقه ما يشاء، وعلم الله مطلق غير مقيد، وهو بذلك يتخطى حدود الزمان والمكان. (بلبول، ١٩٨٠: ٧)

ومن الوحي القرآن والسنة اللذان يستمد منهما المسلم معارفه ومداركه، خاصة في الأمور الغيبية المتعلقة بالإلهيات والعقائد، ومسائل الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، والأمور الخلقية، وهو الوحي الإلهي الذي ينزله الله تعالى على رسله ليكون لهم ولمن تبع هداهم واهتدى بهديهم، وللناس كافة مصدر معرفة وتوجيه، فالوحي بعد نزوله على الرسول ﷺ مصدر معرفة وهداية للناس جميعا .(الشيباني، ١٩٩٠: ١٨٥)

ويمثله قوله تعالى: **{وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}** (النساء:١١٣)، وقوله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}**.(البقرة:٣١)، و قوله تعالى: **{فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً}**.(الكهف:٦٥)

ثانيا: المصدر البشري: ويستطيع الإنسان الوصول إليه بعدة طرق منها المحاكاة والتقليد، وقد ومن ذلك قوله تعالى: **{فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}**٠(المائدة:٣١)، وفي قصة حفر الخندق حول المدينة كذلك ٠

وللعلم أدواته التي يجب على الإنسان الأخذ بها، وقد امتنَّ الله على الإنسان بأدوات العلم والمعرفة بقوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}**٠(المؤمنون:٧٨) ويفسرها قطب بقوله: "والقرآن يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية، وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل، وأول الشكر: الإيمان بالله الواحد المعبود"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٨٦)

٩- مراحل كسب العلم والمعرفة:

أ- مرحلة الاستعداد: **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا}**٠(النحل:٧٨)

ب- مرحلة التمييز وإدراكات الحواس: **{وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**٠(النحل:٧٨)

ج- مرحلة العلم بالبديهيات العقلية: ويقول ابن حزم: "هو العلم بأن الجزء أقل من الكل، فإن الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيته تمرتين بكى، وإذا زدته ثالثة سُرّ، وهذا علم منه بأن الكل أكثر من الجزء"٠(ابن حزم، ١٩٨٢: ٤٠)

د- مرحلة تحصيل العلوم المكتسبة: وهي مرحلة استنباط النظريات من الضروريات والبديهيات التي تكونت في نفوسنا ٠

١٠- وظيفة العقل: فالعقل هو أداة للتفكير والتدبر، ولكن للعقل حدوده التي لا يمكن تجاوزها، ويؤكد (قطب) أنّ: "الذين يزعمون للعقل البشري درجة من الأصالة في الصواب كدرجة الوحي، باعتبار أن كليهما – العقل والوحي – من صنع الله فلا بد أن يتطابقا، فهؤلاء إنما يستندون إلى تقريرات عن قيمة العقل قال بها بعض الفلاسفة من البشر، ولم يقل بها الله سبحانه. والذين يرون أن هذا العقل يغني عن الوحي – حتى عند فرد واحد من البشر مهما بلغ عقله من الكبر – إنما يقولون في هذه القضية غير ما يقول الله . . فالله قد جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة، ولم يجعل هذه الحجة هي عقلهم البشري، ولا حتى فطرتهم التي فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به؛ لأن الله سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل، وأن الفطرة وحدها تنحرف، وأنه لا عاصم لعقل ولا لفطرة، إلا أن يكون الوحي هو الرائد الهادي، وهو النور والبصيرة"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ١٠٩٨)

وللعقل وظائف مختلفة يحصرها (أبو العينين) في ثلاث وظائف، هي:

أ- التفكير في أحوال العالم وسنة الله في الأرض وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ: كقوله تعالى: **{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}**٠(الأحزاب:٦٢)

ب- التفكير في المعاملات (إدراك العلل وتعليل الأحكام): **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**٠(البقرة:١٧)

ج- التفكير العلمي: **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**٠(النحل:٧٨)، فالإنسان يولد لا علم له بشيء، والله تعالى زوده بالحواس، والواجب على الإنسان استعمال هذه الحواس الظاهرة والباطنة(العقل) عن طريق النظر في مخلوقات الله والكون٠(أبو العينين، ١٩٨٥: ١٦٧ -١٦٩)، ويبين (قطب) أنّ: "العقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة، فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة: ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد . . كل أولئك كان عنه مسؤولا . . . وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجا كاملا للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثا جدا، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الل، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة !، فالتثبيت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم"٠ (قطب،١٩٨٦،ج٤: ٢٢٢٧)

١١- **أهداف تربية العقل:** لتربية العقل أهداف محددة وهي:

أ- العمل على تنمية العقل وتنويره: كما قال تعالى: **{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ{٢}}**٠(المائدة:٢)، ويتم ذلك عن طريق:

١- تزويده بالعلم الموثوق والمعرفة الصحيحة: كما قال تعالى: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ{٩}}**٠(الزمر:٩)، وكما قال النبي ﷺ: "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله"٠(الطبراني، ١٩٩٤،ج٦: ٢٥٠)

٢- حث العقل على التفكير والنظر والتدبر: قال تعالى: **{ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ{١٣٧}}**٠(آل عمران:١٣٧)، وقال تعالى: **{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ{٦٩}}**٠(النمل:٦٩)، وقال تعالى: **{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ**

قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ{٤٦}} (الحج:٤٦)، وقال تعالى: **{وَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ{١٨٥}}**٠(الأعراف:١٨٥)

٣- دعوة العقل إلى ترك ما يتوصل إليه بالظن والتخمين: كقوله تعالى: **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ}**٠(المؤمنون:٧١)، وقوله تعالى: **{ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ{١٨}}**٠(الجاثية:١٨)

ب- تعويد العقل التفكير العلمي: وذلك برفض الخرافة والأسطورة والشعوذة ، وكما قال الله تعالى: **{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً{٢١} قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً{٢٢}}**٠(الجن:١٢ ،٢٢)، وقول النبي ﷺ: من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"٠(ابن حنبل، ب. ت،ج٢: ٤٢٩)، وقول النبي ﷺ: "العرافة أولها ملامة وآخرها ندامة والعذاب يوم القيامة"٠(الطيالسي، ب.ت،ج١: ٣٢٩)، ويؤكد(قطب) أنّ: "الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة، ولكن أضر منه وأخطر، التنكر للمجهول كله وإنكاره، واستبعاد الغيب لمجرد عدم القدرة على الإحاطة به . . إنها تكون نكسة إلى عالم الحيوان الذي يعيش في المحسوس وحده، ولا ينفذ من أسواره إلى الوجود الطليق، فلندع هذا الغيب إذن لصاحبه، وحسبنا ما يقص لنا عنه، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا، ويصلح سرائرنا ومعاشنا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٥٩)

وقد ذكر القرآن التفكير المنطقي في موقعين:

أ- في قوله تعالى: **{قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٢٦٠}}**٠(البقرة:٢٦٠)

ب- وقوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{٧٤} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ{٧٥} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ{٧٦} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ{٧٧} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ{٧٨} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{٧٩}}**٠(الأنعام:٧٤ -٧٩)

فقد تدرج إبراهيم من المحسوس إلى المجرد في حواره مع أبيه وقومه، ومن الجزئيات إلى الكليات ٠ (جلال،١٩٧٧: ١١٣ -١١٤)

٤- تعويد العقل الأمانة العلمية: يقرر(قطب) أنّ: "الأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولا عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد . . . إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب . أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا . أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة . . . وفي الحديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، وفي سنن أبي داود: بئس مطية الرجل: زعموا وفي الحديث الآخر: إن أفرى الفري أن يري الرجل عينيه ما لم تريا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٢٧)

والأمانة عموما من الفضائل الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، بتجرده عن كل الشوائب والأسباب التي تؤدي للانحراف عن الحق، وذلك باتباع أنواع التجرد الثلاثة وهي:

أ- التجرد عن الهوى والميل لقوله تعالى: **{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى{٢٣}}٠**(النجم:٢٣)، وذلك بتخليص العقل من الأحكام المسبقة التي لم تقم على يقين، وهكذا حال الكافرين الذين استقرت في نفوسهم عبادة الأوثان فأعمتهم عن البراهين الواضحة فعجزوا بذلك عن إدراك الدلائل الحسية كما قال تعالى: **{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ}٠**(الأنعام:٧)(جلال،١٩٧٧: ١١٣) ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "والمفسدون هم الذين لا يؤمنون، وما يقع الفساد في الأرض كما يقع بضلال الناس عن الإيمان بربهم والعبودية له وحده، وما نجم الفساد في الأرض إلا من الدينونة لغير الله، وما يتبع هذا من شر في حياة الناس في كل اتجاه . شر اتباع الهوى في النفس والغير؛ وشر قيام أرباب أرضية تفسد كل شيء لتستبقي ربوبيتها المزيفة . . تفسد أخلاق الناس وأرواحهم وأفكارهم وتصوراتهم، ثم تفسد مصالحهم وأموالهم، في سبيل بقائها المصطنع الزائف، وتاريخ الجاهلية في القديم والحديث فائض بهذا الفساد الذي ينشئه المفسدون الذين لا يؤمنون" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٧٩٤)

ب- التجرد عن الأحكام الجزافية، لقوله تعالى: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{٥٣}}٠**(فصلت:٥٣)، ويعلق (قطب) على سورة البينة بقوله: "وكان هذا الخلاف كله بين أهل الكتاب جميعا من بعد ما جاءتهم البينة . . فلم يكن ينقصهم العلم والبيان، إنما كان يجرفهم الهوى والانحراف" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٩٥)

ج- التجرد عن العجلة والتسرع، لقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً{٨٣} فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً{٨٤}}٠**(مريم:٨٣، ٨٤)

٤- حرية التفكير: وحرية العقل في التفكير تحتاج إلى ضوابط منها:

أ- الاجتهاد: ومنه ما روى معاذ: أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن فَقَالَ كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ قَالَ أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ قَالَ فَإِنْ ﷺ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي لَا آلُو قَالَ فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرِي ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"٠(ابن حنبل،ب.ت،ج٥: ٢٣٠)

ب- رفض التقليد: فالمتفق عليه بين علماء المسلمين أن التقليد في الإيمان لا يدل على الإيمان، ومن كان مقلدا غيره في إيمانه ــ دون اقتناع ــ فليس بمؤمن؛ لأن الإيمان عمل قلبي داخلي لا يجوز فيه التقليد، واختلفوا في العبادات، ويبين (قطب) بأن الله تعالى "يحذرهم من التقليد في شأن العقيدة بغير هدى من الله، ويندد بالذين يدعون من دون الله ما لا يعقل ولا يسمع"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٥)

ج- إتاحة حرية النقد والاعتراض: وينبغي أن تكون حرية النقد والاعتراض ليست هدفا في ذاتها، بل لها ما يبررها من سبب مقبول، وشروط حرية النقد والاعتراض هي:

١- أن تكون على أمر لم يرد فيه من القرآن ولا السنة ولم ينسب للصحابة ٠

٢- ألا يحرك الهوى النقد والاعتراض ولا يكون الاعتراض لمجرد النقد والاعتراض وإثبات كسب أدبي أو مادي أو نحوه، ولذلك عاب القرآن على المشركين ذلك، ويعلق (قطب): "والخرص: الظن والتقدير الجزاف الذي لا يقوم على ميزان دقيق، والله - سبحانه - يدعوا عليهم بالقتل، فيا للهول! ودعوة الله عليهم بالقتل قضاء بالقتل! قتل الخراصون ويزيد أمرهم وضوحا: الذين هم في غمرة ساهون فهم مغمورون بالأضاليل والأوهام لا يفيقون ولا يستيقظون، والتعبير يلقي ظلا خاصا، يصور القوم مغمورين ساهين لا يشعرون بشيء مما حولهم ولا يتبينون، كأنهم سكارى مذهولون، وذلك أنهم لا يتبينون الأمر الواضح، الذي يراه ويوقن به كل واع غير مذهول؛ فهم يسألون: أيان يوم الدين؟ يسألون هكذا، لا طلبا للعلم والمعرفة، ولكن استنكارا وتكذيبا، واستبعادا لمجيئه، يعبر عنه لفظ أيان المقصود"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٣٧٦)

٣- ليس لمجرد غلبة صاحب الرأي ومنازعته وإحراجه ٠

٤- يكون الهدف منه بيان وجه الحق والصواب في الأمر المعروض، والحق أحق أن يتبع ٠

٥- أن يحسن الناقد أو المعترض تقديم وجهة نظره ملتزما بأدب الإسلام في الحوار ٠

٦- أن يكون النقد والاعتراض خارجا مخرج النصيحة لا الفضيحة ٠

٧- ألا يكون الحكم أو النقد أو الاعتراض للتشبث بالرأي والتعصب له، اتباعا لهوى النفس والشيطان، وقد نصح الله نبيه داود بعدم اتباع الهوى في الحكم بين المتخاصمين، فقال تعالى: **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}**٠(ص:٢٦)، ويعلق عليها (قطب) بقوله: "فهي الخلافة في الأرض، والحكم بين الناس بالحق، وعدم اتباع الهوى، واتباع الهوى – فيما يختص بنبي – هو السير مع الانفعال الأول، وعدم التريث والتثبت والتبين . . مما ينتهي مع الاستطراد فيه إلى الضلال، أما عقب الآية المصور لعاقبة الضلال فهو حكم عام مطلق على نتائج الضلال عن سبيل الله، وهو نسيان الله والتعرض للعذاب الشديد يوم الحساب"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠١٨)

وذم الله الذين يتخذون هواهم إلها من دون الله فقال تعالى: **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً}**٠(الفرقان:٤٣)، (عبد الحليم، ٢٠٠٢: ٥٥ ،٥٦)، وورد في المثل العربي: "آفة الرأي الهوى"٠(الميداني،ب.ت،ج٢: ١٨٢)

١٢- عيوب العقل: للعقل عيوب أهمها:

أ- تقليد السابقين دون تفكير: كقوله تعالى: **{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}**٠(الزخرف:٢٢)، وقوله: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}** (المائدة:١٠٤)، وقوله: **{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ{٢٣} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ{٢٤}}**٠(الزخرف،٢٣ -٢٤)، ويفسرها(قطب): "ومن ثم يرسم لهم صورة مزرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود، صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا تعني! بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهمية ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون صم بكم عمي، ولو كانت لهم آذان والسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون".(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٥٥)

ب- الاقتداء البليد بأصحاب السلطة الدينية دون تفكير وتدبر: **{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ{٣١} يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ{٣٢}}**٠(التوبة:٣١ – ٣٢)، وقد علّق قطب على قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ}**٠(سبأ: ٤٦) فقال: "وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق،

ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل: قل: إنما أعظكم بواحدة . . أن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد . . إنها دعوة إلى القيام لله، بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله، بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة .

دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة، ولا مع العبارات المطاطة، التي تبعد القلب والعقل من مواجهة الحقيقة في بساطتها .

دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة .

وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات، وعلى مراقبة الله وتقواه .

وهي واحدة . . إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق . القيام لله . . لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة . . التجرد . . الخلوص . . ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون .

أن تقوموا لله، مثنى وفرادى . . مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء . . وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٤١٩)

ج- الخوف والجبن أمام أصحاب السلطة الدنيوية: ولا عذر للمسلم أن يستضعف وهو قادر على الفرار بدينه، وهذا جعل المسلمين يهاجرون مرتين، من مكة إلى الحبشة، ومن مكة إلى المدينة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً}٠(النساء:٩٧)، وبذلك يرفض الإسلام أن يلغي الإنسان عقله ٠ (عبد الحليم، ١٩٩٦:٤١، ٤٢)

د- الجدل العقيم: ويوضحه (قطب) بأنه: "الجدل إذن لذات الجدل، وهو المراء الذي لا يسير على منهج، وهو الغرض إذن والهوى ومن كان هذا حاله فهو غير جدير بالثقة فيما يقول، بل غير جدير بالاستماع أصلا لما يقول"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤١٢)

١٣- أثار العلم والمعرفة: للعلم والمعرفة آثار في حياة الإنسان وهي:

أ- معرفة الله حق معرفته: فبالعلم وحده يعرف الإنسان الله حق المعرفة، وأكثر الناس معرفة بالله هم الأنبياء، وقد مدحهم الله تعالى بقوله: **{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}**٠(الأنبياء:٩٠)، وقوله تعالى في العلماء: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}**٠(فاطر:٢٨)، وقوله تعالى في المؤمنين: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}**٠(الأنفال:٢)

ب- إقامة الدين: فعلم الدين فرض عين، وعلم الدنيا فرض كفاية، وإن كانا في حقيقة الأمر متكاملين، وكما قال النبي ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"٠(ابن ماجة،ب.ت، ج١: ٨١) والله تعالى عندما خاطب المؤمنين طالبهم بإقامة الدين فقال تعالى: **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}**٠(الشورى:١٣)، وكذلك الصلاة، فلم يقل لهم صلُّوا وحسب، بل أمرهم بالإتيان بأسسها وأركانه وخشوعها وخضوعها وما يتعلق بها من النهي عن الفحشاء والمنكر، فالدين والصلاة كالبناء المرتكز على أسس وأعمدة، قال تعالى: **{وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ}**٠(البقرة:٤٣)، وفي حديث المسيء صلاته، بالرغم أنه صلى لكن النبي ﷺ أمره أن يعيد الصلاة، فمن خلال العلم نتعرف على الأركان والسنن، والحلال والحرام، والمكروه والمندوب وغيره من الأحكام، وبذلك نقيم الدين في عباداتنا ومعاملاتنا ٠

ج- كشف الشبهات: ويؤكد (قطب) بأن: "وظيفة النبي ﷺ فيهم أن يكون شاهدا، عليهم ٠٠٠ داعيا إلى الله، في طريق واحد ويصل إلى الله بإذنه . . فما هو بمبتدع، ولا بمتطوع، ولا بقائل من عنده شيئا. إنما هو إذن الله له وأمره لا يتعداه، وسراجا منيرا . . يجلو الظلمات، ويكشف الشبهات، وينير الطريق، نورا هادئا هاديا كالسراج المنير في الظلمات" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٨٧٢)، ولا تُكشف الشبهة إلا بالعلم، قال سبحانه وتعالى: **{أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}**(الرعد:١٩)، من هو الأعمى؟ الجاهل الذي لم ينصاع لرسالة الرسول ﷺ والعالم تنكشف له وليس بأعمى، قال ابن عباس: فقيه واحد أشد علي الشيطان من ألف عابد، فلا تأتيك شبهة زندقة ولا إلحاد ولا شك ولا ظلمة بسبب العلم، قال ابن دقيق العيد(٤): أُصبت في بداية حياتي بالوسواس، وسواس المعتقد، الإلهيات، الأصول، الإيمان، قال فشكوت على

٤- هو أحد فقهاء الشافعية، وينتهي نسبه إلى علي بن بي طالب رضي الله عنه ٠

العلماء حالي فقالوا عليك بطلب العلم، فطلبت العلم فأزال الله الوسواس، فدواء الوسواس والشبهات والزندقة والخرافة والتقليد والإلحاد طلب العلم .. العلم (قال الله قال الرسول ﷺ)٠

د- كبت الشهوات: فلا يكبت الشهوات إلا العلم، يقول الله تعالى وهو يتحدث عن أهل العلم في قصة موسى وقارون: **{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}**٠(القصص:٨٠)، ويفسّر (قطب) ذلك بقوله: "والراسخون في العلم يطمئنون ابتداء إلى صدق ما يأتيهم من عند الله، يطمئنون إليه بفطرتهم الصادقة الواصلة . . ثم لا يجدون من عقولهم شكا فيه كذلك؛ لأنهم يدركون أن من العلم ألا يخوض العقل فيما لا مجال فيه للعلم، وفيما لا تؤهله وسائله وأدواته الإنسانية لعلمه . .، وهذا تصوير صحيح للراسخين في العلم . . فما يتبجح وينكر إلا السطحيون الذين تخدعهم قشور العلم، فيتوهمون أنهم أدركوا كل شيء، وأن ما لم يدركوه لا وجود له؛ أو يفرضون إدراكهم على الحقائق، فلا يسمحون لها بالوجود إلا على الصورة التي أدركوها، ومن ثم يقابلون كلام الله المطلق بمقررات عقلية لهم، صاغتها عقولهم المحدودة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ :٣٧٠)

ويضرب (قطب) مثلا للذي آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها بقوله: "إنه مثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها، وأن يتبع هواه فيتبعه الشيطان ويلزمه ويقوده من خطام هذا الهوى، ومن أجل أن العلم لا يعصم يجعل المنهج القرآني طريقه لتكوين النفوس المسلمة والحياة الإسلامية، ليس العلم وحده لمجرد المعرفة، ولكن يجعل العلم عقيدة حارة دافعة متحركة لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وفي عالم الحياة أيضاً"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٣: ١٣٩٩)

هـ- تجلية للظلمات والفتن: ولذلك لما وقعت فتنة ذي النفس الزكية في خلافة العباسيين وقع فيها كثير من غوغاء الناس، ونجا منها بعض العلماء حتى أن سفيان الثوري توقف فيه، فقالوا مالك تتوقف وهي مقبلة ما تدري؟ فقال: العالم يعرف الفتنة وقت إقبالها، فإذا أدبرت يعرفها الجاهل والعالم٠ وعندما قال النبي ﷺ بأنه ستكون فتنة، فسأله علي عن المخرج فأجاب النبي ﷺ: "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"٠(الترمذي، ب.ت، ج٥: ١٧٢)

ويرى الباحث أن تحوّل بعض أهل السنَّة إلى دين الرفض(٥) (التشيّع) هوعمى ألوان ونابع عن جهل بالإسلام وبدين الرفض أيضا، وليس نتيجة الإعجاب كما يزعم المتحولون لنصر حزب اللات الرافضي المزعوم، فما النصر إلا من عند الله، وأي نصر هذا الذي يكون على حساب تدمير قرى أهل السنة في لبنان وتدمير البلاد؟، وأي نصر هذا الذي فصل بين المجاهدين من أهل السنّة في لبنان وحدود فلسطين المحتلة فصلا نهائيا بالقوات الدولية المتعاملة مع الصهاينة؟

ويعتقد الباحث أن أولئك المتحوّلين قد خسروا الدنيا والآخرة لقوله تعالى: **{وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ}**(البقرة: ١٠٨)، وقوله تعالى: **{وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}**(الأعراف:٣٠)، ويناشد الباحث علماء الأمة والحركات الإسلامية ذات العقيدة الصحيحة تحمّل مسؤولياتهم، وتجلية الأمور وتوضيحها في هذه المسألة، ولقد أعجب الباحث بكلام الشيخ الدكتور القرضاوي في منتدى إحسان عبد القدوس الثقافي بمصر في هذه القضية الخطيرة حيث حذر الروافض من التغلغل في مصر عن طريق الصوفية٠

و- إحياء للأنفس والأرواح: فرسالة الرسول ﷺ إحياء للأرواح الميتة وللأجساد، قال تعالى: **{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**٠(الأنعام:١٢٢)، فالعلم حياة للفرد والأمة٠

ز- معرفة سنن الله في الكون عن طريق ربط التفكر بالحس والنظر بالتجربة: ومن ذلك معرفة التاريخ، وفهم نواميس الكون، وكشف قوانينه، وتسخيرها لصالح الأحياء، حيث يكشف لهم أن سبب هلاك الأمم السابقة وفناء الحضارات هو البعد عن المنهج الرباني، قال تعالى: **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**٠(الروم:٩)، وبإدراكهم هذا، يتبعون المنهج الرباني، ويبتعدون عن سبيل الهالكين، ويقول تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}**٠(الرحمن:٣٣)

ويقرر(قطب) أن: "الواقع يشهد أن الحياة البشرية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أوعلى العلم، هي أبأس حياة يشقى فيها "الإنسان" مهما فتحت عليه أبواب كل شيء، ومهما

٥- وذلك لقول النبي ﷺ: "يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ يَرْفُضُونَ الْإِسْلَام"٠(ابن حنبل, ب.ت،ج١: ١٠٣)، وقوله ﷺ: "سيكون في أمتي قوم ينتحلون حبنا أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون"٠(الطبراني، ١٩٨٣،ج١٢: ٢٤٢)، وقوله ﷺ لعلي: "يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة إلا أنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يضفزون الإسلام ثم يلفظونه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم بهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون فقلت: يارسول الله ما العلامة فيهم؟ قال لايشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الأول"٠(الطبراني، ١٩٩٤،ج٦: ٣٥٥)

تضاعف الإنتاج والإيراد، ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق . . وليس مقابل هذا أن تقوم الحياة على الجهل والتلقائية! فالذين يضعون المسألة هكذا مغرضون! فإن الإسلام منهج حياة يكفل للعقل البشري الضمانات التي تقيه عيوب تركيبه الذاتي، وعيوب الضغوط التي تقع عليه من الأهواء والشهوات والنزعات، ثم يقيم له الأسس، ويضع له القواعد، التي تكفل استقامته في انطلاقه للعلم والمعرفة والتجربة، كما تكفل له استقامة الحياة الواقعية التي يعيش في ظلها – وفق شريعة الله – فلا يضغط عليه الواقع لينحرف بتصوراته ومناهجه كذلك"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ١٠٩٨)

ويعلق (قطب)على قوله تعالى: **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}** (الحجر:٢١)، بقوله: "ومدلول هذا النص المحكم: "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم يتجلى بوضوح أكثر كلما تقدم الإنسان في المعرفة، وكلما اهتدى إلى أسرار تركيب هذا الكون وتكوينه، ومدلول خزائنه يتجلى في صورة أقرب بعدما كشف الإنسان طبيعة العناصرالتي يتألف منها الكون المادي، وطبيعة تركيبها وتحليلها – إلى حد ما"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٣٤)

ح– نشر رسالة الإسلام وتبليغها للناس: قال تعالى عن النبي ﷺ: **{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}**٠(العنكبوت:١٨)، وقال تعالى عن مهمة الرسل والدعاة: **{فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}**٠(النحل:٣٥)، وقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"٠(البخاري، ١٩٩٦،ج٣: ١٠٧٧)

ط– مقاومة الغزو الثقافي الوافد من الشرق والغرب ومقارعته: وذلك لا يكون إلا بالعلم وأصدق الأمثلة على ذلك الشيخ أحمد ديدات رحمه الله الذي نافح عن الإسلام بالحجة والدليل من التوراة والإنجيل، وتحدى أحبار أهل الكتاب ورهبانهم وتغلب عليهم في كل اللقاءات العلنية، وقد ذكر الله تعالى بأن الباطل ضعيف ولا يقوى على مواجهة الحقبقوله: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}** (الأنبياء:١٨)، ومثال آخر كذلك الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله الذي بيّن زيف عقائد الروافض وبطلانها من مؤلفات علمائهم أنفسهم٠

ي– حفظ العلم: فالعلم يحفظ العلم، والشيء الذي لا يزيد ينقص، فالنسيان من طبيعة البشر، ولذلك سمي الإنسان إنسانا، والعلم كالكنز المدفون يذهب ويبلى بمرور الزمن إذا لم يُنَمّ٠

وهو امتثال لأمر الله تعالى بالزيادة منه، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: **{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}**٠(طه: ١١٤)، فالعلم يعطيه الله للناس على مراحل وليس دفعة واحدة، ويوضح (قطب) ذلك بقوله: "إن وسائل المعرفة الأخرى المتاحة للإنسان، معطاة له بقدر، ليكشف بها بعض ظواهر الكون

وبعض قوانينه وبعض طاقاته، بالقدر اللازم له في النهوض بعبء الخلافة في الأرض، وتنمية الحياة وتطويرها".(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٢٨٢)

ك- إتيان الخوارق من الأمـــور: فالذي يعمل بما علمه الله، يعلمه الله مالا يعلم، وذلـــك بـــالعلم اللدني من الله، ومثال ذلك ما فعل الرجل الصالح مع نبي الله موسى في ثلاثة مواقف من سورة الكهف، وكذلك ما فعله الذي عنده علم من الكتاب بإحضارعرش بلقيس في طرفة عين؛ وبـــذلك سبق أمهر وأقوى وأسرع أنواع الجن، وأنى له ذلك إلا بعلمه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى كما يقول العلماء، وكما قال تعالى: **{قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ{٣٩} قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}**.(النمل:٣٩-٤٠)، وكذلك هداية الله لذي القرنين إضافة النحـــاس إلـــى الحديـــد (طـــلاء المعادن) وإقامة الردم بدلا من السد .

ثالثا: المقوم التعبدي

مقدمة:

يعتبر المقوم التعبدي أحد مقومات الشخصية الإسلامية، ويُعد بناء العبادة فيه مكملا لبناء العقيدة، إذ أن العبادة تغذي العقيدة بروحها، كما أنها المنعكس الذي يعكس صورة العقيـــدة ويجـــسّمها، ويؤكّد (سويد) بأنه لا بد لكي يظلّ غرس العقيدة قويا في النفس، من أن يسقى بمـــاء العبـــادة، وبمختلف صورها وأشكالها؛ فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد، وتترعرع، وتثبت أمـــام عواصـــف الحياة وزعازعها .(سويد، ١٩٨٧: ٢٥٢)

والطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد؛ للوصول إلى مرحلـــة التكليف عند البلوغ؛ ليسهل عليه بعد ذلك أداء الواجبات والفرائض.

والعبادة تفعل في نفس الطفل فعلا عجيبا، فهي تشعره بالاتصال بالله عز وجل، وتهـــدئ مـــن ثوراته النفسية، وتلجم انفعالاته الغضبية، وهناك أسرار كثيرة للعبادة تؤثر في الطفل مما يزيـــد قوته ونشاطه.

ويعتبر (قطب) أن الغرض الأساس للقرآن هو غرض عملي حركي حيوي، ويهدف إلى تكوين الشخصية الإسلامية السوية، وإنشاء الجماعة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وقيادته في معركته الحتمية مع الجاهلية: "هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد . . الأصل فيه إفراد الله – سبحانه – بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان، وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده بلا شريك".(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٨٢٥)

وقد أدرك الصحابة هذا الغرض القرآني حق الإدراك، وفهموا مهمته حق الفهم، ومن ثم تمثلوها خير تمثيل، ونفذوها أصدق تنفيذ، فكان الصحابة يتلقون القرآن للتنفيذ والعمل، لا للثقافة والاطلاع، ولا للتذوق والمتاع فاختلط القرآن بذواتهم، وتحول إلى منهج واقع حركي جدي. (الخالدي، ١٩٨٦، ٣٣، ٣٤)

١- **معنى المقوم التعبدي:** أما العبادة في اللغة فتعني: الطاعة والخضوع والتذلل.(الرازي، ١٩٦٧: ٤٦)، واصطلاحا هي: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة". (ابن تيمية، ١٩٥٨: ٣)

أما مدلول العبادة عند (قطب): "لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، فالجنّ والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر، والله لا يكلفهم هذا، وهو يكلفهم ألوانا أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن، ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان، نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: **وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة** . . فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني، وهي تقتضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها . كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام، ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا، وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك عبدا وربا، عبدا يعبد، وربا يعبد، وأن ليس وراء ذلك شيء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار، ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود، وإلا رب واحد والكل له عبيد .

والثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة . التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر؛ ومن كل معنى غير معنى التعبد لله .

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة، ويصبح العمل كالشعائر، والشعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصبرعلى الشدائد والرضى بقدر الله . وكلها عبادة، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجن والإنس لها، وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه" . (قطب، ١٩٨٦،ج٦ : ٣٣٨٧)

٢- **أنواع العبادة:** العبادة أنواع كثيرة، فهي تشمل كل أنواع الطاعات كما يوضحها التعريف السابق، وهي منقسمة على القلب واللسان والجوارح، مصداقا لقول الحسن البصري: "**إن** الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني إن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل"٠(ابن أبي شيبة، ١٩٨٨ ، ج٦ : ١٦٣)

فالخشية، والرجاء، والمحبة، والتوكل، والرغبة، والرهبة، عبادة قلبية، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، وقراءة القرآن، وسائر أنواع الذكر عبادة لسانية قلبية، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، عبادة بدنية قلبية٠(جبار، ٢٠٠١: ٢٢٣)

ويؤكد (قطب) أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية، إن هي إلا مفاتيح، مجرد مفاتيح للعبادة، أو"محطات" يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد، ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نسك أو عمل، أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة، ما دامت وجهته إلى الله، وما دام قد شهد حقا ــ لا باللسان ــ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأقام حياته كلها وواقعه كله على هذا الأساس٠ (قطب،١٩٨٠ :٣٤)، وهذا يمثل قوله تعالى:**{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٦٢} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ{١٦٣}}**٠(الأنعام : ١٦٢ ،١٦٣)،ويفسر (قطب) الآية بقوله: "إنها جملة قضايا العقيدة والدين: في الدنيا والآخرة، في المحيا والممات، في العمل والجزاء، في العبادة والسلوك . . كلها يجمعها المنهج الرباني ليعقّب بها في ذلك الإيقاع الجليل الرهيب الحبيب، على قضية الحاكمية والتشريع، ممثلة في أبسط مظاهرها في الحياة اليومية ومطاعمها ومشاربها ! ذلك أنها هي قضية الألوهية والربوبية في أضخم مجالاتها وأخطر مواقفها ٠٠٠ وهذا هو الإسلام، كما يعرضه مصدره الرباني الكريم" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١١٨٥)

والذكر نوع من أنواع العبادة، ويفاضل (النووي) بين أنواع الذكر فيقول: "الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ... " ٠(النووي، ١٩٩٧ :١٠)، ويوضح (الغزالي) الهدف من تلاوة القرآن الكريم، فيقول: "وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ" ٠(الغزالي،ب٠ت، ج١: ٢٧٨)، والدعاء من العبادة، بل "هو العبادة" كما قال النبي ﷺ ٠(أبوداود،ب٠ت،ج١: ٤٦٦)، أو على الأقل هو "مخ العبادة" كما قال النبي ﷺ ٠(الترمذي، ب٠ت، ج٥: ٤٥٦)

والعبادة هي غاية الوجود الإنساني لقوله تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**٠(الـــذاريات : ٥٦)، ويعلق (قطب) على الآية بقوله: "وهو إيحاء لطيف من إيحاءات القرآن، وهو يتسق مـــع التصور الإسلامي لغاية الوجود الإنساني ٠٠٠ واعتبار العبادة غير مقصورة على الشعائر، بل شاملة لكل نشاط، الاتجاه فيه إلى الله، والغاية منه طاعة الله"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٥٧)

"والعبادة قد تشمل كل تصرفات المؤمن، حتى العادات، إذا أحسنت فيها المقاصد والنيّات وقصد بها وجه الله واستخدمت وسيلة لطاعته اعتبرت عبادة، لذلك كانت العبادة المستمرة السهلة أحب إلى الله؛ لأنها توجد ذكرا دائما لله، ولا تقطع العابد عن عبادة الله ــ تعالى ــ بالعمل في الحياة، لأن العمل في الحياة ذاته عبادة، فيجمع بهذا بين عبادتين٠ (أبو زهرة، ٢٠٠٤ ،ج٢ :٨٧)

وللعادة أثرها العظيم على حياة الإنسان الجسدية والأخلاقية والمسلكية، فأكثر الفضائل والرذائل هي نتيجة عادات تتحكم في الإنسان، وقد ثبت أن كثيرا من أعمال الإنسان ليـــست إلا عـــادات آلية، كقول الشاعر:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأيسر ما يَمرُّ به الوحول

وللتخلص من العادات السيئة يقول علماء النفس: لا يتم إلا إذا أقلع الإنسان عن تلك العادة إقلاعا قطعيا، لا رجعة بعده، ومهما استمر هذا الإقلاع وطال زمانه، فان الرجعة مرة واحدة إلى تلـــك العادة السيئة ينقص ثمرة الماضي الطويل، فيفتقر الأمر إلى إعادة الجهد والصبر على الإقلاع من أوله، وقد مثَّلوا لذلك بالبَكرة التي تفلت من يدك فتحتاج لإعادة اللف من جديد، وقد ضـــرب الله تعـــالى لهـــذا نفـــس المثـــل فقـــال: **{وَلاَ تَكُونُـــواْ كَـــالَّتِي نَقَـــضَتْ غَزْلَهَـــا مِـــن بَعْـــدِ قُـــوَّةٍ أَنكَاثاً}**٠(النحل:٩٢)(الجسر، ٢٠٠٤: ١٩ ،٢٠)

ويوضح (قطب) معنى العبادة وغايتها: "ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله . . من شأنها – ولا شك – أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضـــيء، وترفـــع شعوره وضميره، وترفع نشاطه وعمله، وتنظف وسائله وأدواته، فهو يريـــد العبـــادة بنـــشاطه وعمله، وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه، وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله فيها، فأولى به ألا يغدر ولا يفجر، وأولى به ألا يغش ولا يخدع، وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر، وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة . . . فهو يعبد في كل خطوة، وهو يحقـــق غاية وجوده في كل خطرة، وهو يرتقي صعدا إلى الله في كل نشاط وفي كل مجـــال"٠قطـــب، ١٩٨٦،ج١ :٢٠٨)

و"يمكن القول أن العمل في الإسلام هو عبادة ما دام ينطلق من مفهوم العبودية لله والرغبة فـــي الخير الذي دعا إليه الإسلام"٠(الباشا،١٩٨٩ :١٦)

وكما يبين (قطب): "وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل، وألا يعتسف الطريق، وألا يركب الصعب من الأمور، فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة، ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع، وألا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل الطريق، فهو يعبد في كل خطوة؛ وهو يحقق غاية وجوده في كل خطرة، وهو يرتقي صعدا إلى الله في كل نشاط وفي كل مجال" .(قطب،١٩٨٦ ،ج١: ٢٠٨)

وعن علاقة الحياة الدنيا بالآخرة يقرر (قطب): "إن التصور الإسلامي، وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه، لا يقدم الحياة الآخرة بديلا من الحياة الدنيا – ولا العكس – إنما يقدمهما معا في طريق واحد، وبجهد واحد، ولكنهما لا يجتمعان كذلك في حياة الإنسان إلا إذا اتبع منهج الله وحده في الحياة – دون أن يدخل عليه تعديلات مأخوذة من أوضاع أخرى لم تنبثق من منهج الله، أو مأخوذة من تصوراته الذاتية التي لم تضبط بهذا المنهج – ففي هذا المنهج وحده يتم ذلك التناسق الكامل، والتصور الإسلامي – وكذلك المنهج الإسلامي المنبثق منه – لا يقدم الإيمان والعبادة والصلاح والتقوى، بديلا من العمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة المادية . . . – فالعمل والإنتاج والتنمية والتحسين في واقع الحياة الدنيا تمثل في التصور الإسلامي – والمنهج الإسلامي – فريضة الخلافة في الأرض، والإيمان والعبادة والصلاح والتقوى، تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع والحوافز لتحقيق المنهج في حياة الناس، وهذه وتلك معا هي مؤهلات الفردوس الأرضي والفردوس الأخروي معا٠ (قطب،١٩٨٦،ج٢: ٩٣٣)

والعمل هو المظهر الحقيقي لخوافي الأنفس، وهو في الإسلام مظهر العقيدة وشاهد الانقياد، وهو الذي يرسي قواعد الأمة، ويرفع صرحها، فما تستقيم في حكم الإسلام أن تنبهر العقول بما تكاد تنصهر به الحلوق من دعاوى الإسلام حتى تنهضها الأعمال وتسندها الأفعال، وقلما طالعك الإيمان بالله إلا وهو مقرون بالعمل في القرآن الكريم، ولا ذكر المؤمنين إلا وهم موصولين بعمل الصالحات٠ (إبراهيم،١٩٩٣ : ٩٨٦)، وكما يقول الشاعر:

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات دعاتها أدعياء

٣- خصائص العبادة في الإسلام: للعبادة في الإسلام عدة خصائص تميزها وقد حصرها (العيادي) في ست خصائص، هي: (العيّادي، ٢٠٠٤: ٢٥٦ -٢٦٠)

أ- العبادة لا تكون إلا لله: **{وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}**٠(التوبة:٣١)، وقوله تعالى: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**(لقمان:١٣)، ويبين (قطب) أنّ الله تعالى: "عرج على هذا كله ليشير إلى وحدة هذه العقيدة في مواجهة الكينونة البشرية ونشاطها كله، ورده كله إلى محور واحد: محور العبادة لله ، والعبودية له"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٥٩)

ب- العبادة لا واسطة فيها: فهي صلة مباشرة بين العبد وربه: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ}**٠(فاطر: ١٠)، وقوله تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }**٠(البقرة: ١٨٦)

ج- لا يُعْبَد الله إلا بما شرع: وذلك دون زيادة أونقص، فالعبادة توقيفية، وهي التي ذكرها الله في كتابه الكريم أو التي أوحاها الله لرسوله ﷺ، ومارسها النبي ﷺ في حياته،أو ما يعرف بالسنة الشريفة، وذلك في كل العبادات، وأولها الصلاة لقوله ﷺ: "وصلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٢٢٦)، وقوله ﷺ: "خذوا عني مناسككم"٠(ابن حنبل، ٢٠٠٦، ج٢: ٣٢٩)، وقوله ﷺ: "وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"٠(النسائي، ١٩٨٦،ج٣: ١٨٨)

د- العبرة في العبادة بالنية: فالأساس في قبول أي عبادة أو عمل هو النية الخالصة لله تعالى، والخالية من أي شرك، سواء كان صغيرا أم كبيرا، ولا قيمة لأي عمل يقوم على اختلاف الباطن مع الظاهر(الرياء)، ولذلك كان أول حديث شريف في كتب الأحاديث يتحدث عن ذلك، لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٣)

هـ- العبادة تقوم على اليسر ورفع الحرج: وهذه من سمات الشريعة الإسلامية، فلم يكلف الإسلام المسلمين إلا بما يستطيعون لقوله تعالى: **{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا}**٠(البقرة:٢٨٦)، وقوله تعالى: **{مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**٠(المائدة:٦)، وقول النبي ﷺ لمن لم يستطع الصلاة قائما: "صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٣٧٦)، وللمسافر أن يجمع ويقصر الصلاة، والمريض وكبير السن اللذان لا يستطيعان الصوم يرخص لهما بالإفطار، ويبين (قطب) أنّ: "اللمسة الأخيرة في التعقيب تتولى بيان رحمة الله بضعف الإنسان، فيما يشرعه له من منهج وأحكام، والتخفيف عنه ممن يعلم ضعفه، ومراعاة اليسر فيما يشرع له، ونفي الحرج والمشقة والضرر والضرار، يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٦٣٢)

و- شمول العبادة لجوانب الحياة: عرّف العلماء العبادة بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"، وعلى ذلك فجميع أعمال الإنسان التي ترتكز على الإيمان بالله واليوم الآخر، والتي يقصد بها وجه الله إذا أديت على وجهها المشروع تعد

عبادة، فالمزارع والتاجر والطبيب والمهندس والعامل والموظف والمعلم وغيرهم تكون أعمالهم عبادة إذا قصد بها طاعة الله والنزول على حكمه، والتقيد بأوامره ونواهيه ٠

٤- **الخاطر والعمل:** يعرّف (الغزالي) الخاطر بأنه: ما يخطر على القلب فينبهه بعد أن كان غافلا عنه ويحرك الإرادة في الفعل، فالخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء، فالخواطر مبدأ الأفعال الظاهرة والباطنة٠(الغزالي،١٩٦٧ :٣٦)، واتفق ابن القيم مع الغزالي في تفسير الأفعال بالخواطر، فقال في غض البصر: "إن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، وتقوى فتصير عزيمة، فيقع الفعل"٠(ابن القيم ،١٩٨٣ : ١٠٦)

أما عن أنواع الخواطر فهي نوعان: خواطر إلهام تحرك الرغبة في عمل الخير، وخواطر وسواس يحدث الإنسان بها نفسه لعمل الشر٠(مرسي،١٩٨٨: ١٩١)، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذين النوعين من الخواطر بقوله: "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً([٦]) بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}**"٠(الترمذي , ب.ت،ج٥: ٢١٩)

وبعض المؤمنين المخلَصين خواطرهم موصولة بالله دائماكما يبين (قطب)، وهذا أحد الأسباب في تحريم الخمر وما شابهها: "إن غيبوبه السكر – بأي مسكر – تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله في كل لحظة، مراقبا لله في كل خطرة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملا إيجابيا في نماء الحياة وتجددها، وفي صيانتها من الضعف والفساد، وفي حماية نفسه وماله وعرضه، وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء، والفرد المسلم ليس متروكا لذاته وللذاته؛ فعلية في كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة تكاليف لربه، وتكاليف لنفسه، وتكاليف لأهله، وتكاليف للجماعة المسلمة التي يعيش فيها، وتكاليف للإنسانية كلها ليدعوها ويهديها، وهو مطالب باليقظة الدائمة لينهض بهذه التكاليف" (قطب،١٩٨٦،ج٢ : ٩٧٧)

والمؤمن الحقيقي عند (قطب) هو من تكون سكناته وحركاته وخواطره لله، ويعلّق على قوله تعالى: **{وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}**(البقرة: ١٥٢)، بقوله: "والشكر لله درجات، يبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته، وينتهي بالتجرد لشكره والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن، وفي كل لفظة لسان، وفي كل خفقة قلب، وفي كل خطرة جنان"٠(قطب،١٩٨٦،ج١ :١٤٠)

---

[٦]- المراد ما يقع في القلب من وسوسة أو إلهام ٠

وهذا ما يفسر تصرف عبد الله بن حذافة السهمي مع هرقل عظيم الروم حينما قال له: هل لك أن تَنَصَّر وأشركك في ملكي وسلطاني؟، قال له عبد الله: "والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت"٠ (البيهقي، ١٩٨٩، ج٢، ٢٤٤)

٥- الإرادة والعمل: ولقد عرّف (الكيلاني) الإرادة بأنها: "قوة الرغبة والاختيار التي توجه الإنسان نحو قصد معين، وهي قوة باعثة يتولد منها الميل إلى الشيء أو النفور منه، والإرادة هي الوظيفة الثانية من وظائف القلب، فحين يفرغ القلب من الوظيفة الأولى ــ أي عقل الأفكار والأشخاص والأشياء والمواقف والظواهر التي تجسد المثل الأعلى ثم تحليلها وتقويمها ــ يأتي دور الوظيفة الثانية وهي تقبل هذه الأفكار والظواهر أو رفضها كليا أو جزئيا" ٠(الكيلاني، ١٩٩٧ :١٣٧)، ويؤكد (قطب) بأن للإنسان إرادة فاعلة في الاهتداء أو الضلال: "والواقع أن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق من القوة والعمق والثقل بحيث يصعب على القلب التفلت من ضغطها إلا بجهد متعمد، وبخاصة حين يسمع التوجيه إليها بأسلوب القرآن الموحي الموقظ، وما ينحرف عن طريق الله – بعد ذلك – إلا من يريد أن ينحرف في غير عذر ولا مبرر٠٠٠ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، وذلك كي لا يفهموا أن مشيئتهم منفصلة عن المشيئة الكبرى، التي يرجع إليها كل أمر، فإعطاؤهم حرية الاختيار، ويسر الاهتداء، إنما يرجع إلى تلك المشيئة، المحيطة بكل شيء كان أو يكون"٠(قطب،١٤٠٦: ٣٨٤٣) وإرادة الله يكون من ثمراتها تفجر جميع الإرادات النبيلة التي تتوجه للارتقاء بالحياة وطهرها، وشيوع الحق والعدل فيها وتيسير الحياة وتسهيلها للعيش، وذلك من قوله تعالى: **{وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}**٠(الإنسان :٣٠)

ويفسر (الطبري) قوله تعالى: **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}** (ص:٤٥)، بقوله: "ولقد خلص مفسرو جيل الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة إلى أن ــ أولي الأيدي ــ هم أولو القوة في طاعة الله، أما أولو الأبصار فهم أولو العقول التي تصيب الحق والفقه في الدين٠(الطبري،ب٠ت،ج١٠ :٥٩١)

والقوة هي ثمرة "الإرادة"، أما الإبصار فهو ثمرة "القدرة" أي أن العمل هو: قدرة وإرادة، فإذا وُجدت القدرة ووجد إلى جانبها الإرادة يتولّد العمل٠(الكيلاني، ١٩٩٧ :٧٠)

والإرادة في الإسلام نابعة من التكريم الإلهي للإنسان، قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**(الإسراء :٧٠) والتكريم والتكليف هما جوهر المنهج الإسلامي وجناحاه في بناء المجتمع، وجوهر التكريم والتكليف هو

العقل، أي أن الله كرم بني آدم بنعمة العقل، وجوهر التكليف أيضا هو العقل الذي به يميز الحق عن الباطل، ولولا التكريم ما كان التكليف، وكما يقال: "إذا أخذ الله ما أوهب أسقط ما أوجب"، واقتضت حكمة الله ألا يحاسِبَ الخلق عن أعمالهم إلا بتبليغ رسالته إليهم، وإعطائهم ما يمكنهم من فهم واستيعاب محتوياتها ثم يترك لهم حرية الاختيار، قال تعالى :**{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}**٠(الإسراء :١٥)

ووجود العقل وحرية الإرادة والاختيار هما جوهر الإنسان (خليل، ٢٠٠٤: ٧٥٥،٧٥٦)

ومنهج الإسلام شمل ووازن بين مكونات الإنسان الثلاثة: الروح والعقل والجسد، فأخذ في حسابه أن الإنسان خُلق في خِلقته الأولى من تراب وفي الخِلقة الثانية من نطفة، ولم يهمل روح الإنسان التي هي نفخة من روح الله، وكذلك لم يهمل عقل الإنسان وما يصلح شأنه، ويتحدث (قطب) عن موازنة الإسلام بين مطالب العقل والروح و الجسد وإعطائه للإنسان حرية الاختيار، فيقول: "ثم هي العقيدة التي تعترف بالإنسان إنسانا، لا حيوانا ولا حجرا، ولا مَلَكا ولا شيطانا، تعترف به كما هو، بما فيه من ضعف وما فيه من قوة، وتأخذه وحدة شاملة مؤلفة من جسد ذي نوازع، وعقل ذي تقدير، وروح ذي أشواق . . وتفرض عليه من التكاليف ما يطيق، وتراعي التنسيق بين التكليف والطاقة بلا مشقة ولا إعنات، وتلبي كل حاجات الجسد والعقل والروح في تناسق يمثل الفطرة . . ثم تحمل الإنسان – بعد ذلك – تبعة اختياره للطريق الذي يختار: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ : ٣٤٤)

٦- **مستويات الإرادة:** للإرادة مستويات تتطابق مع مستويات المَثل الأعلى، وهذه المستويات قسمان: بعضها أساس، وبعضها فرعي٠

أما المستويات الأساس فهي: إرادة الإنسان للغذاء لبقاء الجسم البشري، وإرادة الإنسان للنكاح لاستمرار النوع الإنساني، وإرادة العقيدة والقيم ليرتقي الإنسان بنوعه٠

والذي تهدف إليه التربية الإسلامية أن تنمو هذه المستويات الثلاثة، وأن تتخذ مواقعها بحسب نسق معين تحتل فيه إرادة العقيدة والقيم منزلة التوجيه والإرشاد، بينما تتوجه الإرادتان الأخريان نحو مقاصدهما في ضوء التوجيهات والإرشادات المشار إليها توَجّها واعيا قائما على الإقناع والقبول، ولا يعني ذلك الحط من قيمة الاقتصاد والتمتع بنعم الله، وإنما معناه أن الاقتصاد يكتسب قيمته من أثره الأخلاقي ومدى إسهامه في رفع قيمة النوع البشري لا مجرد الوقوف عند بقاء النوع البشري٠

وإذا انحسرت إرادة العقيدة والقيم، وهيمنت إرادة الطعام وإرادة النكاح فصارتا هما الهدف وما يقابلهما في سلَّم "مثل السوء" هو المثل الأعلى؛ فإن التربية تكون قد خرجت عن مسارها السليم. (الكيلاني،١٩٩٧ : ١٣٧-١٤٠)

فالشريعة الإسلامية كما هي التربية الإسلامية، جمعت بين غذاء الروح والجسم والعقل، والله سبحانه وتعالى شرع لعباده ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، فليس في الإسلام عبادة فيها تعذيب الجسم لتطهير الروح، وإن كان تطهير الروح في ذاته أمرا حسنا، ولكنه غاية من الغايات، وليس هو الغاية القصوى، وليس في الإسلام عبادة تتضمن معنى الانقطاع عن الدنيا، فليس فيه رهبانية، ولقد قال النبي ﷺ: "يا عثمان إن الله عز وجل لم يكتب علينا الرهبانية، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله" .(البيهقي، ١٩٨٩، ج٧ : ١٣٧)

ولأن الإسلام حرص على تهذيب النفس من غير إهمال الجسم كانت العبادة فيه لتقوية الروح أوتهذيب النفس وليس لتعذيب الجسم، إنما الهدف من ذلك هو تقوية الإرادة الإنسانية لتحكم الشهوات، فيقوى الجسم والروح معا ويسيرا في طريق الخير والسعادة الحقيقية في هذه الأرض، وكل ما في الإسلام من تكليفات في حدود الطاقة الإنسانية، وكل ما فيه من مشقات لا يتعدى حدود هذه الطاقة التي يمكن الاستمرار عليها.(أبو زهرة، ٢٠٠٤ ،ج٢ : ٧٨- ٨٠)

وعن تربية الإسلام للإرادة يقرر (قطب): "إن مواجهة الحقائق هي محك العزيمة والإرادة، أما الهروب منها إلى تصورات وأوهام فهو طريق التحلل، ووهن العزيمة، وتذاوب الإرادة، والإسلام يجعل في حسابه دائما تربية الإرادة، وإطلاقها من قيود العادة القاهرة . . الإدمان . . وهذا الاعتبار كاف وحده من وجهة النظر الإسلامية لتحريم الخمر وتحريم سائر المخدرات . . وهي رجس من عمل الشيطان . . مفسد لحياة الإنسان" . (قطب، ١٩٨٦ ،ج٢ :٩٧٧)

والنفس يمكن تعويدها وتشكيلها بالإرادة القوية كما قال البوصيري: (البوصيري، ب.ت :٦)

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}**(البقرة: ١٨٤)، فيقول: "جعل الله هذه الرخصة، وهي الفطر مع إطعام مسكين . . ثم حببهم في التطوع بإطعام المساكين إطلاقا، إما تطوعا بغير الفدية، وإما بالإكثار عن حد الفدية، كأن يطعم اثنين أو ثلاثة أو أكثر بكل يوم من أيام الفطر في رمضان: فمن تطوع خيرا فهو خير له . . ثم حببهم في اختيار الصوم مع المشقة ــ في غير سفر ولا مرض ــ: وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . . لما في الصوم من خير في هذه الحالة، يبدو منه لنا عنصر تربية الإرادة، وتقوية الاحتمال، وإيثارعبادة الله على الراحة، وكلها عناصر

مطلوبة في التربية الإسلامية، كما يبدو لنا منه ما في الصوم من مزايا صحية – لغير المريض – حتى ولو أحس الصائم بالجهد" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ١٧١)

والعبادة طاعة مستمرة ولذلك كان التيسير والتسهيل فيها، وفي ذلك قال النبي ﷺ: "يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا"(البخاري،١٩٨٧،ج١: ٣٨)، وعند عدم القدرة على أداء العبادة بالكيفية المطلوبة يستطيع المسلم أداءها بشكل آخر، حتى في أهم العبادات وهي الصلاة، فقد قال النبي ﷺ للرجل الذي لم يستطع الصلاة قائما: "صلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١ :٣٧٦)

٧- **حرية الاختيار وعلاقتها بالتكليف والمسئولية عن العمل:** لعل حرية الاختيار بين الأعمال في الإسلام مقرونة بالتكليف وهو بدوره مرتبط بالمسئولية، لذلك فالإنسان في الإسلام مسئول عن أعماله سواء كانت خيرا أم شرا٠

(لامسئولية بدون حرية)، تلك القاعدة التي أقرها القرآن الكريم، وتطبيقا لتلك القاعدة أعفى القرآن الكريم المضطر من المسئولية: **{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**٠(البقرة : ١٧٣)، (ولا حرية بدون مسئولية)، وتلك قاعدة أخرى أقرها أيضا القرآن الكريم٠(خلف الله،١٩٨٢ :١٠٦)

وبقدر أهلية الإنسان لتحمل المسئولية تكون حريته، ففاقدو الأهلية من المجانين تُصادر حريتهم، وناقصو الأهلية من السفهاء والمبذرين يُحجر عليهم، ومن لم يبلغوا سن الرشد من القاصرين يُوصى عليهم، ويقوم الأوصياء بتصريف الأمور إلى أن يبلغوا سن الرشد، ويصبحوا أهلاً لتحمل المسئولية، ولا يخلوا من المسئولية أحد من العقلاء البالغين الراشدين لقوله تعالى: **{وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**٠(النحل :٩٣) (خلف الله،١٩٨٢ : ١٠٧)

٨- **أنواع المسئولية:** يقسم (خلف الله) المسئولية إلى ثلاثة أنواع:

أ- **المسئولية الفردية:** وهي مسئولية قانونية وأخلاقية، يسأل فيها الفرد عما قدمت يداه، ويجزى فيها عما قام به من أعمال ــ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والجزاء من جنس العمل، قال تعالى: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}**٠ (فصلت:٤٦)

ب- **المسئولية الجماعية:** وهي مسئولية قيادة تربوية، وتشريعية رقابية، وتنبت من احتياجات المجتمعات إلى نفر من بينها يؤمنون بها وبأنفسهم وبالخير العام، ويقودونها دائما عن طريق المبادئ والتنظيمات، وعن طريق العمل الجاد نحو الحياة الأفضل، قال تعالى: **{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**٠

ج- **المسئولية الاجتماعية:** وهي مسئولية تعاون وتضامن وتكافل، وتنبت هذه المسئولية في تلك التربة التي تنبت فيها العلاقات التي تقوم بين الناس ــ لتعايشهم في وطن واحد، ولممارستهم

الحياة في أساليب واحدة أو متقاربة، ويهدف الإسلام من وراء هذه المسئولية أن يحقق التـرابط والتماسك في البنيان الاجتماعي، قال تعالى: **{إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}**٠(البقرة :٢٧١)، وهذه المسئوليات لها علاقة واضحة بقول النبي ﷺ: "كلكـم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"٠ (البخاري،١٩٨٧ ،ج١: ٣٠٤)، ويقرر (قطب) أنّ: "كـل إنـسان مسؤول عن عمله ٠٠٠ وتبعته، في أدب كذلك وقصد وإنصاف: قل: لا تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تعملون . . فلكل عمله، ولكل تبعته ولكل جزاؤه . . وعلى كل أن يتدبر موقفه، ويرى إن كان يقوده إلى فلاح أو إلى بوار" (قطب، ١٩٨٦ ،ج٥: ٢٩٠٥)

٩- العبادة والعمل: قد يكون العمل كله عبادة لله، وقد حث الله تعالى على العمل بقولـه: **{وَقُـلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }**(التوبة :١٠٥)، فالعمل هو التجسيد الواقعي للإيمـان والعلم، وبغيره يصبحان مفهومين خاليين من المضامين الواقعية والتطبيقية، وهو وسيلة الاختبار والامتحان لكل مضامينهما المتنوعة:**{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ}** (الشرح :٧)، فالآية تحث على الجدِّيـة في العمل الدائم حتى يصل الإنسان إلى إجهاد حقيقي، ثم يأنس إلى الراحة الموقوتة لتفريغ شحنة التعب، ثم يعود إلى العمل الناصب مرة أخرى، وهكذا، فالمسلم عامل باستمرار لا يبارح العمل إلا لتفريغ شحنة التعب لمواصلة العمل من جديد٠(سلطان، ١٩٨٠: ١٥٦)

وللعبادة ركائز وهي: الحب، والخشية والرجاء، ولا تكتمل العبادة إلا بها، قال تعـالى: **{يُحِـبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**٠(المائدة :٥٤)(جبار، ٢٠٠٤ :٢٢٤)

وقال بعض السلف: "من عبد الله بالحب وحده فهو زِنديق([٧])، ومن عبده بالرجاء فهو مُرجئ([٨])، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروري([٩])، ومن عبده بالحب والخوف والرجـاء فهـو مـؤمنٌ موحد" (ابن تيمية، ١٩٥٨ :٦٢)، ويرى الباحث أن الخوف والرجاء يجب أن يكونا للمسلم بمثابة الجناحين للطائر ٠

والعمل في التربية الإسلامية يُطلق على كل حركة مقرونة بهدف: "إنمـا الأعمـال بالنيـات"٠ (البخاري،١٩٨٧،ج١:١)، ولما كان الهدف خاصا بالإنسان فإن القرآن أطلق اسم "العمل" علـى حركات الإنسان الهادفة لجلب الخير ودفع الشر أو على العكس، أما الحركات غير الهادفة ـــ كحركة الشمس والقمر والرياح ـــ فقد سمّاها جريانا٠

---

[٧]- الذى يعترف بالإسلام ظاهراً وباطناً ويؤمن بالقلب واللسان، لكنه يفسّر بعض ما ثبت من الدين بالضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون وأجمعت عليه الأمة كإنكار عذاب القبر وغيره، أو من يقول بأزلية العالم وأطلق على الزرادشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتُوسِّع فيه فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد٠

[٨] - هم فرقة تقول بأنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الإيمان طاعة، أو [الإسلام قول بلا عمل] ٠

[٩]- نسبة إلى حروراء وهي البلدة التي ظهر فيها الخوارج، وحروري: أي خارجي٠

"فالعمل إذن هو: حركة وهدف، والقرآن يسمي الحركة المتوجهة نحو الهدف "إرادة"، وتوصف الإرادة بـ"العزم والإخلاص" إذا تحركت إلى الدرجة التي تحقّق الهدف، ويوصف الهدف بـ "الصواب" إذا اتفق مع سنن الخلق وقوانينه، ويوصف بـ "الخطأ" إذا خالفها ويسمى مقترفه (خاطئ) وثمرته (خطيئة)" ٠(الكيلاني،١٩٩٧ :٦٩)

والعمل هو: كل جهد يبذله الإنسان ــ ذهني أو بدني ــ لخلق منفعة أو زيادة منفعة شيء موجود (المصري،١٩٨٠: ١٠)، وفي جميع مواضع القرآن الكريم يلحق بـ(العمل) إحدى صفتين اثنتين: إما الصلاح وإما السوء، فيوصف العمل بأنه"عمل صالح" أو "عمل سوء"، والعمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقات التي حددتها التربية الإسلامية، بين إنسان التربية الإسلامية من ناحية، وبين كل من الخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة من ناحية أخرى٠ (الكيلاني،١٩٩٧ : ٦١)، وذلك لقوله تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**٠ (التوبة :١٠٥)

أما شروط العبادة (العمل): فإنه يشترط لقبولها شرطان مصداقا لقوله تعالى: **{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}**٠(الكهف :١١٠):

الشرط الأول: أن تكون خالصة لله تعالى من الشرك الأكبر والأصغر(١٠)، و في ذلك يقول (قطب): "وهذه الأعمال التي أضلت ربما كان المقصود منها بصفة خاصة الأعمال التي يأملون من ورائها الخير، والتي يبدو على ظاهرها الصلاح، فلا قيمة لعمل صالح من غير إيمان، فهذا الصلاح شكلي لا يعبر عن حقيقة وراءه، والعبرة بالباعث الذي يصدر عنه العمل لا بشكل العمل "٠ (قطب، ١٩٨٦ : ٣٢٨٠)

الشرط الثاني: أن تكون صوابا (صحيحة) موافقة لسنة النبي ﷺ ٠(جبار،٢٠٠١: ٢٢٤)

وهذان الشرطان هما مقتضى الشهادتين، فالشرط الأول مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، والشرط الثاني مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ، فإن مقتضاها وجوب طاعة الرسول ﷺ، واتباع ما شرع، وترك المحدثات والبدع، قال ابن تيمية: "وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع"٠(ابن تيمية، ١٩٥٨ :٢٨)

ويوضح (قطب) ذلك بقوله: "ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده، ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته، بل لتثبت للإيمان حقيقته، إن الإيمان هو قاعدة الحياة، لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود، والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد، وترده إلى الناموس الواحد الذي ارتضاه، ولا بد من

---

(١٠)- الشرك الحقيقي والرياء ٠

القاعدة ليقوم البناء، والعمل الصالح هو هذا البناء، فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته، والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير، والإسلام بالذات عقيدة متحركة متى تم وجودها في الضمير تحولت إلى عمل صالح هو الصورة الظاهرة للإيمان المضمر، والثمرة اليانعة للجذور الممتدة في الأعماق ٠

ومن ثم يقرن القرآن دائما بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء، فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر، ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان .

والعمل الطيب الذي لا يصدر عن إيمان إنما هو مصادفة عابرة، لأنه غير مرتبط بمنهج مرسوم، ولا موصول بناموس مطرد، وإن هو إلا شهوة أو نزوة غير موصولة بالباعث الأصيل للعمل الصالح في هذا"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤ : ٢٣٩٧)، ويمكننا أن نصنف أشكال العمل إلى أنواع ثلاثة: عمل ديني، واجتماعي، وكوني٠ (الكيلاني،١٩٩٧ :٦٣)، ويرى الباحث أن العمل بإخلاص وجدٍّ سواء كان هذا العمل كونيا أم اجتماعيا أم دينيا هو عمل ديني يخدم دين الإسلام٠

ويّعتَبر الإخلاص والصواب من أهم عناصر الجودة الشاملة في الفكر التربوي الحديث، ويقرر(الصوفي) شيوع مصطلح "الجودة الشاملة" في عصرنا، حتى أصبح متطلبا أساسا في جميع الممارسات والأعمال التطبيقية والإدارية والأكاديمية، وعلى الرغم من جدّة هذا اللفظ، إلا أنه من حيث الفحوى والمعنى يعدّ من المفردات الإسلامية الأصيلة، وهناك ألفاظ في الكتاب والسنّة تطابق معنى الجودة وإن خالفت لفظها كـ: الإحسان، والإتقان، والتسديد، والإتمام والإكمال، وكلها تدل على معنى الجودة فيما يمارسه الإنسان من سلوك وعمل، ويدلل (الصوفي) على ذلك بشواهد من السنّة النبوية، ومنها قول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم" [وفي رواية صالح] الأخلاق"٠(الألباني، ب٠ت ،ج١ : ١١٢)، وقول النبي ﷺ: "مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ"٠ (ابن الحجاج، ب٠ت، ج٤: ١٤٩٢)، وقول النبي ﷺ: "سددوا وقاربوا"٠ (البخاري،١٩٨٧، ج٥: ٢٣٧٣)، وقول النبي ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"٠(الألباني، ب٠ت،ج٣: ١٠٦)(الصوفي، ٢٠٠٤ : ١١٢، ١١٣)

أما عن مقوّمات الجودة في الأعمال وضوابطها فيحددها (الصوفي) في عشرة مقومات، وتوافق الكثير من النقاط التي أوردها (قطب) بشكل متفرق في الظلال وهي: الإخلاص، ومطابقة المعايير المطلوبة، والإتقان والإبداع، والتنافس، والاتمام والوفاء، والتوقيت، والمداومة والاستمرار، والتوسط والاعتدال، والفاعلية، والمراقبة ٠

أما بالنسبة للإخلاص فيقول (قطب): "وجَّه الرسول ﷺ إلى شكر النعمة بحقها الأول، حق الإخلاص والتجرد لله في العبادة وفي الاتجاه . . في الصلاة وفي ذبح النسك خالصا لله: فصل لربك وانحر . . غير ملق بالا إلى شرك المشركين، وغير مشارك لهم في عبادتهم أو في ذكر غير اسم الله على ذبائحهم، وفي تكرار الإشارة إلى ذكر اسم الله وحده على الذبائح ، وتحريم ما أهل به لغير الله، وما لم يذكر اسم الله عليه . . ما يشي بعناية هذا الدين بتخليص الحياة كلها من عقابيل الشرك وآثاره، لا تخليص التصور والضمير وحدهما، فهو دين الوحدة بكل معنى من معانيها، وكل ظل من ظلالها، كما أنه دين التوحيد الخالص المجرد الواضح، ومن ثم فهو يتتبع الشرك في كل مظاهره، وفي كل مكامنه؛ ويطارده مطاردة عنيفة دقيقة سواء استكن في الضمير، أم ظهر في العبادة، أم تسرب إلى تقاليد الحياة فالحياة وحدة ما ظهر منها وما بطن، والإسلام يأخذها كلا لا يتجزأ، ويخلصها من شوائب الشرك جميعا، ويتجه بها إلى الله خالصة واضحة" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦ :٣٩٨٨)

أما بالنسبة لمطابقة المعايير المطلوبة فيقول (قطب): "وحين تفترق المعايير والأهداف والغايات وتصور الحياة كلها هذا الاختلاف، فلا مجال حينئذ إلى مشاركة أو تعامل أو حتى تعارف ينشأ عنه قسط من الاهتمام، ومن ثم لا يمكن أن تقوم علاقة أو صحبة أو شركة أو تعاون، أو أخذ وعطاء، أو اهتمام واحتفال بين مؤمن بالله، وآخر أعرض عن ذكره ولم يرد إلا الحياة الدنيا . وكل قول غير هذا فهو محال ومراء، يخالف عن أمر الله: فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٦: ٣٤١١)

أما بالنسبة للإتقان والإبداع والإحسان، فيقول: "إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني، إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة . . ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض، هذا المقام الذي منحه الله له، وأقدره عليه، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه؛ وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه؛ ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع . . على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة، وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله، فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى . . فهم سيئو النية، شريرون، يطاردون البشرية المتعبة الحائرة كلما تعبت من التيه والحيرة والضلال، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة وأن تطمئن إلى كنف الله٠٠٠ "٠ (قطب،١٩٨٦،ج١:

١٦)، وأما الإحسان: "فحسب كل إنسان أن يحسن فيما وكل إليه ليبلغ مرتبة الإحسان عند الله على الإطلاق". (قطب، ١٩٨٦،ج٢ : ٦٤٥)

أما عن التنافس الشريف فيقول (قطب): "إن أولئك المطففين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ولا يحسبون حساب اليوم الآخر، ويكذبون بيوم الحساب والجزاء، ويرين على قلوبهم الإثم والمعصية . . إن هؤلاء إنما يتنافسون في مال أو متاع من متاع الأرض الزهيد، يريد كل منهم أن يسبق إليه، وأن يحصل على أكبر نصيب منه، ومن ثم يظلم ويفجر ويأثم ويرتكب ما يرتكب في سبيل متاع من متاع الأرض زائل، وما في هذا العرض القريب الزهيد ينبغي التنافس . إنما يكون التنافس في ذلك النعيم وفي ذلك التكريم: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . . فهو مطلب يستحق المنافسة، وهو أفق يستحق السباق، وهو غاية تستحق الغلاب ، والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل فان قريب، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه، فهي إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة ".(قطب،١٩٨٦ ،ج٦ :٣٨٥٩)

وأما الاتمام والوفاء فيعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}**.(البقرة :١٢٤)، بقوله: "يقول للنبي ﷺ: اذكر ما كان من ابتلاء الله لإبراهيم بكلمات من الأوامر والتكاليف، فأتمهن وفاء وقضاء . . وقد شهد الله لإبراهيم في موضع آخر بالوفاء بالتزاماته على النحو الذي يرضي الله عنه فيستحق شهادته الجليلة: وإبراهيم الذي وفى . . وهو مقام عظيم ذلك المقام الذي بلغه إبراهيم، مقام الوفاء والتوفية بشهادة الله عز وجل، والإنسان بضعفه وقصوره لا يوفي ولا يستقيم !، فعندئذ استحق إبراهيم تلك البشرى، أو تلك الثقة: قال: إني جاعلك للناس إماما. . إماما يتخذونه قدوة، ويقودهم إلى الله، ويقدمهم إلى الخير، ويكونون له تبعا، وتكون له فيهم قيادة (قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ١١٢)

وأما التوقيت فيعلق (قطب) على آية الطلاق بقوله: "ومن ثم يتعين أن هناك وقتا معينا لإيقاع الطلاق، وأنه ليس للزوج أن يطلق حينما شاء إلا أن تكون امرأته في حالة طهر من حيض، ولم يقع بينهما في هذا الطهر وطء، وتفيد آثار أخرى أن هناك حالة ثانية يجوز فيها الطلاق، وهو أن تكون الزوجة حاملا بينة الحمل . والحكمة في ذلك التوقيت هي أولا إرجاء إيقاع الطلاق فترة بعد اللحظة التي تتجه فيها النفس للطلاق ؛ وقد تسكن الفورة إن كانت طارئة وتعود النفوس إلى الوئام، كما أن فيه تأكدا من الحمل أو عدمه قبل الطلاق، فقد يمسك عن الطلاق لو علم أن زوجه حامل، فإذا مضى فيه وقد تبين حملها دل على أنه مريد له ولو كانت حاملا، فاشتراط

الطهر بلا وطء هو للتحقيق من عدم الحمل، واشتراط تبين الحمل هو ليكون على بصيرة من الأمر" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦ :٣٥٩٩)

أما عن المداومة والاستمرار فيقول (قطب): "إن البشر يصنعون ما يغني مثلهم، وما يصلح لفترة من الزمان، ولظرف خاص من الحياة، فأما صنعة الله فتحمل طابع الدوام والكمال، والصلاحية المستمرة وتلبية الحاجات في كل ظرف وفي كل حين، جامعة بين ثبات الحقيقة وتشكل الصورة في اتساق عجيب، وتميز الحق الخالد والباطل الزاهق"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥ :٣٢٠٨)

وأما التوسط والاعتدال فيؤكده قول (قطب): "فإننا نرى الإسلام قد ضمن سلامة الكائن الإنساني من هذا الصراع بين شطري النفس البشرية، بين نوازع الشهوة واللذة، وأشواق الارتفاع والتسامي . . وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر في حدود التوسط والاعتدال٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٣٧٤)

وأما بالنسبة للفاعلية فيعلق (قطب) على عمل المسلمين في حفر الخندق بقوله: "وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتسابا له، فأنزل الله في أولئك المؤمنين . . **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه** . . . ثم قال تعالى يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي: **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**. . . "٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥ :٢٨٣٣)

وأما عن الإحسان فيبين (قطب) صُوره: "ولكن صور الإحسان ووسائله قد تتغير بحسب البيئات والظروف، فلا تظل في هذه الصورة البدائية المباشرة، إلا أن الذي يجب الاحتفاظ به هو حساسية القلوب، وحيوية العاطفة، والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله، والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء أو شكر أو نفع من منافع الحياة، ولقد تنظم الضرائب، وتفرض التكاليف، وتخصص للضمان الاجتماعي، ولإسعاف المحاويج، ولكن هذا إنما يفي بشطر واحد من مزايا الاتجاه الإسلامي الذي ترمز إليه تلك الآيات، والذي توخاه بفريضة الزكاة . . هذا الشطر هو كفاية حاجة المحتاجين . . هذا شطر . . والشطر الآخر هو تهذيب أرواح الباذلين، ورفعها إلى ذلك المستوى الكريم، وهو شطر لا يجوز إغفاله ولا التهوين من شأنه فضلا على أن تنقلب المعايير فيوصم ويقبح ويشوه، ويقال: إنه إذلال للآخذين وإفساد للواهبين .

إن الإسلام عقيدة قلوب، ومنهج تربية لهذه القلوب، والعاطفة الكريمة تهذب صاحبها وتنفع من يوجهها إليه من إخوانه، فتفي بشطري التربية التي يقصد إليها هذا الدين"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦ : ٣٧٨٢)

ويحدد (الكيلاني) خمسة معايير أو مبادئ للعمل الصالح وهذه المعايير تؤكد ما ذهب إليه (قطب) في تفسيره في نقاط متفرقة وتتمثل في:

١- تكامل مظاهر العمل وعدم فاعلية أي منها دون الآخر ٠

٢- العمل الصالح لا يقتصر على جلب الخير النافع فقط بل لجلب النفع ودفع الضر معا٠

٣- إن "العمل الصالح" من حيث صفته ينقسم إلي قسمين: عمل أخلاقي، وعمل ناجح، واجتماع الصفتين أمر ضروري في التربية الإسلامية ٠(الكيلاني،١٩٨٥ :٢٠٧)

٤- مبدأ النفعية: ويقصد به منفعة العامل، فالإسلام لا يتنكر لمبدأ النفعية أبدا بل يشدّد عليه ومن ذلك قوله تعالى: **{وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ}**(البقرة :١٦٤)، وقوله تعالى: **{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ}**(البقرة :١٠٢)، وقوله تعالى: **{وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}**٠ (الرعد :١٧)

٥- ضرورة التربية والإعداد والتدريب على "العمل الصالح" ٠ (الكيلاني، ١٩٩٧: ٦١ ،٦٨)

و في تكامل العمل وفاعليته يعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً {١٠١} وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً{١٠٢} فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً{١٠٣}}** ٠(النساء : ١٠١ -١٠٣)، فيقول: "وتدل هذه الآيات على مكان الصلاة من الحياة الإسلامية؛ حتى لتذكر في مقام الخوف، وتبين كيفياتها في هذا المقام، كما تدل على تكامل هذا المنهج، في مواجهة الحياة الإنسانية في كل حالاتها، ومتابعة الفرد المسلم والجماعة المسلمة في كل لحظة وفي كل حال"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج١ : ٥٦٥)

وأما في جلب المنفعة ودفع الضر معا فيفسر قطب قوله تعالى: **{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ{١٦٣} وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ{١٦٤} فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ{١٦٥} فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ{١٦٦}}**٠

(الأعراف: ١٦٣-١٦٦)، فيقول: "وهكذا راح فريق من سكان القرية التي كانت حاضرة البحر يحتالون على السبت، الذي حرم عليهم الصيد فيه، وروي أنهم كانوا يقيمون الحواجيز على السمك ويحوّطون عليه في يوم السبت؛ حتى إذا جاء الأحد سارعوا إليه فجمعوه؛ وقالوا: إنهم لم يصطادوه في السبت، فقد كان في الماء – وراء الحواجيز – غير مصيد !، وراح فريق منهم آخر يرى ما يفعلون من الاحتيال على الله! فيحذر الفريق العاصي مغبة احتياله! وينكر عليه ما يزاوله من الاحتيال! بينما مضى فريق ثالث يقول للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر: ما فائدة ما تزاولونه مع هؤلاء العصاة، وهم لا يرجعون عما هم آخذون فيه؟ وقد كتب الله عليهم الهلاك والعذاب ؟... فلم تعد هناك جدوى من الوعظ لهم، ولم تعد هناك جدوى لتحذيرهم، بعدما كتب الله عليهم الهلاك أو العذاب الشديد؛ بما اقترفوه من انتهاك لحرمات الله . . قالوا: معذرة إلى ربكم، ولعلهم يتقون . . فهو واجب لله نؤديه: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخويف من انتهاك الحرمات، وإلى الله عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا، ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى .

وهكذا انقسم سكان الحاضرة إلى ثلاث فرق، أو ثلاث أمم ... وقد انقسم سكان القرية الواحدة إلى ثلاث أمم: أمة عاصية محتالة، وأمة تقف في وجه المعصية والاحتيال وقفة إيجابية بالإنكار والتوجيه والنصيحة، وأمة تدع المنكر وأهله، وتقف موقف الإنكار السلبي ولا تدفعه بعمل إيجابي . . وهي طرائق متعددة من التصور والحركة، تجعل الفرق الثلاث أمماً ثلاثاً !، فلما لم يجد النصح، ولم تنفع العظة، وسدر السادرون في غيهم، حقت كلمة الله، وتحققت نذره، فإذا الذين كانوا ينهون عن السوء في نجوة من السوء، وإذا الأمة العاصية يحل بها العذاب الشديد الذي سيأتي بيانه، فأما الفرقة الثالثة – أوالأمة الثالثة – فقد سكت النص عنها . . ربما تهوينا لشأنها – وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب – إذ أنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي؛ فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب:" (قطب، ١٩٨٦ ،ج٣: ١٣٨٤ ،١٣٨٥)، ولكن ابن كثير أورد أن الذين سكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد أصابهم العذاب مع الفاسقين، فقال: "قال ابن عباس: كانوا أثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا: **{لم تعظون قوما الله مهلكهم}**، وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم. [قال ابن كثير: هذا إسناد جيد عن ابن عباس]. (ابن كثير، ١٩٨٠،ج٢:٢٦٠)، والرأي الأخير هو الذي يميل إليه الباحث .

وأما وجوب كون العمل أخلاقيا فيقول (قطب): "ولقد حرّم الإسلام التجسيم والمجسمات للإنسان والحيوان؛ لأنه طريق إلى الوثنية، وطريق لقضاء الوقت في غير طائل، وطريق إلى إضاعة

المال، وطريق إلى ترسيخ مفاهيم فاسدة، وطريق لنشر الفاحشة، وأخيرا طريق يسلكه الكفار فلا نقلّدهم به ولا نتابعهم عليه"٠(أبو العينين، ١٩٨٥: ١٦٩)، ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ}** (الشعراء : ١٢٨)، فيقول: "ثم يزيد ما هو خاص بحال القوم وتصرفاتهم، فينكر عليهم الترف في البنيان لمجرد التباهي بالمقدرة، والإعلان عن الثراء، والتكاثر والاستطالة في البناء ٠٠٠ والريع المرتفع من الأرض، والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة، ومن ثم سماه عبثا، ولو كان لهداية المارة، ومعرفة الاتجاه ما قال لهم: "تعبثون" . . فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٥: ٢٦٠٩)

وفي ذلك يقول أيضا: "وقد يكون الباعث طيبا، ولكنه حين لا يقوم على الإيمان يكون فلتة عارضة أونزوة طارئة، لا يتصل بمنهج ثابت واضح في الضمير، متصل بخط سير الحياة العريض، ولا بناموس الوجود الأصيل، فلا بد من الإيمان ليشد النفس إلى أصل تصدر عنه في كل اتجاهاتها، وتتأثر به في كل انفعالاتها، وحينئذ يكون للعمل الصالح معناه، ويكون له هدفه ويكون له أطراده وتكون له آثاره وفق المنهج الإلهي الذي يربط أجزاء هذا الكون كله في الناموس؛ ويجعل لكل عمل ولكل حركة وظيفة"٠(قطب، ١٩٨٦ ، ج٦: ٣٢٨٠)

وأما في كون العمل نافعا فيوضح (قطب): "أن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، ولا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة . . وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله، وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة، وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات . فما أكرمه من جزاء !" ٠(قطب، ١٩٨٦ ، ج٣ : ٢١٩٣)

وأما في كون العمل مبني على تربية وإعداد وتدريب فيوضح (قطب) أهمية قيام الليل في إعداد الداعية بقوله: "يا أيها المزمل . . قم . . إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال . . قم . . قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة . . قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد . . وإنها لكلمة عظيمة رهيبة

تنتزعه ﷺ من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ؛ لتدفع به في الخضم، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء .

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير . . فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟، والمتاع المريح؟!، ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدَّره، فقال لخديجة – رضي الله عنها – وهي تدعوه أن يطمئن وينام: مضى عهد النوم يا خديجة!، أجل مضى عهد النوم، وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق ٠٠٠ إنه الإعداد للمهمّة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة . . قيام الليل" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦ : ٣٧٤٤)

١٠- آثار العبادة:

أ- العبادة تلبي فطرة الإنسان وحاجته إلى إله ومعبود: ففي كل الأزمنة والعصور لم يخل تاريخ الإنسانية من نوع من أنواع العبادة، و نشأ الشرك من الانحراف عن العقائد الصحيحة التي أتى بها الأنبياء، وبتقادم العهود طرأ عليها التغيير والتبديل٠(الحمد، ١٩٨٨ :١٣٦)، ثم كان التبرك بالصالحين وعمل أنصبة وأصنام لهم، وتقديم العبادة لها والشعائر بعد موتهم ويشير (قطب) إلى كلام باحث نصراني: "يقول باحث مسيحي آخر هو "كانون تايلور" عن الحالة بين نصارى الشرق عند البعثة المحمدية: "وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة"، وأما انحرافات عقائد المشركين فقد حكى القرآن عنها:عبادتهم للجن والملائكة والشمس والقمر والأصنام، وكان أقل عقائدهم انحرافا عقيدة من يقولون عن هذه الآلهة: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى!"٠ (قطب،١٩٨٦ ، ج١: ٣٦٦)، ويضيف (قطب): "حيث أن الفطرة الإنسانية بطبيعتها مؤمنة، والإيمان حاجة فطرية"٠ (قطب،١٩٨٦ ،ج١ :٣٦٩)، ويذكّر (قطب) بحديث النبي ﷺ عن الفطرة السليمة بقوله: "فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد؛ ولهذا قال: أن تقولوا . . أي لئلا تقولوا. . . قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية، "على هذه الملة" – فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ٠

٠٠٠ قال رسول الله – ﷺ: يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحلت لهم .

٠٠٠إن حقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة "الإنسان" وحده، ولكنها كذلك مركوزة في فطرة هذا الوجود من حوله – وما الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله، موصولة به غير

منقطعة عنه، محكومة بذات الناموس الذي يحكمه – بينما هي تتلقى كذلك أصداءه وإيقاعاته المعبرة عن تأثره واعترافه بتلك الحقيقة الكونية الكبيرة "٠(قطب،١٩٨٦ ، ج٣ :١٣٩٤)

ب- العبادة تربط المخلوق بالخالق: فالعبادة حلقة الوصل بين المخلوق والخالق في كل وقت، في السراء والضراء: يعلّق (قطب): "وهكذا يوجههم إلى الاتصال بالله في كل حال، وفي كل وضع، إلى جانب الصلاة . . فهذه هي العدة الكبرى، وهذا هو السلاح الذي لا يبلى، فأما حين الاطمئنان فأقيموا الصلاة . . أقيموها كاملة تامة بلا قصر – قصر الخوف الذي تحدثنا عنه – فهي فريضة ذات وقت محدد لأدائها، ومتى زالت أسباب الرخصة في صفة من صفاتها عادت إلى صفتها المفروضة الدائمة" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ :٧٤)، ويقول في موضع آخر: "إنها هذه الصلة بين العبد والرب، الصلة التي لا يحب الله للعبد أن ينقطع عنها؛ لأنه – سبحانه – يعلم ضرورتها لهذا العبد، فالله سبحانه غني عن العالمين، ولا يناله من عبادة العباد شيء، إلا صلاحهم هم، وإلا ما يجدون في الصلاة والاتصال بالله، من العون على تكاليفهم، والاسترواح لقلوبهم، والاطمئنان لأرواحهم، والإشراق في كيانهم، والشعور بأنهم في كنف الله، وقربه، ورعايته، بالطريقة التي تصلح لفطرتهم . . والله أعلم بفطرتهم هذه، وبما يصلح لها وما يصلحها . . وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير" ٠ (قطب، ١٩٨٦ ، ج٢: ٦٧٠ ،٦٧١)

ج- العبادة تغرس في الإنسان فضيلة الشكر على النعم والإفضال: وكما قال النبي ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"٠(الترمذي ج٦ ، **١٩٨٦م** :٨٧)، ويبين (قطب) أن: "هذه الكلمات الهائلة لتلقي على عاتق هذه الأمة عبئا ثقيلا، يكافيء هذه الرعاية الجليلة . . أستغفر الله . . فما يكافيء هذه الرعاية الجليلة من الملك الجليل شيء تملك هذه الأمة بكل أجيالها أن تقدمه . . وإنما هو جهد الطاقة في شكر النعمة، ومعرفة المنعم . . وإنما هو إدراك الواجب ثم القيام بما يستطاع منه، وطلب المغفرة والتجاوز عن التقصير والقصور فيه"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٨٤)، وكما يقول المتنبي: (الواحدي، ب.ت ،ج٢: ٦٥١)

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

د- العبادة تورث في القلب نورا وفي الوجه إشراقا: ويفسر (قطب) قوله تعالى: **{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}**٠(الفتح: ٢٩)، بقوله: "إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع ٠٠٠تصور هيئتهم في عبادتهم: تراهم ركعا سجدا . . ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: يبتغون فضلا من الله ورضوانا، ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسحنتهم وسماتهم: سيماهم في وجوههم من أثر السجود"٠(قطب، ، ١٩٨٦، ج١ :٣٣٣)، ويقول أيضا: "واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر

في ملامحهم، ونضحها على سماتهم: سيماهم في وجوههم من أثر السجود . . سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: من أثر السجود . . فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع، أثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلا"(قطب، ١٩٨٦، ج٦ : ٣٣٣٢)

هـ- العبادة تحرر الإنسان من العبودية لغيره من العبيد: ويوضح (قطب) بأنهم: "يتحررون من العبودية للعبيد .. ولما كان الله – سبحانه – يريد لعباده العزة والكرامة والاستعلاء فقد أرسل رسله ليردوا الناس إلى عبادة الله وحده؛ وليخرجوهم من عبادة العبيد . . لخيرهم هم أنفسهم . . والله غني عن العالمين .

إن الحياة البشرية لا تبلغ مستوى الكرامة الذي يريده الله للإنسان إلا بأن يعزم البشر أن يدينوا لله وحده، وأن يخلعوا من رقابهم نير الدينونة لغير الله، ذلك النير المذل لكرامة الإنسان في أية صورة قد كان!"٠(قطب،١٩٨٦ ، ج٤ :١٨٥٢)

و- العبادة تعوّد وتدرّب المسلم على النظام والعمل وتعدّه لمهام أعظم: وقد سبق الحديث عن إعداد الداعية بقيام الليل، وقد علق (قطب) على حكمة توقيت الصلوات فقال: "وكثيرا ما ذكر عن "حكمة الصلاة" . . تارة أنها حركات رياضية تشغل الجسم كله وتارة بأنها تعويد على النظام: أولا في مواقيتها، وثانيا في حركاتها، وثالثا في نظام الصفوف والإمامة . . . الخ . وتارة أنها الاتصال بالله في الدعاء والقراءة . . وهذا وذاك وذلك قد يكون مقصودا . . ولكن الجزم بأن هذا أو ذاك أو ذلك هو "حكمة الصلاة" يتجاوز المنهج السليم والحد المأمون٠٠٠"٠ (قطب، ١٩٨٦، ج٢ :٦٧٠)، ويرى الباحث أن الناظر لآيات القرآن الكريم، وخاصة في سورة البقرة يجد أن آيات الجهاد جاءت بعد آيات الصيام، وهذا ليس عبثا، ومثال على ذلك قصة طالوت عندما اختبر جنوده بالصوم عن الماء الجاري إلا باغتراف غرفة واحدة، وهي لا تسمن ولا تغني من ظمأ، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية العبادة بكل معانيها لإعداد المجاهدين في سبيل الله ٠

ز- تفتح أبواب العلم: يعلّق القرطبي على قوله تعالى: **{واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم}٠**(البقرة: ٢٨٢)، فيقول: "وعدٌ من الله تعالى بأن من اتّقاه علَّمه أي يجعل في قلبه نورا يفهم

به ما يُلقى إليه وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل" ومنه قوله تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا}**(القرطبي، ب٠ت، ج٣٥٨:٣)، ويقول ابن تيمية: "إن من عمل بعلمه أورثه الله علم مالم يعلم"، ويرفعه بعضهم إلى النبي ﷺ ٠(القرني، ١٩٩١: ٥٦)، ومنه ما ذُكر عن الشافعي في تاريخ دمشق: "أنه كان في مجلس مالك بن أنس وهو غلام فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصِياح، قال: فقال له مالك: قد حَنَثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ، فأُخبِر مالك بذلك، قال: وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرادّه وكان ربما جاء صاحب الشرطة فيقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، قال: فقالوا لمالك: إن هذا الغلام الشافعي يزعم أن هذه فتيا إغفال أو خطأ فقال له مالك: من أين قلت هذا ؟ فقال له الشافعي: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قضية فاطمة بنت قيس أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال النبي ﷺ: "أما أبا جهم فلا يضع عصاه على عاتقه" وإنما أراد الأغلب(١١) من ذلك، قال: فعرف مالك محل الشافعي ومقداره، قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودّعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام اتق الله ولا تطفئ هذا النور(١٢) الذي أعطاكه الله بالمعاصي"، وقد ذكر الإمام الشافعي واضع علم أصول الفقه أنه شكى لشيخه وكيع ابن الجراح سوء حفظه ــ مع أنه حافظة عصره ــ بقوله: (الشافعي، ٢٠٠٦ :٨٨)

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

ح- إحسان العبادة جزاؤها الفلاح في الدنيا والآخرة: يقرر (قطب) أن: "العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت وموّدات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة . . وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله، وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر

١١- **يقصد به التغليب، أي أغلب الوقت وليس كله ٠**

١٢- **نور العلم، وهو من قول الله عزّ وجل: {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}٠(النور: ٤٠)**

الحسن في الآخرة، وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات، فما أكرمه من جزاء !"٠(قطب، ١٩٨٦، ج٤: ٢١٩٣)

ط- العبادة تحرّر الإنسان من الأوهام والأساطير والمعتقدات الفاسدة: يعلق (قطب) على قوله تعالى: **{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً}**(مريم :٣٠)، فيقول: "وهكذا يعلن عيسى – عليه السلام – عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلها كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة . . ويعلن أن الله جعله نبيا، لا ولدا ولا شريكا، وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته، فله إذن حياة محدودة ذات أمد، وهو يموت ويبعث، وقد قدر الله له السلام والأمان والطمأنينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثه، وهو لا يحتمل تأويلا في هذه الحقيقة ولا جدالا وينتهي ما يقوله عيسى – عليه السلام – ويقوله حاله بإعلان ربوبية الله له وللناس، ودعوته إلى عبادة الله الواحد بلا شريك: وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . . فلا يبقى بعد شهادة عيسى وشهادة قصته مجال للأوهام والأساطير . . وهذا هو المقصود بذلك التعقيب في لغة التقرير وإيقاع التقرير" ٠(قطب،١٩٨٦، ج٤ :٢٣٠٨)

ويقول أيضا: "أما الحقائق العلمية التجريبية فمجالها غير مجال القرآن، وقد تركها القرآن للعقل البشري يعمل فيها بكامل حريته، ويصل إلى النتائج التي يصل إليها بتجاربه، ووكل نفسه بتربية هذا العقل على الصحة والاستقامة والسلامة، وتحريره من الوهم والأسطورة والخرافة، كما عمل على إقامة نظام للحياة يكفل لهذا العقل أن يستقيم، وأن يتحرر، وأن يعيش في سلام ونشاط . . ثم تركه بعد ذلك يعمل في دائرته الخاصة، ويصل إلى الحقائق الجزئية الواقعية بتجاربه . ولم يتعرض لذكر شيء من الحقائق العلمية إلا نادرا"٠(قطب،١٩٨٦ ، ج٤: ١٨٥٨)

ي- العبادة تكبح جماح الشهوات وتقلّل من تأثيرها: يعلق (قطب) على قوله تعالى: **{فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}**(البلد:١١)، فيقول: "عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، قال: سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصوم جُنَّة[١٣]، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا قوله تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . . ثم تفخيم لهذا الشأن وتعظيم: وما أدراك ما العقبة ! . . إنه ليس تضخيم

---

[١٣] - وقاية من الأمور الحسية والمعنوية ٠

العقبة، ولكنه تعظيم شأنها عند الله، ليحفز به "الإنسان" إلى اقتحامها وتخطيها، مهما تتطلب من جهد ومن كبد، فالكَبَد واقع واقع، وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤتي ثمره ويعوض المقتحم عما يكابده، ولا يذهب ضياعا وهو واقع واقع على كل حال !"٠(قطب، ١٩٨٦ ، ج٦: ٣٩١١)

ك- العبادة توحّد المسلمين وتؤلّف بين قلوبهم: فقد حث الإسلام على الشعائر الجماعية، ورغّب في ثوابها الكبير، ومن ذلك صلا ة الجماعة في المسجد، ويعلق (قطب) على تحويل القبلة فيقول: "لتوحيد الأمة بالقبلة الواحدة؛ يُعلَن عن هذه القبلة مع تحذير المسلمين من فتنة يهود، وكشف العوامل الحقيقية الكامنة وراء حملاتهم ودسائسهم . . في صورة تكشف عن مدى الجهد الذي كان يبذل لإعداد تلك الجماعة المسلمة، ووقايتها من البلبلة والفتنة: قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون ٠٠٠ وفي مطلع هذه الآيات نجد تعبيرا مصورا لحالة النبي ﷺ: قد نرى تقلب وجهك في السماء، وهو يشي بتلك الرغبة القوية في أن يوجهه ربه إلى قبلة غير القبلة التي كان عليها، بعدما كثر لجاج اليهود وحجاجهم، ووجدوا في اتجاه الجماعة المسلمة لقبلتهم وسيلة للتمويه والتضليل والبلبلة والتلبيس"٠ (قطب،١٩٨٦ ، ج١ :١٣٣)

ل- العبادة الصحيحة تسبّب إغداق الأرزاق وفتح البركات: يعلّق (قطب) على قوله تعالى: **{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً{١٦} لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً{١٧}}**٠(الجن: ١٦- ١٧)، فيقول: "يقول الله – سبحانه – إنه كان من مقالة الجن عنّا: ما فحواه أن الناس لو استقاموا على الطريقة، أو أن القاسطين لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم نحن ماءا موفورا نغدقه عليهم، فيفيض عليهم بالرزق والرخاء . . لنفتنهم فيه . . ونبتليهم أيشكرون أم يكفرون .

وهذا العدول عن حكاية قول الجن إلى ذكر فحوى قولهم في هذه النقطة، يزيد مدلولها توكيدا بنسبة الإخبار فيها والوعد إلى الله سبحانه وهذه اللفتة تحتوي جملة حقائق ٠٠٠ والحقيقة الأولى: هي الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله، وبين إغداق الرخاء وأسبابه؛ وأول أسبابه توافر الماء واغدوداقه، وما تزال الحياة تجري على خطوات الماء في كل بقعة، وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هذا العصر الذي انتشرت فيه الصناعة، ولم تعد الزراعة هي المصدر الوحيد للرزق والرخاء، ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية . .

وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم

الأرض التي يغدودق فيها الماء، وتتدفق فيها الأرزاق، ثم حادوا عن الطريقة"، فاستلبت منهم خيراتهم استلابا، وما يزالون في نكد وشظف، حتى يفيئوا إلى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله، وإذا كانت هناك أمم لا تستقيم على حقيقة الله، ثم تنال الوفر والغنى، فإنها تعذب بآفات أخرى في إنسانيتها أو أمنها أو قيمة الإنسان وكرامته فيها، تسلب عن ذلك الغنى والوفر معنى الرخاء، وتحيل الحياة فيها لعنة مشؤومة على إنسانية الإنسان وخلقه وكرامته وأمنه وطمأنينته"٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٦: ٣٧٣٤)، وفسر القرطبي قوله تعالى: **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**٠(طه :١٣٢)، فقال: "[لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا] أخرجه البخاري، فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق، قال ابن العربي: ولكن شيوخ الصوفية قالوا: إنما يغدو ويروح في الطاعات فهو السبب الذي يجلب الرزق قالوا: والدليل عليه أمران: أحدهما – قوله تعالى: **{وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك}**(طه : ١٣) الثاني – قوله تعالى: **{إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}**(فاطر : ١٠)، فليس ينزل الرزق من محلّه وهو السماء إلا بما يصعد وهو الذكر الطيب والعمل الصالح، وليس بالسعي في الأرض فإنه ليس فيها رزق والصحيح ما أحكمته السنة عند فقهاء الظاهر وهو العمل بالأسباب الدنيوية من الحرث والتجارة في الأسواق والعمارة للأموال وغرس الثمار"٠ (القرطبي، ب٠ت،ج٨: ٩٥)

م– العبادة تقوّي البدن ويصحّ بها الجسم ويطرد بها الداء: ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم وقربة إلى الله و تكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد"٠(البيهقي، ١٩٨٩ ،ج٣: ١٢٧)، ويؤكد (قطب) أن فائدتها: "لا بما تمنحه العبادة من شحنات من النور، والقوة، والعاطفة، والأمل فحسب، بل بالتوبة التي تمحو سيئاته"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج١ :٩٧)، ويعلق (الصيّاح) على مسألة القوة في العبادة فيقول: قرأت هذه الأقوال ــ عدم تفويت تكبيرة الإحرام في المسجد والمواظبة لمدة أربعين أو خمسين أو سبعين سنة في الصف الأول ــ متعجبا من هذه الهمة والقوة في تربية النفس على الإيمان وأسبابه، ثم تأملت حالي وحال الكثيرين من أبناء هذا الزمن؛ فذهلت للنتيجة٠

إن هذا التأخير والتفويت نوع من الضعف، ينبغي أن يقابل بالقوة والحزم والعزم قال تعالى: **{خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**(البقرة :٦٣)، وقال تعالى: **{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ}**(الأعراف :١٤٥)، وقال تعالى: **{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً}**(مريم :١٢)(الصيّاح،٢٠٠٣ :٢٦)

ن– العبادة تجلب الطمأنينة والأمن والأمان النفسي: علّق (الرازي) على قوله تعالى: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ{٩٧} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ{٩٨} وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ**

الْيَقِينُ{٩٩}}٠(الحجر:٩٧ –٩٩)، فقال: واعلم أن العبادة والعبودية مقام عالٍ شريف، والاستدلال بها وجهين: أحدهما: أنه قال: **{واعبد رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليقين}**، فأمر محمداً ﷺ على العبادة إلى أن يأتيه الموت، ومعناه أنه لا يجوز الإخلال بالعبادة في شيء من الأوقات، وذلك يدل على غاية جلالة أمر العبادة، وثانيهما: أنه قال: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}** ثم إنه تعالى أمره بأربعة أشياء: التسبيح: وهو قوله فسبح؛ والتحميد: وهو قوله بحمد ربك؛ والسجود: وهو قوله: **{وَكُنْ مّنَ الساجدين}**، والعبادة؛ وهي قوله: **{واعبد رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليقين}**؛ وهذا يدل على أن العبادة تزيل ضيق القلب، وتفيد انشراح الصدر، وما ذاك إلا لأن العبادة توجب الرجوع من الخلق إلى الحق، وذلك يوجب زوال ضيق القلب" ٠(الرازي، ب٠ت،ج١: ٢٢٩)، ويؤكد(قطب) أن: "في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن؛ ويرضى فيستروح الرضى من الله والرضى عن الحياة؛ والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان . . وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها؛ فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين"٠(قطب،١٩٨٦، ج٤: ٢٢٤٨)

ويعلق (قطب) أيضا بقوله: "وصورة أخرى لأصحاب القلوب المطمئنة ولقد سبقت الإشارة إلى الفارق الضخم بين من يعلم أن ما أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق، ومن هو أعمى، فالآن يحكي السياق شيئا عن العمي الذين لا يرون آيات الله في الكون، والذين لا يكفيهم هذا القرآن، فإذا هم يطلبون آية، وقد حكى السياق شيئا كهذا في شطر السورة الأول، وعقّب عليه بأن الرسول ليس إلا منذرا والآيات عند الله، وهو الآن يحكيه ويعقّب عليه ببيان أسباب الهدى وأسباب الضلال، ويضع إلى جواره صورة القلوب المطمئنة بذكر الله، لا تقلق ولا تطلب خوارق لتؤمن وهذا القرآن بين أيديها، هذا القرآن العميق التأثير"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٤ :٢٠٥٩)، ويتساءل (منصور) عن ذلك بقوله: ولكن لماذا كانت العبادة علاجا للأمراض النفسية؟، ويجيب: بأن للأمراض النفسية أسباب أهمها:

١– وقوع المريض تحت ضغط وتسلط ممن هو أقوى منه، سواء بالقوة المادية أوبا لإكراه المعنوي كالكلمات اللاذعة التي تحمل التهكم والسخرية، والانتقاص من قدر الإنسان وتناول شخصيته بما ليس فيه٠

٢- إلحاح عوامل داخلية كالنفس الأمارة بالسوء أو خارجية كوسوسة الشيطان، وربما يؤدي هذا الإلحاح إلى الوقوع في المعصية التي تجعل صاحبها في قلق نفسي دائم وخوف مستمر(مرسي، ١٩٩٤: ١٩٤،١٩٥) (منصور،١٩٨٣: ٤٨)

٣- قد يكون من غير سبب معروف، وهذه حالة تنتاب الإنسان الذي يعاني من عدم الاستقرار النفسي، وإذا سئل عن سبب ذلك لم يبد أي تعليل، ويقول لك أنه في ضيق نفسي٠(منصور،١٩٨٣: ٤٩)

س- العبادة يُبتلى بها الإنسان ويُمحّص: فالدنيا دار ابتلاء، ومادة هذا الابتلاء هي عبادة الله تعالى تحقيقا لأمره: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}** (الملك: ٢)، ويعلق (قطب) على ذلك: "والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز، التمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير . . إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية، وتسليط الضوء على هذه المكنونات، تمهيدا لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق، بلا غبش ولا ضباب، وكثيرا ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرا ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكن فيها من رواسب، لا تظهر إلا بمثير !، وفي هذا التمحيص الذي يتولاه الله – سبحانه – بمداولة الأيام بين الناس بين الشدة والرخاء، يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحك المرير:محك الأحداث والتجارب والمواقف العملية الواقعية" ٠(قطب، ١٩٨٦ ، ج١ :٤٨٢)

ويبين قطب أيضا أنّ: "الله – سبحانه – يطلق الابتلاءات والامتحانات تمضي في طريقها، ويتلقاها عباده، كل وفق طبيعته واستعداده، وكل حسب طريقه ومنهجه الذي اتخذه لنفسه، والابتلاء واحد . . ولكن آثاره في النفوس تختلف بحسب اختلاف المنهج والطريق . . الشدة تسلط على شتى النفوس، فأما المؤمن الواثق بالله وحكمته ورحمته فتزيده الشدة التجاء إلى الله وتضرعا وخشية، وأما الفاسق أو المنافق فتزلزله وتزيده من الله بعدا، وتخرجه من الصف إخراجا، والرخاء يسلط على شتى النفوس، فأما المؤمن التقي فيزيد الرخاء يقظة وحساسية وشكرا، وأما الفاسق أو المنافق فتبطره النعمة ويتلفه الرخاء ويضله الابتلاء"٠(قطب، ١٩٨٦، ج١: ٥١)

ع- العبادة للاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن والأمان: ولقد وعد الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات بذلك، ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}**(الأنبياء: ١٠٥-١٠٦)، فيقول: "فما هي هذه الوراثة ؟ ومن هم عباد الله الصالحون ؟ ولقد وضع الله للبشر منهجا كاملا متكاملا

للعمل على وفقه في هذه الأرض، منهجا يقوم على الإيمان والعمل الصالح، وفي الرسالة الأخيرة للبشر فصل هذا المنهج، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه، وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته، وفي هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود، ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة، فلا ينتكس حيوانا في وسط الحضارة المادية الزاهرة، ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة ... وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله ، وتجري سنته: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . . فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون" . (قطب،١٩٨٦ ، ج٤: ٢٤٠٠)

ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** (النور :٥٥)، فيقول: "فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟ إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله؛ لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا... للاستخلاف والتمكين والأمن".(قطب، ١٩٨٦ ، ج٤: ٢٥٢٨)

ف- العبادة تحفظ الكرامة وهي مصدر للثروة والعيش الكريم: فلا تظهر قيمة الإنسان إلا إذا عمل عملا مفيدا مثمرا يعود عليه وعلى أمته بالخير، ابتداء بالطعام واستمرارا لبناء الكيان الحضاري للأمة، فابتداء بالطعام لقول النبي ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".(البخاري، ١٩٨٧،ج٢: ٧٣٠) أما في البناء الحضاري للأمة فيقول النبي ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". (البخاري، ١٩٨٧،ج٢: ٨١)، وبه يحفظ الإنسان نفسه من أن يكون عالة على غيره كما قال النبي ﷺ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ".(البخاري، ١٩٨٧، ج٢: ٥١٨)، وكذلك حديث المغيرة عن النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ

ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأْدَ الْبَنَاتِ وَعُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَمَنَعَ وَهَاتِ"٠(ابن حنبل، ب.ت،،ج٤: ٢٥٤)

ويقول (قطب) في ذلك: "إن التصور الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله ، بإذن الله ، وفق شرط الله . . ومن ثم يجعل العمل المنتج المثمر، وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها – بل الخامات والموارد الكونية كذلك – هو الوفاء بوظيفة الخلافة، ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة – وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف – طاعة لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة؛ بينما هو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له؛ ويفيض عليه الرزق من فوقه ومن تحته٠ (قطب، ١٩٨٦ ، ج٢: ٩٣٢)

ص- العبادة ترفع الذل وتحرّر الأرض وتننشر الدين فيها: وذلك بالجهاد وإعلاء كلمة الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، قال تعالى: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**٠(الأنفال:٣٩)، وقوله تعالى: **{فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**٠(التوبة:٤٠)

ق- العبادة تجدّد الإيمان وتنقية بالتوبة: حيث يجدد الإنسان إيمانه كل حين، وينفض عنه ما لحق به من آثار المعاصي: **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**(النور:٣)، وقول النبي ﷺ: "سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٣٢٣)

رابعا: المقوم الخُلُقي

مقدمة:

لقد جاء الإسلام لإقامة عالم رفيع الخلق، وبُعث رسول الله ﷺ متمما لمكارم الأخلاق؛ لذلك قدم الإسلام منهجا خُلقيا كاملا يشمل جميع جوانب الحياة، سواء كانت على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع والعالم بأسره ٠

ويقرر (القرضاوي) أنه: "ينبغي أن نعلم أن الإسلام أوسع وأشمل من الدين، فالإسلام دين ودنيا، وعبادة ومعاملة، وعقيدة وشريعة، وثقافة وحضارة، ودين ودولة، ولا عجب أن جعل الفقهاء والأصوليون المسلمون الدين إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة ــ بل الشرائع السماوية كلها ــ بالمحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وأضاف بعضهم لها العرض٠(القرضاوي، ١٩٩٤: ٧١)، ويقوم المنهج الخُلقي ــ أول ما يقوم ــ على أساس العقيدة، "فمنها ينبع الخُلُق"، وعلى أساسها يقوم التشريع، وهي الحارس القائم في الضمير على أمانة التنفيذ، والحافز للنفس على الطاعة والاستقامة والضمان القوي للمجتمع من الفساد والانحراف٠(شديد، ١٩٧٦: ١٤٦، ١٤٧)

ويقول (قطب): "إنه الفساد، فساد الفطرة بانحرافها، وفساد الحياة باعوجاجها . . وهذا الفساد هو حصيلة صد الناس عن سبيل الله وصد المؤمنين عن منهج الله . . وهو فساد في التصور، وفساد في الضمير، وفساد في الخلق، وفساد في السلوك، وفساد في الروابط، وفساد في المعاملات، وفساد في كل ما بين الناس بعضهم وبعض من ارتباطات، وما بينهم وبين الكون الذي يعيشون فيه من أواصر . . وإما أن يستقيم الناس على منهج الله فهي الاستقامة والصلاح والخير، وإما أن ينحرفوا عنه إلى أية وجهه فهو العوج والفساد والشر، وليس هنالك إلا هاتان الحالتان، تتعاوران حياة بني الإنسان: استقامة على منهج الله فهو الخير والصلاح، وانحراف عن هذا المنهج فهو الشر والفساد"٠(قطب، ١٩٨٦، ج١: ٤٣٧)

وعندما تكون تربية الطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني، والصلة بالله عز وجل، فإن الطفل ــ لاشك ــ يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد (علوان، ١٩٦٩،ج١: ١٧٦)

والأخلاق الإسلامية الفاضلة قيم ثابتة، لا تتغير بالأهواء والمصالح؛ إذ إن وراءها العقيدة الراسخة التي تحول دون العبث بها، وكذلك النصوص الواضحة في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ٠(الهاشمي، ١٩٧٤: ٢٢٤)

وتقاس الأخلاق بناء على آثارها في سلوك الإنسان، فالخلق الحميد نكون آثاره حميدة، والخلق الذميم تكون آثاره ذميمة، وكلمة خُلُق وحدها، لا تعطي معنى الأخلاق الحسنة لأنها تحتمل المعنيين الحسن والقبح، فعند المدح يوصف الخُلُق في لغة العرب بأنه: (حسن) أو (كريم) أو (جميل) أو(رضي)، وقد وصف ومدح الله تعالى نبيه ورسوله محمدا ﷺ بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}٠(القلم:٤)، وقد فسرها ابن عباس بقوله: "على دين عظيم"، أي الإسلام ٠(ابن كثير، ١٩٨٠،ج٤: ٤٠٣)، ومن الملاحظ أن نبينا محمدا ﷺ هو الوحيد من الأنبياء والرسل الذي وصف بهذا الوصف، فقد وصف الله الأنبياء والرسل قبله بأوصاف أخرى، فقال عن بعضهم إنه (تقي) أو(حليم) أو(أواب) أو (صابر) أو(صالح) أو(صادق) أو(شكور) أو(بر بوالديه)، والذي نفهمه أن وصف الله للأنبياء قبل النبي ﷺ انصبّ على جوانب من مكارم الأخلاق، وصف بها المولى عز وجل بعض الأنبياء دون بعض، وإن كانوا جميعا في مقام العصمة السامي، وأما جماع مكارم الأخلاق وتمامها وكمالها من كل طرف وجانب وناحية فلا تعبر عنها إلا كلمة عظيم، ويقول (قطب): "إنه محمد – وحده – هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني، إنه محمد – وحده – هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية، حتى لتتمثل في شخصه حية ، تمشي على الأرض في إهاب إنسان . . إنه محمد – وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام، والله أعلم حيث يجعل رسالته – وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم"٠(قطب،١٩٨٦، ج٦: ٣٦٥٧)

وعند وصف أي شخص بأنه كريم أو حميد أو جميل مثلا لا يتبادر إلى الذهن جميع صفات الكمال في الأخلاق الأخرى، كالصبر والتضحية والعزّة وغيرها، ومن الحكمة أن يجعل الله نبيه محمدا ﷺ خاتم النبيين في هذه المرتبة العليا من الأخلاق؛ لأن مكارم الأخلاق الإنسانية هي الثمرة للإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا ما يفسره قول النبي ﷺ: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"٠(الحاكم، ١٩٩٠،ج٢: ٦٧٠)(الجسر، ٢٠٠٤: ٣١ ،٣٣)، ويعلق (قطب) على هذا الحديث بقوله: "والرسول الكريم يقول: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . . فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد: وإنك لعلى خلق عظيم . . فيمجد بهذا الثناء نبيه ﷺ كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم، ويشد به الأرض إلى السماء، ويعلق به قلوب الراغبين إليه – سبحانه – وهو يدلهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم" ٠ (قطب، ١٩٨٦، ج٦: ٣٦٥٧)

ويقول (الجندي): "بأن الدين والأخلاق حقيقتان لا تنفصلان في الإسلام، كما تتلازمان في جميع الأديان، والقرآن أصل الأخلاق الإسلامية، وليس هناك انفصال بين النظرية والسلوك العملي، وقد رسم القرآن قواعد العمل الصالح"٠(الجندي،١٩٧٤: ٣٨٠)

وقد اعتبر النبي ﷺ الخلق دينا في الحديث المرسل حينما جاء إليه رجل فقال له: ما الدين فقال الرسول ﷺ: "حسن الخلق" (علوان، ١٩٩٨،ج٢: ٢٣٦)، وهذا يعني أن حسن الخلق هو ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه، كالوقوف بعرفات في الحج؛ لقوله ﷺ: "الحج عرفة"٠(ابن حنبل، ٢٠٠٦،ج٢: ٤٠١)، واعتبره النبي ﷺ دينا يُتدين به فقال ﷺ: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"٠(الترمذي،ب.ت،ج٣: ٣٩٤)، وهذا من باب عطف الخاص على العام لبيان أهميته؛ ولذلك يؤكد (أبو زهرة) أن الأخلاق الفاضلة ليست مقياسا ضابطا يفصل بين الحقوق والواجبات العملية فحسب، بل هي دين يُتدين به٠ (أبو زهرة، ٢٠٠٤: ٧٥)

ولا ريب أن الأخلاق ذات جذور من الدين لا تنفك عنه، وهي أصل قائم داخل إطاره يطبع كل التصرفات وأعمال السلوك ويطبع السياسة والاجتماع والتربية بطابعه، وتقوم الأخلاق في الإسلام على أساس الالتزام، وفي نطاق المسئولية الفردية٠(الجندي،١٩٧٤: ٣٨٠)، ويؤكد (نصار) ذلك بقوله: "والعلاقة بين الدين والأخلاق كعلاقة الأصل بالثمرة"٠ (نصار،١٩٨٢: ١٥ ،١٦)، ويرى الباحث أن الدين والأخلاق كالجسد والروح للإنسان، فلا يمكن للإنسان أن يعيش بدونهما معا، ويؤكد (قطب) دمار المجتمعات بدونهما فيقول: "والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي "تحررت !" من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة ، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب، لو كانت هنالك قلوب"٠(قطب، ١٩٨٦، ج٢: ٦٣٢)

أما الدين فيعرفه (النحلاوي) بأنه: "علاقة خضوع وانقياد وعبودية من قبل البشر، يشعرون بها نحو خالق حاكم مسير لأمور الكون، حاكم قهار يحيي ويميت وإليه النشور، قد وضع لهم نظاما كاملا شاملا للحياة بجميع جوانبها، وأمرنا أن نسير عليه، وأخبرنا بالجزاء الذي أعده لجميع المكلفين يوم الحساب"٠(النحلاوي، ١٩٩٣ :١٦)

وقد نجد بعض الناس من يترك الصلاة أو بعض شعائر الدين وإذا سألته لماذا ؟ أجاب: بأنه أفضل كثيرا من بعض المتدينين أو كثير منهم، وأن عنده أخلاقا عالية ولا يحتاج للتدين، ويرد الباحث على هذا الادعاء بأقوال مفكرين من غير المسلمين٠

ولذلك يعيب (الجندي) على النظرية الغربية في علم الأخلاق والتي ترى بأن مبادئ الأخلاق إن هي إلا ظواهر اجتماعية تُملى على الأفراد دون أن يكون لهم دخل في بنائها، أو فضل في

الإيمان بها، وتقول إن الأخلاق تختلف عن الدين، إذ ليس من الضروري أن كل من يعتقد في دين معين أن يصبح أخلاقيا، كما ليس من الضروري أن يكون كل ملحد لا أخلاق له، وأن الأخلاق هي استجابة النفس إلى الوسط، فإذا تغير الوسط تغيرت الأخلاق، وهذا الوسط يتسع وينحصر باختلاف الزمان والمكان، وأن الأمم ليست بحاجة إلى الدين، ولكنها بحاجة إلى الأخلاق، فالأخلاق هي التي ترفع الأمم إلى مستوى الرقي وليس الدين، وأن أوروبا لم تنهض إلا بالأخلاق، وانه يمكن الاستغناء عن الأديان اكتفاء بالضمير الإنساني الدافع إلى فعل الخير٠ (الجندي،١٩٧٤:٣٧٩)

١- **معنى الأخلاق:** الأخلاق في اللغة جمع خُلُق وهو: "السجية والطبع والمروءة والدين"٠ (الفيروزآبادي، ١٩٩٥: ١١٣٧)، وفي تاج العروس للزبيدي: "والخُلُقُ: العادَةُ" ومنه قَوْلُه تعالى: "**إِنْ هذا إِلا خُلُقُ الأوَّلِين**"، وقد وردت كلمة خُلق مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**٠(القلم:٤)، وقوله تعالى: **{إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ}**٠(الشعراء:١٣)، وتطلق كلمة (خُلق) في لغة العرب على الطبع والسجية والعادة والمروءة والدين، قال سالم بن وابصة:

يا أيها المتّحلي غير شيمته إن التخلّقّ يأتي دونه الخُلُق

والفرق بين الطبع والسجية هو أن الطبع يطلق على الخُلُق الفطري، فالطَبْع هو: "الجبلّة التي خُلق الإنسان عليها"، والسجية تطلق على الفطري، وعلى المكتسب إذا أصبح عادة، ولعل قول حسان بن ثابت في مدحه للصحابة الكرام يؤيد ذلك: (ابن ثابت الأنصاري،ب.ت: ١٤٩)

سجيةٌ تلك منهم غير محدثةٍ إن الخلائق فاعلم شرُّها البدع

فالسجية قد تكون مُحدثة وقد تكون غير مُحدثة، كما يظهر في هذا البيت، ويؤكد (قطب) على أنّ: "اتجاه الإنسان إلى طلب الهدى، أو اتجاهه إلى الضلال، كلاهما ينشأ من خلقته التي فطره الله عليها بمشيئته، فهذا الاتجاه وذاك مخلوق ابتداء بمشيئة الله، والنتائج التي تترتب على هذا الاتجاه وذاك من الاهتداء والضلال إنما ينشئها الله بمشيئته كذلك، فالمشيئة فاعلة ومطلقة، والحساب والجزاء، إنما يقومان على اتجاه الإنسان الذي يملكه، وإن كان الاستعداد للاتجاه المزدوج هو في الأصل من مشيئة الله"٠(قطب، ١٩٨٦، ج٢: ١٠٨١)

ويشير(يالجن) إلى ثلاثة معان للأخلاق:

أ- تدل على الصفات الطبيعية في خِلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة ٠

ب- تدل على الصفات التي اكتسبت وأصبحت عادة في السلوك كعادة التدين، ومن ثم تصبح وكأنها خلقت مع طبيعته أو تصبح طبيعته الثانية ٠

ج- أن للأخلاق جانبين: جانبا نفسيا باطنيا، وجانبا سلوكيا ظاهريا ٠ (يالجن، ٢٠٠٢: ٧٠)

أما في اصطلاح العلماء فيعرفها (زيدان) بأنها: "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزاتها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه"٠ (زيدان، ١٩٨٧ :٧٩)

أما تعريف الخُلق في التربية الإسلامية فهو: "صفة مستقرة في النفس ــ فطرية أو مكتسبة ــ ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة"٠(الميداني، ١٩٩٣،ج١: ٧)، وفي ذلك يقول (قطب): "ووراء ذلك كله مشيئة الله . . المشيئة الطليقة التي قضت أن يكون هذا الخلق المسمى بالإنسان على هذا الاستعداد المزدوج للهدى والضلال، عن اختيار وحكمة، لا عن اقتضاء أو إلزام . . وكذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم . بمشيئته تلك، التي تعين من يجاهد، وتضل من يعاند، ولا تظلم أحدا من العباد .

ويبين (وليم ليلى) بأن بعض العلماء يفرق بين الدين والأخلاق في أن الأخلاق تهتم بسلوك الإنسان، بينما الدين يهتم بالشخصية كلها([١٤])٠(ليلى، ٢٠٠٠: ١٣٣)

ويدلل (قطب) على العلاقة بين الدين والأخلاق، فيذكر حادثة توسّط بلال بن رباح لأبي رويحة في زواجه، فيقول: "وبلال بن رباح يرجوه أخوه في الإسلام أبو رويحة الخثعمي أن يتوسط له في الزواج من قوم من أهل اليمن، فيقول لهم: "أنا بلال بن رباح، وهذا أخي أبو رويحة، وهو امرؤ سوء في الخلق والدين، فإن شئتم أن تزوجوه فزوجوه، وإن شئتم أن تدَعوا فدَعوا " . . فلا يدلّس عليهم، ولا يخفي من أمر أخيه شيئا"٠(قطب،١٩٨٦، ج٦: ٣٨٣٠)

٢- ثبات الأخلاق وقبولها للتبديل والتعديل:

انقسم العلماء في ذلك إلى قسمين: القسم الأول قال: بأنها ثابتة وغير قابلة للتبديل والتعديل، وأما القسم الثاني فقال: إنها قابل للتبديل والتعديل، وعلى رأسهم حُجّة الإسلام الغزالي ــ والباحث يميل إلى هذا الرأي ــ وقال الغزالي: "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات . . . وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق"٠(الغزالي،ب.ت،ج٣: ٥٦)

ودلل (علوان) على إمكانية تعديل وتبديل الخُلق بالتعوّد والتجربة العملية بقوله: "وأكبر دليل على ذلك نجاح التجربة العملية لكثير من الآباء والمتدينين مع أبنائهم، ونجاح تجربة محمد بن سوار مع ابن أخته (التستري) في تربيته على الإيمان وإصلاح نفسه ووجدانه، ورأينا أن نفسه قد صلُحت لمّا ربّاه خاله على مراقبة الله، والخشية منه، والاعتماد عليه، وذلك في التزامه أن يردّد

---

[١٤]- بالإنسان كله ٠

في سرّه وعلنه، وظاهره وباطنه، واجتماعه وخلوته: "الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي٠ (علوان، ١٩٧٧،ج١: ١٧٥)

٣- أنواع الأخلاق: والخُلق الذي يتم بناؤه في شخصية المتعلم المسلم هو الخُلق الحسن المستمد من توجيهات الكتاب الكريم والسنة المطهرة ٠(جبار، ٢٠٠١: ٢٣٤)، وقد ذكر (الغزالي) في تحديده لبعض أنواع الأخلاق الحسنة حديثا عن النبي ﷺ أنه قال: "يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك، وقيل إن حسن الخُلق هو: بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى، وقيل حسن الخُلق بذل الجميل، وكف القبيح"٠(الغزالي،ب.ت،ج٢: ١٥٨)، وقيل إن حسن الخُلق يشمل التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل٠(ابن قيم الجوزية،١٩٧٣،ج٢: ٣٠٧)، ولله درّ العربي الأصيل الذي قال لأولاده:

أَبَنِيّ إن البِّر شيءٌ هينٌ وجهٌ طليق وكلامٌ ليِّن

والأخلاق هي التي تحدد علاقة الإنسان بربه عز وجل، وعلاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الرجل بأهله، وعلاقته بأقربائه وجيرانه، والرجل في الطريق، وغيرها من المجالات التي يجدها المسلم وينطلق من خلالها ليمارس تلك الآداب والأخلاق الإسلامية العظيمة٠(با حارث، ١٩٩١ :٩٤)

والأخلاق تشمل: الصدق، والأمانة، والعفة ونحو ذلك ٠(سويد، ١٩٨٧ :١٥٥، ١٥٦)

وقسم علماء الدين والتربية الأخلاق إلى ثلاثة أقسام: (نصار، ١٩٨٢: ٢٦)

أ- فضائل شخصية: كالعفة والشجاعة ٠

ب- فضائل اجتماعية: كاحترام نظام الأسرة والمهنة والوطن ٠

ج- فضائل عامة: وتتعلق بتنظيم العلاقة بين الناس، كالأمانة والتواضع٠

ويرى الباحث أن الأخلاق الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أخلاق تختص بعلاقة الإنسان مع الله تعالى، أي أخلاق شخصية، وأخلاق تختص بمجاهدة النفس بالعبادات والطاعات، وأخلاق تتعلق بالعلاقة مع الناس أي المعاملات، أي عامة٠

وهذه الأخلاق الثلاثة مأخوذة من قول النبي ﷺ: "اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"٠(الترمذي،ب.ت،ج٤: ٣٥٥)

وهكذا حدد الإسلام وفصّل أخلاقا للمناشط المختلفة في حياة الإنسان وحدد مسئوليته في التزامه بهذه الأخلاق، ومع أن الأخلاق في الإسلام شاملة ومتكاملة غير منفصلة، ولا يمكن تجزئتها، لكنّ الباحث سيقوم بشرح أهم الأخلاق في نهاية هذا الباب إن شاء الله تعالى للتسهيل ٠

٤- المسئولية الأخلاقية والدرجية: لقد غاب دور المسئولية الفردية عن واقع الأمة الإسلامية قرونا طويلة، حتى جمع التاريخ لنا حشودا هائلة من المنتسبين للإسلام، تطويهم الغفوة والسبات

العميق في لهو وفتنة، أو في تيه وظلام، أو في فاحشة وخمور ومخدرات، أو في عصبيات جاهلية، تأكل الجهود وتقتلع الغراس وتسحق الثمار، وتنبت الفرقة والتمزق والصراع على شهوات الدنيا ومصالحها وعرضها الزائل، أو تغيب الحشود في خدر وشلل، أو كِبر وغرور ٠ فكم من الناس يغادرون هذه الدنيا على شِرك وفتنة تلقيهم في النار، حين لم يجدوا من يلتفت إليهم فينقذهم أو يوقظهم، وحين فصل المسلمون بوجه عام والدعاة بوجه خاص بين مسئوليات ومسئوليات٠ (النحوي، ١٩٩٨: الغلاف)

إن المسئولية الفردية في الإسلام أساس ضروري لقيام مسئولية الجماعة والأمة، ويرتبط مفهوم المسئولية في التربية الإسلامية بمبدأ آخر وهو ــ الدرَجِية ــ أي أن الله تعالى جعل الناس درجات في الخلافة عنه في الأرض، وتتحدد مسئولية كل فرد أمام الله حسب درجة الخلافة التي وضعه الله فيها: **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}**٠(الأنعام:١٦٥)

والدرجية أنواع: درجية في الرسالة، ودرجية في الفهم والعلم، ودرجية في المكانة والابتلاء، ودرجية في الغنى والفقر، ودرجية في القوة والضعف، ودرجية في القيادة والتدبير، ودرجية في الإيمان والإسلام، ودرجية في الجزاء الأخروي"٠(الكيلاني،١٩٩٤: ٨٥٨)

وأوضح قطب أنّ: "للإيمان وزنه وقيمته على كل حال، مع تفاضل أهله في الدرجات وفق تفاضلهم في النهوض بتكاليف الإيمان، فيما يتعلق بالجهاد بالأموال والأنفس"٠(قطب،١٩٨٦، ج٢: ٧٤١)، وكلما زادت الدرجية زادت المسئولية وكذلك الحساب في الدنيا والآخرة، فمسئولية الفرد الواحد لا تتساوى بمسئولية رب الأسرة ومن ثَم الحاكم، وإن كانوا جميعا غير خالين من المسئولية، وقد قال النبي ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"٠(البخاري، ١٩٨٧، ج١: ٣٠٤)

ويقرر (قطب) أنها: "خاصية هذا الدين وميزته، إنه طريق مفتوح لجميع البشر، وأفق يتطلع إليه الجميع، ليس فيه احتكار للمقامات، وليس فيه خصوصيات محجوزة لأناس بأعيانهم، وليس إلا العمل يصعد بصاحبه إلى أرقى الدرجات، إنه دين لا مجال فيه للطبقات المحفوظة المقام"٠(قطب،١٩٨٦، ج٦: ٣٤٩٠)

فإذا أحسن المسئول الكبير كان في منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة، لقول النبي ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٢: ٥١٧)، وإن أساء فهو كما قال النبي ﷺ: "ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة"([١٥])٠(ابن

[١٥]- أي صاحب الولاية العامة؛ لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير ٠

الحجاج،ب.ت،ج٣: ١٣٦١)، وقال النبي ﷺ: "مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٦: ٢٦١)، والتكافل الاجتماعي مسؤولية الحاكم أو الخليفة أولا ثم المحكومين، وقد أعجب الباحث ردّ المرأة الفقيرة التي لا تجد ما تسدّ به رمق أطفالها على الفاروق عمر عندما كان يتفقد أحوال رعيته ليلا فقال لها: "أي رحمك الله وما يدري عمر بكم، فسألته بتعجب: يتولى عمر أمرنا ثم يغفُل عنّا!"٠(ابن حنبل، ١٩٨٢،ج١:٢٩٠)

ويحدّد (النحوي) التكاليف والمسئوليات في تسع مسئوليات: (النحوي، ١٩٩٨: ٩٩ -١٠١)

أ- الأولى: أن يفكر تفكيرا منهجيا نابعا من فطرته التي فطره الله عليها، ومتدبرا لآيات الله في نفسه وفي الكون كله، ويفكر تفكيرا يقود إلى الإيمان والتوحيد ٠

ب- الثانية: أن يتخذ قرارا بالإيمان أو الكفر وأن يتحمل قراره في الدنيا والآخرة ٠

ج- الثالثة: القيام بمقتضى الشهادتين قولا وفعلا، فالإيمان مفاصلة وحسم، وتكاليف والتزام، ومسئولية وحساب ٠

د- الرابعة: أداء الشعائر كلها والوفاء بها٠

هـ- الخامسة: طلب العلم فريضة على كل مسلم من منهاج الله – قرآنا وسنة ولغة عربية ٠

و- السادسة: دراسة الواقع ووعيه من خلال منهاج الله ورد الأمور إليه عن إيمان ويقين وعلم٠

ز- السابعة: ممارسة منهاج الله في الواقع البشري، ومعرفة المسلم لحدوده، ومبادرته الذاتية بحوافز إيمانية، والاجتهاد مع مجاهدة النفس في حدود مسئولياته وأمانته وعلمه٠

ح- الثامنة: المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية، وأولها الدعوة إلى الله ورسوله، والإيمان والتوحيد، وإلى كامل رسالة الإسلام ــ قرآنا وسنة ولغة عربية ــ دعوة منهجية٠

ط- التاسعة: وتمضي من خلال ذلك سائر المسئوليات والتكاليف السابقة أو ببعضها أو بواحدة منها: مع نفسه وأهله وأرحامه وأمته والناس كافة ٠

٥- أهمية الأخلاق: لقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}**٠(الأعراف:١٩) ولقد وصف الله نبيه الكريم ﷺ بالخلق العظيم فقال تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**٠(القلم:٤)، ويعلّق (قطب) على الآية بقوله: "لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله، وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية كأصالة الحقيقة المحمدية"٠(قطب،١٩٨٦،ج٦: ٣٦٥٧)، وقد اعتبر النبي ﷺ أن الهدف من رسالته هو إرساء قواعد الأخلاق الفاضلة، فقال ﷺ: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"٠(الحاكم، ١٩٩٠،ج٢: ٦٧٠) وقد كان النبي ﷺ بين أصحابه مثلا أعلى للخُلق الذي يدعوا إليه، فهو يغرس بينهم هذا الخلق

السامي، بسيرته العطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات.(الغزالي، ١٩٧٩: ١٦) وعندما سُئلت أم المؤمنين عائشة عن خلقه قالت: "كان خلقه القرآن" أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: **{وإنك لعلي خلق عظيم}**. (ابن حنبل، ب.ت، ج٦: ٩١)، ولقد حث النبي ﷺ صحابته الكرام على حسن الخُلق: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق وطول الصمت والذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلهما" .(البيهقي، ١٩٨٩،ج٤: ٢٤٢)

ولقد جعل الله تعالى الخُلق الحسن والإيمان متلازمان، ونفى التقوى التي هي من الإيمان عمن يتخلق بالخلق السيء، ومن ذلك قوله تعالى: **{فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** (التوبة:٤) (السوسي وآخرون، ١٩٩٣ :٦٣)

ولقد ربط القرآن الكريم كثيرا من العبادات بحسن الخُلق ومنها الجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام وحياة الأمة، ربطه بالأخلاق الفاضلة: **{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}**(البقرة:١٩٠)؛ وذلك لقوله ﷺ: "اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب".(ابن حنبل،ب.ت،ج٣: ٤٥٣)(الغزالي، ١٩٧٩: ٣٢)، واعتبر الخُلق الحسن أفضل من أداء النوافل لقول النبي ﷺ: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام".(الطبراني، ١٩٨٣،ج١٢: ٤٥٣)

وقول النبي ﷺ: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن".(الترمذي،ب.ت،ج٤: ٣٥٥)، وقول النبي ﷺ: "ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق".(البخاري، ١٩٨٨،ج١: ١٠٣)، وقول النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق".(البيهقي، ١٩٨٩،ج٦: ٢٤١)، وقول النبي ﷺ: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".(أبو داود،ب،ت،ج٢: ٦٣٢)، ومن حسن الخُلق أن تَألف وتُؤلف من الناس لقول النبي ﷺ: "أكمل الناس إيمانا أحاسنهم أخلاقا المُوطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف".(الطبراني، ١٩٨٤،ج١: ٣٦٢)، واعتبر النبي ﷺ حسن الخُلق اسما جامعا لكل أعمال الخير، فعن النواس بن سمعان الأنصاري قال: "سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم

؟ فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٤: ١٩٨٠)

ووصف النبي ﷺ حسن الخُلق بأنه: "هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"٠(الترمذي،ب.ت،ج٤: ٣٦٣)

وبالأخلاق تقوم الأمم وبدونها تنهار، ومنها الأمة الإسلامية، وهذه سنة من سنن الله: **{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**(النمل:٥٢)، ومن ذلك قول شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد حذّر النبي ﷺ من سوء الأخلاق، فقال ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٤: ١٩٩٧)

وسلوك الإنسان عادة يوافق لما هو مستقر في نفسه من معانٍ وصفات، وما أجمل كلام (الغزالي) إذ يقول: "فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة"٠(الغزالي،ب،ت،ج٣: ٥٩)، فأعمال الإنسان إذن موصولة دائما بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب، ومعنى ذلك أن صلاح أعمال الإنسان بصلاح أخلاقه؛ وهي مرآة له، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، والعكس صحيح: **{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً}**٠(الأعراف:٥٨)؛ ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها٠(زيدان، ١٩٨٧ : ٧٩ ، ٨٠)

والتربية تكون دون شك ناقصة إذا اهتمت بكل شيء وتركت الأخلاق، فالتربية الكاملة هي ما اتخذت الأخلاق أساسا ونبراسا، فإن لم تَرم التربية إلى تهذيب الأخلاق فلا كانت، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغَّبتها وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

ويؤكد (عبد العزيز) أن الأخلاق: "ليست مهمّة فحسب، ولكنها الهدف من التربية، فإذا بلغنا هذا الغرض نجحنا في مهمة التعليم، وإذا أخفقنا في الوصول إليه أخفقنا في مهمتنا، ومتى تعلمنا كيف نؤدي واجبنا في هذا النوع من التربية حُلّت أكبر المسائل التي تعترضنا"٠(عبد العزيز، ١٩٧١،ج٢: ٢٦١)

ولهذا حرص الإسلام على صلاح النفوس، وبيّن أن تغير أحوال الناس من سعادة وشقاء، ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل، كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ}**٠(الأنفال:٥٣)

وتظهر أهميتها في أن الإنسان قبل أن يفعل شيئا أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه، فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضيا أو مقبولا انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكمشت النفس عنه وكرهته وأحجمت عنه تركا كان أو فعلا، وإن عملية الوزن هذه قد تكون سريعة جدا وغير محسوس بها إلى درجة أن الإنسان قد يفعل الشيء أو يتركه بدون روية أو تفكير، وفي بعض الأحيان لا تتم عملية الوزن والتقييم إلا بعد تأمل ومضي وقت طويل، وقد لا تتم هذه العملية فيقع الإنسان في التردد بين الفعل والترك، ولكن في جميع الأحوال لا بد من عملية الوزن والتقييم لكل فعل أو ترك بلا استثناء٠ (زيدان، ١٩٨٧: ٨٠ ،٨١)

٦- **خصائص الأخلاق الإسلامية:** للأخلاق في الإسلام خصائص تميزها عن غيرها في الأديان والشرائع الأخرى وهي:

أ- الصلة الوثيقة بين الإيمان عقيدة والأخلاق سلوكا لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ{١١٩}}**٠(التوبة:١١٩)، وفي الحديث الشريف: "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع"٠(البخاري، ١٩٨٨،ج١: ٥٢)(العجمي، ٢٠٠٣ :٨٠)

ب- تشمل كل سلوك إرادي صادر من إنسان راشد، فيوصف هذا السلوك بالأخلاقي أو غير الأخلاقي، ولا تقتصر الأخلاق على السلوك الظاهري وحسب، بل تشمل أعمال القلوب من النيات والإرادات والغايات، وما يترتب عليها من المسئولية والجزاء٠(يالجن، ٢٠٠٢: ٩٤)

ج- العبادات ذات أثر أخلاقي لا بد من تحققه في حياة الفرد والجماعة، ومن الأمثلة على ذلك: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ}٠(العنكبوت: ٤٥)(العجمي، ٢٠٠٣ :٨١)

ولا تقتصر الأخلاق على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وبينه وبين الله كما تدعو إلى ذلك بعض الديانات، بل يدخل في إطار هذه العلاقة الأخلاقية علاقة الإنسان بالله وبالإنسان وبالحيوان أيضا (يالجن، ٢٠٠٢: ٩٤)

ج- الأخلاق شرط لصحة المعاملات: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً}**٠(النساء:٢٩)، وفي الحديث الشريف: "من غش فليس مني"٠(ابن الحجاج،ب.ت،وج١: ٩)(العجمي، ٢٠٠٣ :٨١)

د- القيم الأخلاقية الإسلامية ليست نسبية تتغير من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، ثم من زمن إلى زمن، بل هي قيم ثابتة تزداد ثباتا وضرورة كلما مرت الإنسانية بتجارب في حياتها الأرضية ٠ (يالجن،٢٠٠٢ :٩٤، ٩٥)، ويحدّد (قطب) معنى الأخلاق وحقيقتها: "وهكذا تتحدد "الأخلاق" . . أخلاق الإيمان، وأخلاق الكفر . . فالباعث على العمل الطيب، والخلق الطيب، هو الإيمان بالله واليوم الآخر، والتطلع إلى رضاء الله . . وجزاء الآخرة . فهو باعث رفيع لا ينتظر صاحبة جزاء من الناس، ولا يتلقاه ابتداء من عرف الناس! فاذا لم يكن هناك إيمان بإله يبتغي وجهه، وتتحدد بواعث العمل بالرغبة في رضاه، وإذا لم يكن هناك اعتقاد بيوم آخر يتم فيه الجزاء . . اتجه هم الناس إلى نيل القيم الأرضية المستمدة من عرف الناس، وهذه لا ضابط لها في جيل واحد في رقعة واحدة، فضلا عن أن يكون لها ضابط ثابت في كل زمان وفي كل مكان! وكانت هذه هي بواعثهم للعمل، وكان هناك التأرجح المستمر كتأرجح أهواء الناس وقيمهم التي لا تثبت على حال! وكان معها تلك الصفات الذميمة من الفخر والخيلاء، والبخل والتبخيل، ومراءاة الناس لا التجرد والإخلاص"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :٦٦١)

هـ- الحدود في الإسلام زواجر عن جرائم خُلُقية (حد القتل ــ السرقة ــ الزنا)، ولعل المتأمّل في هذه الحقائق يدرك البعد الاجتماعي للأخلاق في الإسلام باعتباره دينا للحياة ينظم علاقات الأحياء ببعضهم وبالحياة حولهم من حيوانات أو جمادات مما يسمى بالبيئة أو الكون المحيط بنا٠ (العجمي، ٢٠٠٣ : ٨١)

٧- **مفهوم وغاية التربية الأخلاقية:** اختلف علماء الأخلاق والفلاسفة في تعريفهم للتربية الأخلاقية حسب تصوراتهم الفكرية والمذهبية ويعرف (يالجن) التربية الأخلاقية الإسلامية بأنها: "تنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية وتكوينه تكوينا كاملا من جميع النواحي، وذلك بتكوين استعداد أخلاقي للالتزام بها في كل مكان، وإشباع روحه بروح الأخلاق وذلك بتكوين عاطفة وبصيرة أخلاقية حتى يصبح مفاتيح للخير ومغاليق للشر أينما كان وحيثما وجد باندفاع ذاتي إلى هذا وذاك عن إيمان واقتناع وعن عاطفة وبصيرة، وذلك باستخدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق وتكوين ذلك الإنسان الأخلاقي الخيِّر"٠(يالجن، ٢٠٠٢: ١٠٩)

أما عن غاية التربية الأخلاقية في الإسلام، فهي على المدى القريب تهدف إلى تكوين إنسان خيِّر، وقد حدد الرسول ﷺ شخصية هذا الإنسان الخيّر بأنه: "مفاتيح للخير مغاليق للشر"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج١: ٨٦)، ومعنى مفاتيح الخير أنه أينما يجد الخير يسعى إليه ويأمر الناس به، ويعمل لإزالة العراقيل من طريقه، أي لا يفعل إلا الخير، ومعنى مغاليق للشر أنه يكف أولا عن

ارتكاب الشر؛ لأن الخيِّر لا يفعل شرا، ويرجِّح تحمله على ارتكابه، فارتكابه أفدح ضررا من تحمله، وكما يبين (قطب) تأثيرالإيمان على الأخلاق بقوله: "وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس، ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان، وسقط الإنسان سقطة وكان ذلك حيث لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفساً لوامة عنيفة، ووخزاً لاذعاً للضمير، وخيالاً مروعاً، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً، تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥ :٣١٦٣)

أما عن الغاية على المدى البعيد فهي الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدارين، وتلك الغاية أساسا غاية علم الأخلاق، والتربية الأخلاقية تأخذ غايتها من غاية الأخلاق لأن هدفها تحقيق تلك الغاية (يالجن، ٢٠٠٢: ١١٣ –١١٥)، وأول الطريق لتحقيق أهداف التربية الأخلاقية هو ضبط النفس بمعيار العبودية لله، فلا يظهر خُلُق من أخلاقها إلا في الحدود التي حددها الله عز وجل ٠(حوى، ١٩٨٧ :٧٢)، ويتم ذلك عند الصوفية بثلاث مراحل، مرحلتين تربويتين وهما: التخلية وتكون بتخلية النفس من جميع الرذائل الأخلاقية، والتحلية أي تحلية النفس بجميع الفضائل، أما الثالثة فهي مرحلة الثبات والدوام في حضرة الله، ويخصصون الأولى للمبتدئين، والثانية للمتوسلين، والثالثة للواصلين ٠(جعفر،١٩٦٢: ٧٢)، ومن ذلك مخاطبة شوقي نفسه بقوله:

صلاح أمركِ للأخلاق مرجعه فقّوم النفس بالأخلاق تستقم

ويقرر (يالجن) أن الطرق الفعّالة للتربية الأخلاقية الإسلامية تكمن في أربعة عناصر:

أ- إيجاد ظروف ومواقف تشجع على التطبيق العملي للمبادئ الأخلاقية٠

ب- الممارسة المستمرة للمبادئ الأخلاقية ٠

ج- تلقين المبادئ الأخلاقية بعد خبرة يمارسها في مشكلات يجد الحل السليم لها في المبدأ الأخلاقي ٠

د- التدرج في عملية التدريب والممارسة ثم التدرج في التربية الأخلاقية بصفة عامة ٠

٨- **وظائف الأخلاق:** يتفق علماء الأخلاق على أن الخُلق يؤدي الوظائف الآتية:

أ- الثبات والتماسك والتوافق والاضطراد، فمثلا: عواطف الإنسان نحو أسرته لا تتصادم مع عواطفه نحو وطنه بل إن عواطفه جميعا تعمل بشكل منسجم ومتوافق ٠

ب- إمكانية التنبؤ بتصرف الشخص وسلوكه في المواقف المختلفة: فإذا عرفت خُلق فرد من الأفراد يمكنني أن أتنبأ بما سيفعله في وقت معين٠

ج- يؤدي إلى انتظام توجه الشخص: واستمراره نحو غاياته العظمى، فهو يبذل جهده لكي يصل إليها، ويضع نصب عينيه المثابرة سبيلا لتحقيقها، سواء كانت هذه الغايات في العمل أم في اللعب ٠

د- إعطاء قوة في الإرادة: وفي العزيمة، فهي تمكن الإنسان من تحديد اختياره للمسلك السليم في أي موقف من المواقف مهما يكن الاختيار قاسيا، والمسلك صعبا، كما يزود الفرد بالقدرة على الثبات والتمسك بالعزيمة، ويفسر (قطب) قوله تعالى: **{خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**(البقرة: ٦٣)، بقوله: "ولا بد مع أخذ العهد بقوة وجد واستجماع نفس وتصميم . . لا بد مع هذا من تذكر ما فيه، واستشعار حقيقته، والتكيف بهذه الحقيقة، كي لا يكون الأمر كله مجرد حماسة وحمية وقوة، فعهد الله منهج حياة، منهج يستقر في القلب تصورا وشعورا، ويستقر في الحياة وضعا ونظاما، ويستقر في السلوك أدبا وخلقا، وينتهي إلى التقوى والحساسية برقابة الله وخشية المصير" ٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٧٦)

هـ- نظام معقد ينمو ببطء، ويتألف من تأكيد عوامل كثيرة في الحياة، وتدخل فيه مركبات متعددة، ويؤكد (قطب) بأن: "كل جزئية في النظام الإسلامي منظور فيها إلى حقيقية الحياة الآخرة؛ وما تنشئه في التصور من سعة وجمال وارتفاع، وما تنشئه في الخلق من رفعة وتطهر وسماحة ومن تشدد في الحق وتحرج وتقوى؛ وما تنشئه في النشاط الإنساني من تسديد وثقة وتصميم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ١٠٧٠)، ومكونات هذا النظام:

١- الغرائز: وهذه يجب أن تخضع لمبدأ يسيرها ويتحكم فيها، وقد ذكر القرآن الكريم الغرائز والطباع والميول أحيانا بطريق الصراحة وأحيانا بطريق الإشارة ومنها: غرائز حفظ الذات والخوف وتنازع البقاء وحب الظهور والأبوة والأمومة وغريزة الإيمان وتجليها عند الخوف وغريزة الاجتماع والادخار ٠ (الجسر، ٢٠٠٤: ٢٦ -٣٠)

٢- العادات: ويجب أن يُراعى في تكوينها الصالح العام، وفي الإسلام يشترط فيها ألاّ تتعارض مع الدين ٠

٣- العواطف: ويجب أن يُراعى في تكوينها أن تكون في أساسها عواطف حبّ لكل ما هو حق، وكل ما هو خير، وكل ما هو جميل، كما يجب أن تكون في أساسها عواطف كراهية لكل ما هو قبيح، وكل ما هو شر، وكل ما هو باطل ٠ (عبد العزيز، ١٩٧١، ج٢: ٢٣٦، ٢٣٧)، ومنه قول الشافعي: (الشافعي، ٢٠٠٦ :٩٠)

أحبُّ الصالحين ولست منهم لعلّي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة

٩- الأخلاق بين العقل والغرائز وحرية الإرادة في الإسلام: الإنسان في الإسلام مخلوق في أحسن تقويم، وهذا التقويم الأحسن الأكمل لا يقوم إلا على هذه الصورة العجيبة الجامعة بين (الغرائز والعقل وحرية الإرادة)، وما كان الله العليم الحكيم الذي خلق الإنسان ليعبده، أن يجعله على غير هذه الصورة المركبة، التي بدونها لا يستقيم معنى العبادة، فلو خلقه بلا غرائز وشهوات ورغبات لتلاشى وجوده، ولو خلقه بلا عقل لتردَّى، ولو خلقه بلا حرية لأصبحت عبادته بالإكراه، ولفقدت العبادة معناها ٠

والخالق الحكيم عندما يذكر خَلْق الإنسان في أحسن تقويم، ثم يذكر ردّه أسفل سافلين، ثم يستثني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، إنما يعبر عن هذا العراك بين العقل والغرائز وحرية الإرادة، ومشكلة الأخلاق نشأت وتنشأ دائما من هذه المعركة الدائمة بين رغبة الغرائز ورغبة العقل، وجُعل الإنسان حر الإرادة بين الرغبتين ٠ (الجسر، ٢٠٠٤: ٨٣)

ويقرر (قطب) أن: "الضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا أنفسهم تبعا للمستكبرين والطغاة، ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله، والضعف ليس عذرا، بل هو الجريمة؛ فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفا، وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله، وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعا عن نصيبه في الحرية – التي هي ميزته ومناط تكريمه – أو أن ينزل كارها، والقوة المادية – كائنة ما كانت – لا تملك أن تستعبد إنسانا يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل، فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال ! من ذا الذي يملك أن يجعل أولئك الضعفاء تبعا للمستكبرين في العقيدة، وفي التفكير، وفي السلوك ؟"٠(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٢٨٩٦)

وعن هذه الحرية يعبر المولى عز وجل أصدق تعبير: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**٠(البلد:١٠)(الجسر، ٢٠٠٤: ٨٣ –٨٥) ويؤكد (قطب) أن: "في التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء . . إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته، وعدم الخضوع لشهواته، والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه، بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه، بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه، وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم

لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى، كما أن فيه تذكيرا دائما بمفرق الطريق بين السعادة والشقاوة، والرفعة والهبوط، ومقام الإنسان المريد ودرك الحيوان المسوق"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٦١)

١٠- **طرق الإلزام في الإسلام:** ولا كمال لدين لا تكتمل فيه طرق الإلزام، ولا بد أن يكون الإلزام في مجال الأخلاق من الداخل، أي الالتزام من قبل الأفراد أولاً إزاء القواعد والقوانين الخُلقية، وأن يشعر الفرد بالالتزام بتطبيقها، ويتجاوب معها طواعية واختيارا منه، وكما يوضّح (قطب): "أمة وسطا . . في التفكير والشعور . . لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة . . . ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك . . إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، في تثبت ويقين .

أمة وسطا . . في التنظيم والتنسيق . . لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان . . ولكن مزاج من هذا وذاك" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٣١)

وأهم طرق الإلزام هي:

أ- الإلزام بوازع العقل: فالله أمرنا بتحكيم العقل، وهو الذي أكثر من البراهين العقلية، وأكثر من ذكر الحكمة في كثير من الآيات، وبين أنه من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، لذلك كان الاقتناع العقلي بصحة القضايا العقلية، وبفائدة المبادئ، والأحكام والتكاليف، والأوامر والنواهي أول ضرب من ضروب الإلزام٠ (الشيباني، ١٩٨٢: ٢٠٠)

ولكن الاقتناع العقلي الحر الذي أمرنا به القرآن يجب ألا يطغى إلى حد الغرور، الذي يجعلنا نخلط بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة٠(الجسر، ٢٠٠٤: ١١٩ ،١٢٠)، و يعلق (قطب) على سورة النساء بقوله: "ثم تعالج - على ضوء التصور الجديد - ضمير الأمة المسلمة، وخلقها، وتقاليدها الاجتماعية، وتخلصه من رواسب الجاهلية في الخلق والتقاليد، كما خلصته من رواسب الجاهلية في التصور والاعتقاد، وتنظم حياتها الاجتماعية، وروابطها العائلية، على أساس المنهج الرباني القويم"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ٧٩١)

ب- الإلزام بوازع الضمير: وقد ركز القرآن على العقل، وعلى الرقابة الإلهية، والخوف على النفس والأولاد والأموال في الدنيا، وعلى الخوف من عذاب الآخرة، وعلى ركائز أخرى٠

ويعرف(قلعةجي) الضمير بأنه: "حالة نفسية توّجه الإنسان نحو الخير بعد إدراكه"٠(قلعة جي، ١٩٠٠:)

وإذا كانت القوانين الوضعية يشرعها وينفذها الإنسان والسلطة الزمنية الخارجية والنابعة من الأحكام العقلية عادة، فإن القوانين الخُلقية تشرعها وتنفذها أو تلزم العمل بمقتضاها سلطة باطنية هي الضمير أو القلب أو الوجدان٠(الشيباني،١٩٨٢: ٢٠١)

ويبين (عفيفي) أنّ: العقل والقلب والضمير هي عناصر لتوجيه السلوك، فتعمل متعاونة في نفس المؤمن، وأن الضمير أمر فطري في الإنسان، لقوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**(ق:١٦)، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}**(الأعراف: ٢٠١)، ويعتبر أن: صوت الضمير يهتف بنا ن نكون مهذبين أو عادلين أو محببين للآخرين، ويهتف بنا لضبط النفس وللسلوك الحميد،والضمير يحتاج إلى ضبط وتوجيه، والإنسان محتاج لأن يتفاعل مع ضميره ليجعله حيا، وخير ما يراه الضمير هو الاعتدال في كل شيء والتوسط في الأمور، ولا يتأتى ذلك إلا بالضبط المنتظم المتواصل، وهذه هي صورة الجهاد التي قيل إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، وأن الجهاد المستمر هو الالتزام بالحق والشرع ومراقبة الله في السر والعلانية . . لقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**٠(العنكبوت: ٦٩)(عفيفي،١٩٨٠: ٥٦)

ج- الإلزام بوازع الترغيب والترهيب: سلك القرآن في هذا الأسلوب طرقا مختلفة ومتنوعة: منها الترهيب بانتقام الله في الدنيا من العاصي الظالم في النفس والولد؛ لأن المصيبة بهم أكبر من المصيبة بالنفس، وكذلك في الأموال والثمرات وأكثر القرآن من التذكير بساعة الموت، ومنها الترهيب بعذاب الآخرة، فأكثر من ذكر البعث وأحوال القيامة، وعذاب النار، ووصفها بأوصاف تنخلع لها قلوب المؤمنين ٠

وفي الترغيب، أكثر من الوعد بخير الدنيا وزيادته للشاكرين، وحفظ النعمة على الذين لا يغيرون ما بأنفسهم، وأكثر من وصف نعيم الجنة، وفصّله تفصيلا يرغّب المعتادين على الترف، ويؤمّل الصابرين على الشظف، والمحرومين من خير الدنيا ونعيمها في المآكل والمشارب والمسكن والنساء والخدم٠

ويؤكّد (قطب) بأنّ أسلوب القرآن الكريم: "يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب . . الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك، وما تحمله للبشرية من خير وصلاح ونماء . . والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة؛ وبالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي"٠(قطب،١٩٨٦،ج٤: ١٨٤٦)

د- الإلزام بوازع الكفَّارات: ومن الأساليب التي امتاز بها القرآن على غيره أسلوب الكفّارات التي يفوض بها الله إلى العبد نفسه أن يعاقب نفسه، تكفيرا عن بعض الذنوب بعقوبة جسدية كالصوم، أوعقوبة مالية كريمة كإطعام المساكين وعتق الرقاب٠

هـ- الإلزام بوازع الرأي العام للمجتمع وتوقعاته (العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية): فقد حضّ القرآن على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذمّ التاركين لهما في آيات كثيرة كما يفسرها قول النبي ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج١: ٦٩) (الجسر، ٢٠٠٤: ١٢٢، ١٢٣) ولعلّ بعض الناس لو تحرَّر من رقابة المجتمع لفعل الأفاعيل، وخاصة الذين يسافرون إلى الخارج، فتجد كثيرا منهم يسلكون سلوكا يخالف تماما ما كانوا يسلكونه في مجتمعاتهم الأصلية٠ (الشيباني،١٩٩:١٩٨٢)، وقد عقدت (الزهراء فاطمة) باباً أسمته: (المتحجبات المزيفات)، وتناولت فيه هذا الأمر، ومما ذكرته: **"لمَّا حان موعد سفري ومغادرتي لهذا البلد المسلم إذا ببعض نسوة تلك البلد ممن يرغبن في السفر على متن الطائرة التي تقلني إلى وجهتي، وقد ارتدين العباءات السابغة وغطين وجوههن ونحن بالمطار، فما إن ركبنا الطائرة، وأقلعت في الجو حتى أقلع هؤلاء المنافقات هن الأخريات، ولكن ليس من الأرض إلى السماء، بل من الفضيلة والحياء إلى السفاهة والشقاء! فقد خلعن عباءاتهن، وكشفن وجوههن، وشعورهن، وأظهرت كل واحدة منهن ما ترتديه من ملابس خفيفة شفافة مزينة، ذات أكمام قصيرة، ثم أخذن في إخراج المرايا لإصلاح زينتهن وتمشيط شعورهن، فانتابتني الدهشة وأصابني الذهول، وآلمني أن أولياء أمورهن المرافقين لهن لم يبدوا حراكا، ولم يظهروا استياء، وكأن شيئا لم يحدث، فأي سفاهة تلك التي تجعل من البعض ممثلين، فتارة يمثلون الفضيلة في بلد وتارة يمثلون الفسق والرذيلة في أخرى٠**

إنهم تقنعوا بالفضيلة ليسكتوا الاعتراضات التي قد تصدر ضدهم في بلادهم الأصلية، ولكنهم أسفروا عن حقيقتهم في البلاد التي تشجع على الانحلال وتبارك الفساد ٠٠٠"٠(الزهراء فاطمة، ١٩٩٨: ٧٩، ٨٠)

والعادات تنقسم إلى عادات فردية نتيجة تفاعل الفرد مع بيئته وخبرته معها، وتكون خاصة به لا تتعداه لغيره تكون ملزمة له، وعادات اجتماعية التي تعني اشتراك الناس في مجتمع ما في عواطفهم وأفكارهم وعقائدهم اشتراكا يجعلهم يظهرون على عمل واحد، وتمارس نوعا من الإلزام أو الضغط على أفراد هذا المجتمع ٠

أما العُرف فإنه ينشأ أو يبنى على العادة الاجتماعية، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ويتغير تبعا لذلك، وأحيانا نجده يختلف من فئة إلى أخرى في الأمة الواحدة، ويعرّف (الجرجاني) العُرف بأنه: "ما استقرت عليه النفوس بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول"، أما الفقهاء فيعرفونه بأنه: "مجموعة القواعد التي درج الناس عليها جيلا بعد جيل والتي يشعرون بضرورة احترامها خشية الجزاء الذي يوقع عليهم عند مخالفتها"٠

وأما التقاليد الاجتماعية فإنها هي الأخرى مبنية على العادة الاجتماعية ومرتبطة بها تمام الارتباط، ويفرّق بين (العرف) و(التقاليد) بأن العادات في الزمن الذي تنشأ فيه تسمى (عرفا) فإذا استقرت من جيل إلى جيل سميت (تقاليدا)٠(الشيباني،١٩٨٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)

و- الإلزام بوازع السلطان: ولكن البعض وهم القلّة والحمد لله، لا ينفع معهم وازع العقل ولا وازع الضمير، ولا وازع الترهيب والترغيب، ولا وازع الضغط بنقمة الرأي العام في المجتمع، فكان لا بد من وازع أعظم، وهو وازع السلطان الذي قيل: إن الله يَزع به أحيانا ما لا يَزع بالقرآن، وهو العقوبات المختلفة التي فرضها القرآن على بعض الجرائم وفوض أمرها إلى الحكام ٠(الجسر، ٢٠٠٤: ١١٨-١٢٤)

ز- الإلزام بوازع الدين: وهو أهم مصادر الإلزام الديني والخُلقي معا عند المؤمنين بالدين، والدين بما يتضمنه من معتقدات ومبادئ، وأوامر ونواهي ورغائب، وقيم ومثل عليا أو قواعد عامة للسلوك ، يعتبر مصدرا أساسا من مصادر الإلزام الخُلقي، وما يميز القواعد الخُلقية المستمدة من الدين عن القواعد الخُلقية المستمدة من الذات والمجتمع هو عمومها وإطلاقها وإنسانيتها وقدسيتها وخلودها وبقائها عبر الأجيال، وهي في النهاية تستمد قدسيتها من مصدرها الإلهي وهو الوحي٠(الشيباني،١٩٨٢: ٢٠١)، ويعلّق (قطب): "وهكذا تختتم السورة بتعليق القلوب والأبصار بالله، وتذكيرها بخشيته وتقواه، فهذا هو الضمان الأخير، وهذا هو الحارس لتلك الأوامر والنواهي، وهذه الأخلاق والآداب، التي فرضها الله في هذه السورة وجعلها كلها سواء"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٥٣)

١١- اجتماع أنواع الإلزام (الوازعات): فلم يكتف القرآن بوازع واحد من الوازعات أو بوازعين كما اكتفت الشرائع والقوانين الأخرى، ولكن جَمَع الوازعات كلها حول الإنسان ٠

فوازع العقل لا يكفي عند جميع الناس، فالقليل الذين يكتفون به، بل النوادر من الحكماء العلماء الذين كادت خشية الله تكون منحصرة فيهم: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}٠(فاطر:٢٨)

ووازع الضمير وحده لا يكفي؛ لأن الضمائر قد تصل عند بعض المجرمين إلى حدود الموت والعدم، ووازع الترهيب وحده لا يكفي عند كثير من المشكِّكين، أو الذين يحبون العاجلة أو الذين يستبعدون يوم القيامة، أو الذين يغترون ويعتمدون على رحمة الله، من غير تفكير في أن رحمة الله الواسعة لا تناقض عدله وحكمته البالغة، ووازع الرأي العام وحده لا يكفي عند كثير من الغرقى في بحار الذنوب إلى آذانهم، فلا يخافون البلل، بعد أن جف في وجوههم ماء الحياء من الله ومن الناس، بل قد يعتري هذا الوازع القوي كثير من الضعف إذا عمت البلوى، حتى لم يعد

أحد يستحيي من أحد، ولا أحد يستطيع أن يغير أحد، كقوله تعالى: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ داوُد وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ{٧٨} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ{٧٩}}**.(المائدة:٧٨، ٧٩)

ووازع العقوبات التي ينزلها السلطان وحده لا تكفي وحدها؛ لأن كثيرا من مساوئ الأخلاق لم يرد في القرآن نص على عقوبتها؛ ولأن بعض الجرائم قد يخفى عن عين السلطان، أو يفلت من يد العدالة من ضعف الحكومة أو فقدان الأدلة، أو فساد القضاء، ولكن اجتماع الوازعات كلها حول الإنسان، قد يكفي عند ــ أكثر الناس، وهذا ما فعله القرآن الكريم فتأمّل. (الجسر، ٢٠٠٤: ١٢٤، ١٢٥)

ويبين قطب بأن أحكام القرآن: "تذكر بدقة وتفصيل . . . لا يبدأ حكم جديد حتى يكون قد فرغ من الحكم السابق وملابساته، ثم تجيء التعقيبات الموحية بعد كل حكم، وأحيانا في ثنايا الأحكام، منبئة بضخامة هذا الأمر وخطورته، تلاحق الضمير الإنساني ملاحقة موقظة محيية موحية، وبخاصة عند التوجيهات التي يناط تنفيذها بتقوى القلب وحساسية الضمير، لأن الاحتيال على النصوص والأحكام ممكن بغير هذا الوازع الحارس المستيقظ".(قطب،١٩٨٦،ج١: ٢٣٦)

١٢- التداخل بين المفاهيم الوجدانية وماهية الروح: ومن المعلوم أن مكونات الإنسان الرئيسة هي: الروح والعقل والجسم، وكل من هذه المكونات يحتاج إلى نمط تربوي يتلاءم مع طبيعته ووظيفته.

ونحن نربي الروح لأن الروح جزء من الإنسان، بل أشرف جزء فيه، والإنسان هو موضوع التربية الإسلامية ... ولا بد من التنسيق بين مطالب هذه الطاقات الثلاثة، وإعطائها القدرة والفرصة لكي تعبر عن هذه الطاقات في ظل شرعية معينة؛ ولذلك لابد من تربية الروح التي هي أشرف ما في الإنسان كما أسلفنا لأنها نفخة من الله، ولابد لها من تربية تستهدف تيسير السبيل أمامها لمعرفة الله عز وجل المعرفة الصحيحة، وتعويدها وتدريبها على القيام بأعباء العبودية له سبحانه وتعالى.(محمود، ١٩٩٤ : ٩٩)

ويوضح (قطب) ماهية الروح بقوله: "فهنالك ذلك القبس العجيب من روح الله . . هنالك الروح الإنساني الخاص، الذي يصل هذا الكائن بجمال الوجود، وجمال خالق الوجود، ويمنحه تلك اللحظات المجنحة الوضيئة من الاتصال بالمطلق الذي ليس له حدود، بعد الإتصال بومضات الجمال في هذا الوجود، هذا الروح الذي لا يعرف الإنسان كنهه . . . والذي يمتّعه بومضات من الفرح والسعادة العلوية حتى وهو على هذه الأرض، ويصله بالملأ الأعلى، ويهيئه للحياة المرسومة بحياة الجنان والخلود، وللنظر إلى الجمال الإلهي في ذلك العالم السعيد!، هذا الروح

هو هبة الله الكبرى لهذا الإنسان، وهو الذي به صار إنسانا، وهو الذي يخاطبه باسمه: يا أيها الإنسان".(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٨٥٠)

إن تربية الروح تربية إسلامية تستهدف أن تتعلم هذه الروح كيف تحسن صلتها بالله عن طريق التعبد له والتذلل، والطاعة والاستسلام لمنهجه، وذلك أصل أصيل في تربية الروح، وإن إهمال تربية الروح أو التقصير فيها إفساد للإنسان كله؛ لأن الروح أهم ما في الإنسان، وما دمنا قد قلنا إن الروح قد تكون بمعنى القلب؛ ولذلك فإن صلاح القلب صلاح للإنسان وفساده فساد له، وهذا ما نبه إليه النبي ﷺ حينما قال: "ألا وإن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب".(ابن حنبل،ب.ت،ج٤: ٢٧٠)(محمود، ١٩٩٤ : ١٠٠ ،١٠١)

ومن أغذية الروح الروائح الطيبة، و"الرائحة الطيبة هي غذاء للروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو يقوي الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة، ويفرح القلب ويسّره".(العفيفي، ١٩٩٤ :١٥١)

١٣- الجزاءات في التربية الإسلامية:

أ- الجزاء الإلهي: والجزاء أو الثواب والعقاب قد يكونان في الدنيا أوالآخرة، وقد يكونان في الدنيا والآخرة معا، ومن ذلك قوله الله تعالى: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**.(النحل:٩٧)

والعقاب قد يكون هلاكا وقد يكون دون ذلك بالأمراض أو بعدم التوفيق في الدنيا، ويؤكد (قطب) بأن: "النظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي "تحررت!" من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب، لو كانت هنالك قلوب، لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطّم الحضارات القديمة، حطم الحضارة الإغريقية وحطّم الحضارة الرومانية وحطّم الحضارة الفارسية، وهذه الفوضى ذاتها هي التي اخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة، وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى".(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٦٣٢)

ب- الجزاء الإسلامي: ويُقصد به إصلاح ما يترتب على السلوك الخاطئ وما ينتج عنه قدر المستطاع؛ لأن من أسماء الله تعالى العدل، والله تعالى يغفر ما كان في حقّه من الذنوب إن شاء، ولكنه تعالى لا يغفر الذنوب التي للناس على الناس، وذلك مصداقا لقول النبي ﷺ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ".(البخاري، ١٩٨٧،ج٢ : ٨٦٥)

ج- الجزاء الوجداني: يقول (العوا): "أما عذاب الوجدان فإنه يبدوا وكأنه أخرس طفيف يمسك الحياة بتلابيب صاحبه فيكاد لا يعرب عنه بلغة الجوارح، ولكن هذا الألم المعنوي الأخلاقي ألم عميق في الواقع وهو يستولي على النفس كلها بصورة تدريجية ويتصف عندئذ بأنه لا يزول ولا يهدأ ولا يمحى أبدا؛ لأن عملا من الأعمال الخارجية لا يقدر التأثير في هذا الألم، ولهذا فإنه يشبه لظى جحيم لا يبرد إلا من تلقاء ذاته وعلى مر الأيام والسنين، وربما صحبه انحطاط عضوي يشتد ويقوى حتى يفسد الجسم ويتلف أعضاءه، وينذر بأمراض خطيرة قد تؤدي إلى الموت"٠(العوا،١٩٦١: ١٧٨)، وهو جزاء معنوي حسي ٠(دراز، ١٩٧٧: ١٨٨) وقد يقضي الألم الوجداني على الإنسان بشكل آخر، وهو إقدام الإنسان على الانتحار من شدة الألم، والألم الوجداني أكثر تأثيرا من العقاب المادي؛ لأن هذا الأخير وقتي وقد يصيب المخطئ وقد يقع على البريء، وقد يكون مكافئا للعمل وقد لا يكون، وأما العقاب الوجداني فإنه لا يخطئ ومستمر، ولهذا قال بعض علماء النفس: إن المجرمين تحت عقاب مستمر وإن نجوا من العقاب القانوني، وهذا العقاب حقيقة واقعة؛ لأن المجرمين تصيبهم ثلاث حالات:

١- حالة الخوف المستمر من انكشاف الجريمة: وهذا الخوف يقلقهم ويجعلهم يضطربون ويتحرجون عن الكلام في الموضوعات التي ارتكبوا فيها الآثام، ويظهر في ألسنتهم المتلعثمة اللحن والارتباك، وصدق الله العظيم حين قال:**{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}**٠(محمد: ٣٠)

٢- تأنيب أو وخز مستمر للضمير: وإحساس بالذنب يخدش وجدان المجرم، وتحقير للنفس يجعله يشمئز من نفسه، ومن هذا وذاك تعتريه حالات كئيبة لا تنفرج سريرته ولا سيما في حالات تذكر تلك الجرائم والآثام التي ارتكبها ٠

٣- افتقاد المذنب الشعور باستحقاقه للتقدير والأهلية الاجتماعية: وذلك أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه لم يعد أهلا لذلك التقدير وتلك المودة التي يبديها الناس نحوه لجهلهم بحقيقة أمره، وبعد انكشاف حقيقة أمره؛ فإنه يفقد تلك الأهلية ظاهرا وباطنا، ومن ثم يصبح غريبا بين أهله في عزلة من الناس وكأنه في جزيرة خالية، ويكون إحساسه بالعزلة أكبر كلما كان أكثر وجاهة وشهرة٠

د- الجزاء الطبيعي: وهذا الجزاء مبني على ارتباط القوانين الأخلاقية بالقوانين الطبيعية، ولهذا فهو صارم صرامة القوانين الطبيعية التي لا تعرف مغفرة ولا توبة، ولا تزيل آثاره التوبة، وكما يقرر (قطب): "هذا وهمٌ . . إنه فصل بين نوعين من السنن الإلهية هما في حقيقتهما غير منفصلين، فهذه القيم الإيمانية هي بعض سنن الله في الكون كالقوانين الطبيعية سواء بسواء، ونتائجها مرتبطة ومتداخلة، ولا مبرر للفصل بينهما في حس المؤمن وفي تصوره ٠

وهذا ما وقع للمجتمع الإسلامي نفسه، لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية في حياته مع القيم الإيمانية، وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقهما، وظل يهبط ويهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عندما أهمل السنن الطبيعية والقيم الإيمانية جميعا . .

وفي الطرف الآخر تقف الحضارة المادية اليوم، تقف كالطائر الذي يرف بجناح واحد جبار، بينما جناحه الآخر مهيض ، فيرتقي في الإبداع المادي بقدر ما يرتكس في المعنى الإنساني، ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يصرخ منه العقلاء هناك . . لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله وهو وحده العلاج والدواء"٠(قطب،١٩٨٥ :١٧)

فالخطيئة تؤدي إن عاجلا أو عاجلا إلى التدهور والموت للجاني أو للوطن أو للنوع، ولهذا يجب على كل فرد أن يكون قادرا على التمييز بين الخير والشر٠(يالجن،١٤٢٣: ٣٦٧)، ويقرر(دراز) أنّ هذا الجزاء استحقاقي وهو رد فعل للقانون الأخلاقي بممارسته مباشرة وتلقائيا، ولا يسع الإنسان إلا أن يتحمّله، رضي أم لم يرض ٠٠٠ فالكفاح جزاؤه النصر، والاعتدال جزاؤه الصحة، والإدمان والرذيلة جزاؤهما النتائج الضارة للجسم والعقل، وهناك جزاء في الآخرة٠(دراز، ١٩٧٧: ١٨٨)

٥- الجزاء الاجتماعي: وينقسم هذا الجزاء بدوره إلى ثلاثة أقسام:

١- الجزاء غير المباشر: وهو تأثير ما في المجتمع من أمراض اجتماعية كالحسد والنفاق والرشوة والكذب والخيانة وغيرها على الفرد، فتصبح الحياة الاجتماعية جحيما لا يُطاق، وتزول منها كل مظاهر البهجة والمودة والأمن والطمأنينة٠

٢- ما يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف ومكافأة للمستقيم الصالح: فلقد حدد الإسلام عقوبات معينة لبعض الجرائم حفظا لكليات الإسلام الخمس، ويعلق (قطب) على تعامل الإسلام مع المذنب إذا تاب وأصلح قبل القبض عليه بقوله: "فالتوبة والإصلاح تعديل أساسي في الشخصية والكينونة والوجهة والطريق والعمل والسلوك، ومن ثم تقف العقوبة، وتكف الجماعة عن إيذاء هذين المنحرفين الشاذين، وهذا هو الإعراض عنهما في هذا الموضع: أي الكف عن الإيذاء، والإيماءة اللطيفة العميقة: إن الله كان توابا رحيما، وهو الذي شرع العقوبة، وهو الذي يأمر بالكف عنها عند التوبة والإصلاح، ليس للناس من الأمر شيء في الأولى، وليس لهم من الأمر شيء في الأخيرة، إنما هم ينفذون شريعة الله وتوجيهه، وهو تواب رحيم، يقبل التوبة ويرحم التائبين .

واللمسة الثانية في هذه الإيماءة، هي توجيه قلوب العباد للاقتباس من خلق الله والتعامل فيما بينهم بهذا الخلق، وإذا كان الله توابا رحيما، فينبغي لهم أن يكونواهم فيما بينهم متسامحين

رحماء، أمام الذنب الذي سلف، وأعقبه التوبة والإصلاح، إنه ليس تسامحا في الجريمة، وليس رحمة بالفاحشين، فهنا لا تسامح ولا رحمة، ولكن سماحة ورحمة بالتائبين المتطهرين المصلحين، وقبولهم في المجتمع، وعدم تذكيرهم وتعييرهم بما كان منهم من ذنب تابوا عنه، وتطهروا منه، وأصلحوا حالهم بعده، فينبغي – حينئذ – مساعدتهم على استئناف حياة طيبة نظيفة كريمة، ونسيان جريمتهم حتى لا تثير في نفوسهم التأذي كلما واجهوا المجتمع بها؛ مما قد يحمل بعضهم على الانتكاس والارتكاس، واللجاج في الخطيئة، وخسارة أنفسهم في الدنيا والآخرة، والإفساد في الأرض، وتلويث المجتمع، والنقمة عليه في ذات الأوان، ثم نسخ هذا الحكم فيما بعد فيما روي عن النبي ﷺ: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٦٠٠)، وذلك إلا ما استثناه الله تعالى من عقوبة الحرابة لله ورسوله والإفساد في الأرض: **{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**٠(المائدة:٣٤)

٣- الجزاء الأدبي: وهو عدم الاعتداد بشخصية الفاسقين وعدم الثقة بهم وقبول شهادتهم، ويترتب على ذلك عدم إسناد الوظائف الهامة إليهم: **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**٠(النور:٤)، وهذا الجزاء ليس سهلا، ذلك أن المجرم يفقد عندئذ شخصيته الأدبية في المجتمع كإنسان يعتمد عليه ويوثق به، زد على ذلك أنه لا يجد الاحترام ولا القبول من الناس كما كان من قبل، وهذا أمر صعب على النفس وخاصة على الذين يتمتعون بإحساس أدبي رفيع في مجتمعهم٠

ومن ذلك قصة الصحابة الثلاثة: مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، فأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم وعدم التسليم عليهم من الناس ثم من زوجاتهم لمدة خمسين يوما بلياليها؛ فكانت تلك المقاطعة شديدة الوقع عليهم، وقد ذكرها الله تعالى فقال: **{وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ}**٠(التوبة:١١٨)(ابن كثير،ب.ت،ج٢: ٥٢٢)

١٤- أنواع الأخلاق: وفي هذه النقطة سيتم استعراض أهم الأخلاق من خلال القرآن الكريم والسنة المشرفة وغيرهما، مع التأكيد مرة أخرى بأن هذه الأخلاق لا يمكن فصلها، فهي متكاملة ومتداخلة، وهي كثيرة جدا تحتاج لدراسة كاملة خاصة، ولكن سيتم التعرض لأهمها فقط، وذلك لتسهيل الأمر وهي:

١- الأخلاق الشخصية:

أ- الإيمان: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}٠(البقرة:٢٨٥)، ويعلق (قطب) عليها

بقوله: "إنه الإيمان الشامل الذي جاء به هذا الدين، الإيمان الذي يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله، القائمة على دعوته في الأرض إلى يوم القيامة، الضاربة الجذور في أعماق الزمان"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٣٤١)

ب- التقوى:عرفها علي بن أبي طالب بأنها: الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل، ولقد حث الله الناس عامة على تقواه، كما حث المؤمنين بشكل خاص: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}**٠(النساء:١)، ويعلق (قطب) على معنى التقوى بقوله: "لا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم، بقلب خالص، ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى، ويحذر أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه ضلالة . . وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره، ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقيا، خائفا، حساسا، مهيأ للتلقي . . ورد أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقا ذا شوك؟ قال بلى! قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت . قال: فذلك التقوى . . فذلك التقوى . . حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواك الطريق . . طريق الحياة . . الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، وعشرات غيرها من الأشواك"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٣٩)

وثواب التقوى عظيم لقوله تعالى: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً{٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب}**٠(الطلاق:٢ – ٣)، و**{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً{٤}}**٠(الطلاق:٤)، وقوله تعالى: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً{٥}}**٠(الطلاق:٥)، ويرى الباحث أن خُلق التقوى يشمل مراتب الدين الثلاثة وهي الإسلام والإيمان والإحسان، فالإسلام يندرج تحت التقوى من قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}**٠(آل عمران: ١٠)، ويشمل الإيمان من قوله تعالى: **{الم{١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ{٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{٣} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ{٤}}**٠(البقرة: ١ ،٤)، ويشمل الإحسان من قوله تعالى: **{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ{١٣٣} الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ{١٣٤}}**٠(آل عمران: ١٣٣ –١٣٤)

ج- الخشية والخوف: لقوله تعالى: **{وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}**٠(الأعراف٥٦)، وقوله تعالى: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا**

رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}٠(السجدة:١٦)، وقوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}(الرحمن:٤٦)، وقوله تعالى: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى}٠(الأعلى:١٠)، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً{٣٩}}(الأحزاب:٣٩)، وقوله تعالى: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ{٤٤}}(البقرة:١٥٠)، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}(الملك:١٢)، ويعلّق (قطب) على مسألة التقوى بقوله: "وتذكر التقوى هنا والخشية والخوف في موضعها، التقوى لله، فهو الذي يتقى، وهو الذي يخشى، وليس الناس . . الناس الذين سبق أن قال: إنهم يخشونهم كخشية الله – أو أشد خشية! – والذي يتقي الله لا يتقي الناس، والذي يعمر قلبه الخوف من الله لا يخاف أحدا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢ :٧١٦)

د– المحبّة: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}٠(آل عمران:٣١)، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه}٠(المائدة:٥٤)، وقول النبي ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٢٣٨٦)، ويقرر (قطب) أن: "الحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم . . الحب . . هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش . . هو الذي يربط القوم بربهم الودود .

وحب الله لعبد من عبيده، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله – سبحانه – بصفاته كما وصف نفسه، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها . . .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . . وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما، وفضلا غامرا جزيلا، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد، الذي الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه . . هو إنعام هائل عظيم . . وفضل غامر جزيل .

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه، فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين . . وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين – وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل – ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد ، وهي تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صحّ منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وهذا الحب ... يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض، وينطبع في كل حي وفي كل شيء، فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب المحبوب"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٢ :٩١٨)

هـ- الرجاء: ويقصد منه الإعانة من الله والمغفرة والرحمة والعفو والجنة: كما قال تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}٠**(الأحزاب:٢١)، وقوله تعالى: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}٠**(الزمر:٩)، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢١٨}}٠**(البقرة: ٢١٨)، وقوله تعالى: **{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}٠**(التوبة:١٠٦)، وخطاب نبي الله نوح لقومه: **{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً}٠**(نوح:١٣)

و- **الإخلاص:** يقرر قطب أن المشركين: "لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في إفراد الخالق إذن بالعبادة، وفي إخلاص الدين لله بلا شريك . إنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سبحانه . ثم يصوغون للملائكة تماثيل يعبدونها فيها، ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة – وهي التي دعوها آلهة أمثال اللات والعزى ومناة – ليست عبادة لها في ذاتها، إنما هي زلفى وقربى لله، كي تشفع لهم عنده، وتقربهم منه! وهو انحراف عن بساطة الفطرة واستقامتها ، إلى هذا التعقيد والتخريف . فلا الملائكة بنات الله . ولا الأصنام تماثيل للملائكة . ولا الله – سبحانه – يرضى بهذا الانحراف، ولا هو يقبل فيهم شفاعة، ولا هو يقربهم إليه عن هذا الطريق! وإن البشرية لتنحرف عن منطق الفطرة كلما انحرفت عن التوحيد الخالص البسيط الذي جاء به الإسلام وجاءت به العقيدة الإلهية الواحدة مع كل رسول . وإنا لنرى اليوم في كل مكان عبادة للقديسين والأولياء تشبه عبادة العرب الأولين للملائكة – أو تماثيل الملائكة – تقرباً إلى الله – بزعمهم – وطلباً لشفاعتهم عنده، وهو سبحانه يحدد الطريق إليه، طريق التوحيد الخالص الذي لا يتلبس بوساطة أو شفاعة على هذا النحو الأسطوري العجيب٠(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٣٠٣٧)

والإسلام لا يعتد بأي عمل كان إلا إذا كان خالصا من شوائب النفس، ومن حظوظ الدنيا والشهرة وغيرها، ويشترط أن يتمحص العمل خالصا لله وحده على ما وصف القرآن الكريم: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء}**(البينة:٥)، ولذلك جاء أول حديث في كتب السنة النبويةعن النوايا: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ١)

وأول ما تسعر النار بثلاثة يوم القيامة، رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ (الترمذي،ب.ت،ج٤: ٥٩١)

ز- الصدق: ويشمل الصدق مع الله بإخلاص العبودية له، والاستعانة به، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ٠٠وصدق مع الرسالة المنزلة، ويكون بدقة النقل ، وأمانة التبليغ، وإظهار الحق٠٠ وصدق مع الناس، ويكون بالتزام العهد، وصدق الدعوة، واستقامة التعامل ٠٠ وصدق مع الدعوة، ويكون بمتابعة التبليغ، ومواصلة الجهاد، واستمرارية العمل ٠٠ وصدق مع النفس، ويكون بملازمة الإخلاص، وتجديد الثقة، وترسيخ روح التفاؤل ٠

ولقد كان من أول صفات النبي ﷺ التي اشتهر بها، وقد حث الله تعالى المؤمنين على الصدق: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ}**(التوبة:١١٩)، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً{٧٠}}**(الأحزاب:٧٠)، وقوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم: **{وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}**(الشعراء:٦٤)، وقول النبي ﷺ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٢٢٦١)، قيل لرسول الله ﷺ: "أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا فَقَالَ لَا"٠(ابن أنس،ب.ت،ج٢: ٩٩٠) (علوان، ٢٠٠٣: ٢٢٥)

٢- الأخلاق الاجتماعية:

أ- الأمانة: وتشمل ثلاثة أمور: أمانة المال لقوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}**٠(النساء:٥٨)، وقوله ﷺ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"٠(ابن حنبل،ب.ت،ج٣: ١٣٥)، وقوله ﷺ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٢١)، وقول النبي ﷺ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ٢١)، **وأمانة التحدث(الحديث)**، لقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}**٠(الأنفال:٢٧)، وقوله ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٣: ١٢٧٥)

وأمانة التبليغ، وتدخل فيها الأمانة العلمية لقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}**(البقرة:١٥٩)، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**(البقرة:١٧٤)، وقول النبي ﷺ: "لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ

نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالًا ثُمَّ لَا يَقُولُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ فَيَقُولُ رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ فَيَقُولُ وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى"٠(ابن حنبل، ب.ت،ج٣: ٩١)، وقول النبي ﷺ: "من كتم علما مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج١: ٩٧)، وقول النبي ﷺ: "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"٠(أبوداود،ب.ت،ج٢: ٣٤٥)

ب- الوفاء: فالعهد لابد من الوفاء به، كما أن اليمين لا بد من البر بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالخير وإلا فلا عهد في عصيان ولا يمين في مأثم، لقول النبي ﷺ: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٣: ١٢٧١)، وقصة النضر الذي لم يحضر بدرا معروفة، ووفائه بعهده للنبي ﷺ بأنه سيُري المشركين ماذا يصنع في قتاله لهم، واستشهاده في أحد، فأنزل الله آيات عطرة فيه وفي أمثاله تتلى إلى يوم الدين: **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}**٠(الأحزاب:٢٣)

والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين، إذا اكتملا في النفس سهل عليك أن تنجز ما التزمت به، وهما قوة الذاكرة وقوة العزيمة، وضعف الذاكرة وضعف العزيمة معوقان كثيفان عن الوفاء بالواجب، ولذلك عندما أخذ الله على نبي الله آدم عهدا بعدم القرب والأكل من الشجرة المحرَّمة، نسي بفعل الذاكرة: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}**٠(طه:١١٥)، وهذان العائقان ينتجان من تجدد الحوادث أمام الإنسان، وترادف الهموم وتكاثرها؛ فيمسي ما كان بارزا في نفسه لا يكاد يبين، ولهذا احتاج الإنسان إلى مذكِّر دائم يغالب عليه أمواج النسيان، ولذلك أكثر الله تعالى من تذكير الإنسان: **{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}**٠(الأعراف:٣)

والتذكير اليقظ الدائم ضرورة لازمة للوفاء بالعهد، وخاصة لناسي العهد، لذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير: **{وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**٠(الأنعام:١٥٢)، وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتا شاسعا في الوفاء بالعهد، وقد يكون ثمنه فادحا، وقد يكلف المال أو الحياة أو الأحبة، بيد أن هذه تكاليف المجد المنشود في الدنيا والآخرة٠(الغزالي، ١٩٧٩: ٥٣)، وكما قال المتنبي: (الواحدي،ب.ت،ج٢: ٨٥٠)

لولا المشقّة ساد الناسّ كلّهم الجود يُفقر والإقدام قتّال

ولقد استنكر القرآن الكريم على بعض النس أن تطلبوا العلا بالراحة، وأن يطلبوا الخير الكثير بالجهاد اليسير: **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}**٠(البقرة:٢١٤)

والعهود التي يرتبط المسلم بها درجات، فأعلاها مكانة، وأقدسها ذماما، العهد الأعظم الذي بين العبد ورب العالمين: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**٠(يس:٦٠) ووفاء الإنسان بهذا العهد أساس كرامته في الدنيا، وسعادته في الآخرة، ومن سوء الظن بالله أن توفي له ثم تتوقع الشر منه: **{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**٠(البقرة:٤٠) (الغزالي، ١٩٧٩: ٥٤ – ٦٣)، ويعلّق قطب على الآية الأولى بقوله: "هذه هي تكاليف الجماعة المسلمة، وهذا هو خلقها: أداء الأمانات إلى أهلها . والحكم بين الناس بالعدل، على منهج الله وتعليمه .

والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى . . الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان، والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها "الإنسان" . . أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه، فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة . فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربه الإيمان به، والاهتداء إليه، ومعرفته، وعبادته، وطاعته، وألزمه طاعة ناموسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه، والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته ، وإلى عقله ، وإلى معرفته، وإلى إرادته، وإلى اتجاهه، وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله، بعون من الله: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . وهذه أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات .

ومن هذه الأمانة الكبرى، تنبثق سائر الأمانات، التي يأمر الله أن تؤدى، ومن هذه الأمانات: أمانة الشهادة لهذا الدين . . الشهادة له في النفس أولا بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له، ترجمة حية في شعورها وسلوكها، حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس، فيقولوا: ما أطيب هذا الإيمان وأحسنة وأزكاه، وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال! فتكون هذه شهادة لهذا الدين في النفس يتأثر بها الآخرون . . والشهادة له بدعوة الناس إليه، وبيان فضله ومزيته – بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية في نفس الداعية – فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه، إذا هو لم يدع إليها الناس كذلك ، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان، وهي إحدى الأمانات"٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ٦٨٨)

ج– القوة: يؤكد قطب بأن القوة للمسلمين تكون في: "حدود الطاقة إلى أقصاها، بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها . كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة: ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم

. . فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض . الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة ، واللّه يعلم سرائرهم وحقائقهم، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم . والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض؛ ولتكون كلمة اللّه هي العليا، وليكون الدين كله للّه .

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالا ، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل ، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٠)

و"العقيدة المكينة معين لا ينضب للنشاط الموصول والحماسة المذخورة واحتمال الصعاب ومواجهة الأخطار، بل هي سائق حثيث يدفع إلى لقاء الموت دون تهيب، إن لم يكن لقاء محب مشتاق"٠(الغزالي، ١٩٧٩ : ٩٨)، ويعلق قطب على قوله تعالى: **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُم}**٠(الأنفال: ٦٠)، بقوله: "إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في "الأرض" لتحرير "الإنسان" . . وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها؛ فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها . . والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على "دار الإسلام" التي تحميها تلك القوة . . والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير "الإنسان" كله في "الأرض" كلها . . والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية ، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ؛ ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده؛ ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه "٠(قطب،١٩٨٦،ج٣: ١٥٤٣)، وتلك طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن، إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، فالله تعالى خاطب الأنبياء والصالحين بالعمل للدين بقوة كقوله تعالى: **{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}**٠(الأعراف:١٤٥)، وقوله تعالى: **{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً}**٠(مريم:١٢)، وقوله تعالى: **{خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**٠(الأعراف:١٧١)، وكذلك العمل في الدنيا لخدمة الأمة والمجتمع: **{فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً}**٠(الكهف:٩٥)

وإذا اتجه المؤمن كان واضحا في هدفه، ولا يعرف التردد إلى قلبه سبيلا، وقلما تزحزحه العواصف العاتية، ولسان حاله ومقاله: **{اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}**٠(الأنعام:١٣٥)، وهذه اللهجة المقرونة بالتحدي، وهذه الروح المستقلة في العمل،

وتلك الثقة فيما يرى أنه الحق، ذلك كله يجعله في الحياة رجل مبدأ مميّز، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره، فإن رآهم على صواب تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه، واستوحى ضميره وحده، وكما يقول النبي ﷺ: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"٠(الترمذي،ب.ت،ج٤: ٣٦٠)

وعمل الشيطان هو تشييع الماضي بالنحيب والعويل، وهو ما يلقيه في النفس من أسى وقنوط على ما فات، فالرجل الحقيقي الذي ضرب الله به المثل في آياته الكثيرة، واستخدمه تعالى للدلالة على القوة في العبادة والجهاد والتطهر لا يلتفت وراءه إلا بمقدار ما ينتفع به في حاضره ومستقبله، وأما الوقوف مع هزائم الأمس، واستعادة أحزانها والتعثر في عقابيلها، وتكرار لو وليت، فذلك ليس من خُلق المسلم، بل لقد عدّه الله من مظاهر الحسرة التي تتلجلج في قلوب الكافرين: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}**٠(آل عمران:١٥٦) (الغزالي، ١٩٧٩: ١٠٠)، ولقول النبي ﷺ: "من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله"٠(النيسابوري، ١٩٩٠،ج٤: ٣٠١)

وقد سبق في المقوم التعبدي الحديث عن أهمية العبادة وآثارها على المسلم، وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على احترام عقيدة القوة في الحق، فقال ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٤: ٢٠٥٢)، وقوله ﷺ: "علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل"٠(البيهقي، ١٩٨٩،ج٦: ٤٠١)، وقوله ﷺ: "كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أربعة: ملاعبة الرجل أهله، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين([١٦])، وتعلم الرجل السباحة"٠(ابن حنبل، ٢٠٠٦،ج٣: ٣٨٠)، وقوله ﷺ معلقا على الآية السابقة: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (ابن الحجاج،ب.ت،ج٣: ١٥٢٢)، وقد اتبع الصحابة نهج النبي ﷺ في ذلك، ومنه قول عمر بن الخطاب: علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ٠

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بربه من المصائب الهدامة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ"٠(أبوداود،ب.ت،ج١: ٤٨٤)، ويبقى بعد ذلك للمسلم عدته وعتاده في مواجهة

---

[١٦]- مرمى السهام ويحتمل أن المراد مشيه بينهما في القتال ليجمع السهام المرمى بها، أو المبارزة للقتال، وقد يكون المراد به السباق نفسه ٠

الصعاب وهما الصبر والرجاء، ومن ثم فالواجب عليه كما قال القائد طارق بن زياد لجنوده: "فليس ثم والله إلا الصدق والصبر فإنهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعُجب كثرة"٠(صفوت،ب.ت،ج٢: ٣١)

د- العزة: الكبرياء على العباد صفة رب العباد: **{وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**٠(الجاثية:٣٧)، وذلّة العباد لربهم ذلة بالحق لا بالباطل، أما ذلّة العبد لعبد مثله فباطل لا ريب، والمتكبر هنا متطاول يزعم لنفسه ما ليس لها، والوضيع المستعبد جاهل بقدره، تحمّل من الأوزار مالا يطيق، وقد حرّم الإسلام الكِبر، وحرم الذل وأوجب العزة: **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**٠(المنافقون:٨)، ويعلق قطب بقوله: "فهي تقرير لصفة أساسية في الجماعة المسلمة، صفة الانتصار من البغي، وعدم الخضوع للظلم، وهذا طبيعي بالنسبة لجماعة أخرجت للناس لتكون خير أمة، لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهيمن على حياة البشرية بالحق والعدل؛ وهي عزيزة بالله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . فمن طبيعة هذه الجماعة ووظيفتها أن تنتصر من البغي وأن تدفع العدوان، وإذا كانت هناك فترة اقتضت لأسباب محلية في مكة، ولمقتضيات تربوية في حياة المسلمين الأوائل من العرب خاصة، أن يكفوا أيديهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فذلك أمر عارض لا يتعلق بخصائص الجماعة الثابتة الأصيلة . (الغزالي،١٩٧٩: ١٠١)

ولقد كانت هنالك أسباب خاصة لاختيار أسلوب المسالمة والصبر في العهد المكي"٠ (قطب،١٩٨٦،ج٥: ٣١٦٦)، والإسلام يَدَع المؤمن مستقرا في المكان الذي يشعر فيه بالكرامة والعزة، فإن لم يتحصل عليهما فيه توجّب عليه ترك المكان والرحيل لينشد العزة والكرامة في أي مكان آخر، وإن لم يفعل ذلك فقد ظلم نفسه، وقد استُثنى العجزة من الرجال والنساء والولدان: **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً{٩٧} إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً{٩٨} فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً{٩٩} وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{١٠٠}}**٠(النساء: ٩٧ -١٠٠)

فعلام يصيح المؤذن خمس مرات كل يوم مناديا بتكبير الله وحده في بداية الأذان ونهايته؟ ولماذا يتكرر هذا التكبير فيكتنف حركات الصلاة كلها من قيام وقعود؟ ذلك حتى يتيقن المسلم أن كل متكبر بعد الله صغير، وليرد المسلم إلى الصواب كلما ضللته المتاهات ٠

والعزة: "تكريم هائل لا يكرمه إلا الله ! وأي تكريم بعد أن يوقف الله – سبحانه – رسوله والمؤمنين معه إلى جواره، ويقول: ها نحن أولاء! هذا لواء الأعزاء، وهذا هو الصف العزيز ! وصدق الله، فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزته تعالى . العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تنحني ولا تلين . ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان . فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٥٨٠)

والإسلام حينما أوصى المسلم بالعزة هداه إلى أسبابها، ويسر له وسائلها، وأفهمه أن الكرامة في التقوى، وان السمو في العبادة، وأن العزة في طاعة الله، والمؤمن الذي يعلم ذلك ويعمل به يجب أن يأخذ نصيبه كاملا غير منقوص في الحياة الرفيعة المجيدة، فإذا اعتدى عليه أحد أو طمع فيه باغ كان انتصابه للدفاع عن نفسه جهادا في سبيل الله، وليس ذيادا عن الحق الشخصي فقط، بل إقرارا للحقوق العامة والمثل العليا، ومن ثم فإن موت المسلم دون حقه شهادة، فقد روي أنه: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي قَالَ قَاتِلْهُ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي قَالَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ قَالَ هُوَ فِي النَّارِ"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج١: ١٢٤) (الغزالي، ١٩٧٩ :١٠٢)، فمن عزة المسلم أن لا يكون مُستباحا لكل طامع، أو غرضا لكل هاجم بل عليه أن يستميت من دون نفسه وعرضه وماله وأهله وإن أريقت في ذلك دماء، فإن هذا رخيص لصيانة الشرف الرفيع، وكما يقول الشاعر:

لا يسلَمُ الشرفُ الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدم

ومن خُلق المسلم المغفرة حين المقدرة: **{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}**٠(الشورى:٣٧)٠ ومن خُلقه أيضا الانتصار للدين والنفس: **{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ{٣٩} وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ{٤٠} وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ{٤١}}**٠(الشورى:٣٩ –٤١)، فللمسلم أن يغفر إذا استغضبه من دونه، وله أن يؤدب المعتدين المجترئين عليه، حتى يفل حدهم ويكسر شوكتهم، وهو في هذه الحال مكلف أن يبرز قوته حتى يرهب المجرمين، وله وهو في هذا المكان العالي أن يعفو، فبعفو المقتدر تنتفي علامات الضعف، وهو لون آخر من تأديب المجرمين وكرامة المؤمنين ٠(الغزالي، ١٩٧٩: ١٠٣)

وأما تهيب الموت وتحمل العار طلبا للبقاء في الدنيا على أية صورة فهي الحرص على الحياة الذي ذمه الله تعالى على بني إسرائيل، والفرار لا يطيل أجلا ولا ينقص عمرا: **{وَلِكُلِّ**

أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}٠(الأعراف:٣٤)، وكما قال تعالى:**{أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}**٠(النساء: ٧٨)، وكقول ابن نباتة السعدي:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعدّدت الأسباب والموت واحد

٣- الأخلاق العامة:

أ- الإحسان: "ومرتبه الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام، وهي كما قال رسول الله ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء، وهذا هو التعقيب الذي ينهي آيات القتال والإنفاق، فيكل النفس في أمر الجهاد إلى الإحسان، أعلى مراتب الإيمان"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٩٢)

المسلم لا ينظر إلى الإحسان على أنه خُلق فاضل يجمل التخلق به فحسب، بل ينظر إليه كجزء من عقيدته، إذ أن الدين الإسلامي مبناه على ثلاثة أمور وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان كما جاء في حديث جبريل المشهور، لقول النبي ﷺ: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم"، فسمى الثلاثة دينا٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٥٢)، وقد أمر الله سبحانه بالإحسان في غير موضع من كتابه الكريم إذ قال: **{وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**٠(البقرة:١٩٥) (الجسر، ٢٠٠٤: ٣٨)

ويعلق قطب على قوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(النحل:٩٠) بقوله: "لقد جاء هذا الكتاب لينشيء أمة وينظم مجتمعا ، ثم لينشيء عالما ويقيم نظاما، جاء داء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، إنما العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية .

ومن ثم جاء بالمباديء التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات ، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود .

جاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغني والفقير، والقوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع .

وإلى جوار العدل . . الإحسان . . يلطف من حدة العمل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارا لود القلوب، وشفاء لغل الصدور، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحا أو يكسب فضلا .

والإحسان أوسع مدلولا، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه ، وعلاقاته بأسرته ، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعا .

ومن الإحسان إيتاء ذي القربى إنما يبرز الأمر به تعظيما لشأنه، وتوكيدا عليه، وما يبني هذا على عصبية الأسرة، إنما يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام، وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٩٠)

ب- الحياء: الحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان لقول النبي ﷺ: "إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج٢: ١٣٩٩)، والمسلم عفيف حيي، والحياء خُلق له، والحياء من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته، يقول النبي ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج١: ٦٣)، والسر في كون الحياء من الإيمان في أن كلا منهما داع إلى الخير صارف عن الشر مبعد عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم، ومن التفريط في حق ذي الحق، كما يمنع الحيي من قول القبيح أو فعله اتقاء للذم والملامة، وكما قال النبي ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٢٢٦)، وقول النبي ﷺ: "الحياء خير كله"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج١: ٦٤)؛ ولذلك كان النبي ﷺ أرق الناس طبعا، وأنبلهم سيرة، وأعمقهم شعورا بالواجب، ونفورا من الحرام، فعن أبي سعيد الخدري: "كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٢٢٦٣)، ومر النبي ﷺ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال: "دعه فإن الحياء من الإيمان"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ١٧)؛ ولذلك حث الإسلام على الحياء ولم يتساهل في الانتقاص من أركانه ومقوماته، ورحم الله امرأة كانت قد فقدت طفلها فوقفت على قوم تسألهم عن طفلها، فقال أحدهم: تسأل عن ولدها وهي منتقبة، فسمعته فقالت: لأن أرزأ في ولدي خير من أرزأ في حيائي أيها الرجل٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٣٧)

ولا شك أن الحياء الكامل يسبقه استعداد فطري ممهد، فإن هناك طبائع تكاد الصفاقة تكون لازمة لها، في الوقت الذي ترى فيه بعض الناس شديد الخجل مرهف الإحساس إلى حد بعيد، لكن الخجل ــ مع أنه العنصر البارز في الحياء ــ يقع في الخير والشر ٠(الغزالي، ١٩٧٩: ١٦٣)، وخُلق الحياء عند المسلم غير مانع له من التفقه في الدين، أو أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، أوأن يقول حقا، وليس من الحياء مهاجمة السلطة الصنمية المادية والمعنوية للآلهة

المتعددة على الأرض من دون الله بأنواعها وأشكالها المختلفة، وقد هاجم الله تعالى الأصنام وحقَّر شأنها، فقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}**٠(الحج:٧٣)، والله لا يستحيي من الحق، وكما فعل النبي ﷺ مع حبّه وابن حبّه أسامة بن زيد حينما شفع للمرأة المخزومية التي سرقت، فلم يمنع الحياء النبي ﷺ أن يقول لأسامة في غضب: "أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة، والله لو سرقت فلانة لقطعت يدها"٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٣٧)

ويعلق قطب على قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}**٠(البقرة: ٢٦) بقوله: "فالله رب الصغير والكبير ، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل، إنها معجزة الحياة . معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله . . على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل ، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره، والله – جلت حكمته – يريد بها اختبار القلوب، وامتحان النفوس٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٥٠)

ولم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية من التفقه في دينها وسؤال النبي ﷺ في الغسل من الاحتلام للمرأة، ولم يمنع الحياء خولة بنت الأزور من الاعتراض على أمير المؤمنين عمر حينما طالب بتحديد المهور، والحياء من الناس شيء جميل ولكن الحياء من الله أولا أجمل، لقول النبي ﷺ: "الله أحق أن يستحيا منه من الناس"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج١: ١٠٧)، ولله در أبي تمام الشاعر حين قال: (مهنا،١٩٨١،ج٢: ٢٧٩)

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

ومن سقوط الحياء يبدأ السقوط إلى الهاوية والنهاية المحتومة حيث أوضح النبي ﷺ مراحله وحذر منه فقال: "إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج٢: ١٣٤)، وإذا سقط الحياء فلن تلقى إلا البذاء وهو سوء الخُلق، وقد قال رسول الله ﷺ: "الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار"٠(ابن حبان، ١٩٩٣،ج١٣: ١٠)، وعن عبد الله بن بسر: لقد سمعت حديثا منذ زمان: "إذا كنت في قوم فتصفحت وجوههم

فلم تر فيهم رجلا يُهاب في الله عز وجل، فاعلم أن الأمر قد رقّ"٠(الغزالي، ١٩٧٩: ١٦٢) ويعلق (قطب) على قوله تعالى: "**{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا}**(البقرة: ٢٣١) بقوله: "وهنا يستجيش القرآن أنبل المشاعر، كما يستجيش عاطفة الحياء من الله، وشعور الخوف منه في آن، ويحشد هذه المؤثرات كلها ليخلص النفوس من أوضاع الجاهلية وآثارها، ويرتفع بها إلى المستوى الكريم الذي يأخذ بيدها إليه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ :٢٥١)

ج- الصبر: ويعرف الصبر بأنه حبس النفس على ما تكره، أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٣٨)، ويؤكد قطب أن: " أول توجيه لهذه الأمة هو الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم، والاستعداد لبذل التضحيات التي يتطلبها هذا الدور من استشهاد الشهداء، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، والخوف والجوع، ومكابدة أهوال الجهاد لإقرار منهج الله في الأنفس، وإقراره في الأرض بين الناس، وربط قلوب هذه الأمة بالله، وتجردها له، ورد الأمور كلها إليه . . كل أولئك في مقابل رضى الله ورحمته وهدايته، وهي وحدها جزاء ضخم للقلب المؤمن، الذي يدرك قيمة هذا الجزاء . . . ويتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيرا؛ ذلك أن الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع ؛ والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات؛ والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج . . ولا بد من الصبر في هذا كله . . لا بد من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المشاقين لله، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الاعراض"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٤١)

والصبر أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على النوازل ٠(الغزالي، ١٩٧٩: ١٣٥)، و"اعلم أن من حسن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات، والرفق عند النوازل٠٠٠"٠(الماوردي،١٩٢٧: ٢٦٠)

ويعلّق (قطب) على معركة أحد بقوله: "وفي هذه الفقرة يبدأ بالإشارة إلى سنة الله الجارية في المكذبين، ليقول للمسلمين إن انتصار المشركين في هذه المعركة ليس هو السنة الثابتة، إنما هو حادث عابر، وراءه حكمة خاصة . . ثم يدعوهم إلى الصبر والاستعلاء بالإيمان، فإن يكن أصابتهم جراح وآلام فقد أصاب المشركين مثلها في المعركة ذاتها، وإنما هنالك حكمة وراء ما

وقع يكشف لهم عنها: حكمة تمييز الصفوف، وتمحيص القلوب، واتخاذ الشهداء الذين يموتون دون عقيدتهم، ووقف المسلمين أمام الموت وجها لوجه وقد كانوا يتمنونه، ليزنوا وعودهم وأمانيهم بميزان واقعي! ثم في النهاية محق الكافرين، بإعداد الجماعة المسلمة ذلك الإعداد المتين . . وإذن فهي الحكمة العليا من وراء الأحداث كلها سواء كانت هي النصر أو هي الهزيمة .

٠٠٠ والسنن التي يشير إليها السياق هنا، ويوجه أبصارهم إليها هي: عاقبة المكذبين على مدار التاريخ، ومداولة الأيام بين الناس، والابتلاء لتمحيص السرائر، وامتحان قوة الصبر على الشدائد، واستحقاق النصر للصابرين والمحق للمكذبين"٠ (قطب،١٩٨٦،ج١: ٤٧٨)

ويقول بعض الحكماء: والصبر أو عدم الجزع من الأخلاق التي تُنال بنوع من الرياضة والمجاهدة؛ ولذلك توَجَّب على المسلم أن يستمد العون من الله أن يرزقه الصبر والسلوان: **{رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}**٠(الأعراف:١٢٦)، وتكون الاستعانة بالله ثم بالعبادات والأعمال الصالحة للتعوّد على الصبر والمصابرة لقوله تعالى: **{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}**٠(البقرة:٤٥)، ويكون الصبر من الصدمة الأولى بما يرضي الله ولا يسخطه من قول أو فعل: **{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦}}**(البقرة:١٥٥ ،١٥٦)، ويعلّق قطب على الآية بقوله: ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات . . . فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها . . كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها . . إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه . . وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدّرين لها، مندفعين إليها . . وعندئذ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا ٠

وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله . . الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده، لا يجد سندا إلا سنده، وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر . . لا شيء إلا الله . . لا قوة إلا قوته . . لا حول إلا حوله . . لا إرادة إلا إرادته . . لا ملجأ إلا إليه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٤٥)

ولا شك أن أولي الفضل من الناس لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم، وانظر إلى نبي الله يوسف الصدّيق رغم امتلاء ماضيه بالآلام الثقيلة التي تعجز الجبال عن حملها، لكنه لم يضق بالأرض ولم يتنكر للسماء، وبقي متألق اليقين وراء جدران السجن يذكّر بالله من جهلوه، ويبَصّر بفضله من جَحدوه: **{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ{٣٩} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ{٤٠}}**٠(يوسف: ٣٩ –٤٠)

وتكون المنزلة على قدر البلاء وثقل الأحمال ومعاناة الصعاب، وقد روي عن النبي ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ قَالَ أَبُو دَاوُد زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى"٠(أبو داود،ب.ت،ج٢: ٢٠٠)، وكثيرا ما تكون الآلام طهورا يسوقه القدر إلى المؤمنين ليصادر ما يستهوي ألبابهم من مُتَع الدنيا، فلا تطول خدعتهم بها أو ركونهم إليها، ورب ضارة نافعة، وكم من مِحْنةٍ في طيّها منَح ورحمات ٠

ومن هنا كرّم الإسلام الصابرين المؤمنين من أهل البلاء تكريما إضافيا، وهذا ثمرة مواجهة الحياة وشدائدها، أما العاجزين الهاربين من الميدان فلن يصيبهم شيء إلا بإذن الله: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنْ الزَّرْعِ تُفِيئُهَا الرِّيَاحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ الَّتِي لَا يُصِيبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا(١٧) مَرَّةً وَاحِدَةً"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٤: ٢١٦٣)، والتعوّد على الصبر يكون على قدر الطاقة، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها لقوله تعالى: **{مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً}**٠(النساء:١٤٧)

أما احتمال الأذى فهو الصبر ولكنه أشد، وهو بضاعة الصديقين، وشعار الصالحين، وحقيقته أن يؤذى المسلم في ذات الله تعالى فيصبر ويتحمل، فلا يرد السيئة بغير الحسنة، ولا ينتقم لذاته، ولا يتأثر لشخصيته ما دام ذلك في سبيل الله ومؤديا إلى مرضاة الله٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٣٩)، وهو ما كان بالفعل، وعن ابن مسعود قال: "كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ــ [وهو هنا النبي ﷺ، أي أنه كان يحكي عن نفسه] ــ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٣: ١٢٨٢)، وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: "ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى"٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٤٠)، وكما أن عبادة الله الفردية حقّ العبادة تعتمد على الصبر،

---

[١٧]- سقوطها وانقلاعها من الأرض ٠

فكذلك عبادته مع الجماعة، وعشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم، خصال تعتمد على الصبر الجميل أيضا: **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**٠(الكهف:٢)، والتواصي بالصبر قرين التواصي بالحق، وقد أقسم الله تعالى على أن فلاح البشر منوط بهما: **{وَالْعَصْرِ{١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{٣}}**٠(العصر:١ –٣)، وفي ذروة سنام الفضيلة يبقى الصبر والغفران كما يقول تعالى: **{وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}**٠(الشورى:٤٣)

د– **التواضع:** والمقصود به أن يمشي المسلم بين الناس هونا، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضى أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما يتيسر من اللباس، ويجلس كيف تم له الجلوس، ويمتزج مع من يلتقي من البشر، دون أن يأخذه شيء من كِبر، أو تداخله بقية من عُجب، أو تساوره نظره من استعلاء ٠(علوان، ٢٠٠٣ :٢٣٠)، ويعلّق (قطب) على قوله تعالى: **{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}**(الفتح: ٢٩)، فيقول: "سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: من أثر السجود . . فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع، أثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة . ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلا" ٠(قطب،١٩٨٦،ج٦: ٣٣٣٢)

والمسلم يتواضع في غير ذلّة ولا مهانة، والمسلم يتواضع ليرتفع، ولا يتكبر لئلا يتّضِع، إذ سنة الله جارية في رفع المتواضعين له، وفي وضع المتكبرين٠(الجزائري، ٢٠٠٦: ١٥٩)

والتواضع من الأخلاق والصفات العالية التي رَغّب الله فيها، فقال لرسوله الكريم ﷺ: **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}**(الحجر:٨٨)، والآيات والأحاديث كثيرة في الحث عليه والتحذير من التكبر على الله وعلى الناس، ومنها قوله تعالى: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}** (الفرقان:٦٣)(العفيفي، ١٩٩٤ : ٣٧٥)، فلم يقل تعالى في الأرض كما في آيات السعي للرزق وغيره، بل قال: على الأرض، أي يمشون وأرواحهم وقلوبهم موصولة بالسماء وكأنهم ليسوا من أهل الأرض، وقوله تعالى: **{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً}**(الإسراء:٣٧)، ويفسّر قطب قوله تعالى: **{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً}**(الإسراء: ٣٧) بقوله: "إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل، لا يبلغ شيئا من الأجسام

الضخمة التي خلقها الله، إنما هو قوي بقوة الله، عزيز بعزة الله ، كريم بروحه الذي نفخه الله فيه، ليتصل به ويراقبه ولا ينساه" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٢٨)

وشدّد النبي ﷺ في التنفير من الكِبر: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظ(١٨) مُسْتَكْبِرٍ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٤: ١٨٧٠)، وقوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج١:٩٣)، وكان النبي ﷺ مثالا في التواضع، وقد أتى رجل لمقابلة المصطفى ﷺ، فارتعد الرجل من هيبته، فقال له الرسول ﷺ: "هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد"٠(الحاكم، ١٩٩٠.ج٣: ٥٠)، وكان ﷺ يحب التواضع ويكره التعاظم والتكبر، وكان يجلس في المكان الخالي الذي يجده في المجلس، وكان إذا جلس مع الناس إن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تكلم معهم، رفقا بهم، وتواضعا لهم، وكان أشد الناس تواضعا ٠(العفيفي، ١٩٩٤ : ٣٧٨، ٣٧٩)

وليس من الكبر أن تتجمل بالجديد ــ مادمت مقتدرا ــ تحدثا بنعمة الله عليك: **{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}**(الضحى:١١)، ولقوله ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"٠(الترمذي،ب.ت،ج٥: ١٢٣)

ولقد رأى عمر رجلا متماوتا فخفقه بالدرّة وقال: لا تُمِت علينا ديننا أماتك الله تعالى، ورأى رجلا مطأطئ رأسه فقال: ارفع رأسك، فإن الإسلام ليس بمريض، ورأت عائشة رجلا كاد يموت تخافتا فقالت: ما لهذا ؟ فقيل: إنه من القراء، فقالت: كان عمر رضى الله عنه سيد القراء، وكان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع٠ (أبو شامة،١٩٧٧: ٨٢)(ابن منظور،ب.ت،ج٢: ٩٠)

١٥- آثار الأخلاق: للأخلاق الحسنة آثار أهمها:

أ- رضا الله تعالى ورحمته: فبالأخلاق الحميدة ينال الإنسان رضا الله تعالى ورحمته، والعكس صحيح، ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج ممن شاعت فيهم منكرات الأخلاق فحل عليهم سخط الله وانتقامه، ومن أولئك قوم لوط، فقال تعالى: **{فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ{٨٢} مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ{٨٣}}**٠(هود: ٨٢ -٨٣)

ب- الأمن والتوافق النفسي والتكيف الاجتماعي والصحة النفسية والقلبية: ولعل من أبرز مقومات الشخصية التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي، وهو القدرة على التآلف، والتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد، وإمكانية مواجهة المشكلات التي تعترضنا بنجاح٠

---

١٨ - **الفظ الغليظ المتكبر في مشيته ٠**

وللانحرافات السلوكية أوفر الحظ في إيجاد عدم التوافق النفسي، حيث أثبتت التجارب في مختبرات فسيولوجية في جامعات الغرب أنه قد تكون كمية من الخمر قليلة جدا لكنها قادرة على أن تحدث تغيرا في الواقع النفسي٠

ومن عدم التوافق والتكيف ما يعرف بالمرض القلبي، وهو نوع فساد يحصل للإنسان، يفسد به تصوره للحق وإرادته له، فلا يرى الحق حقا، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو يجتمعان له وهو الغالب٠

ولذلك فإن أصحاب الانحرافات ينفرون من مجالسة أهل الحق والصلاح، وربما أبغضوهم؛ لأنهم ينهوهم عن إشباع شهواتهم بالمحرمات، ولأنهم على غير شاكلتهم، وربما رأوا في الصالحين أنهم لا يدركون، وهذا غاية الجهل والضلال٠

ومن فضائل الأخلاق وآثارها شيوع الأمن، فيأمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه وممتلكاته العامة، ويحصل على حقوقه كاملة، ويعطي مجتمعه ما يجب عليه كاملا، وبالتالي يزيد إنتاج الفرد وعطاؤه لمجتمعه٠

ج- المحبة والألفة: فبالأخلاق الفاضلة تنتشر المحبة ويسود الوئام، حتى مع ألد الأعداء ممن يقدِّرون قيمة الأخلاق؛ ولذلك قال تعالى: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**٠(فصلت:٣٤)

وبالأخلاق الفاضلة يترابط المجتمع ويتعاضد أفراده، لقول النبي ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"٠(ابن الحجاج،ب،ت،ج٤: ١٩٩٩)، وقول النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٢:٨٦٣)

ومن خلال الأخلاق الطيبة ينشأ التواصل الاجتماعي الذي يبدأ بصلة الأرحام، وعلى العكس من ذلك ينشا التقاطع الاجتماعي، وفي ذلك قال تعالى: **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }**٠(محمد:٢٢)

خامسا: المقوم الاجتماعي

مقدمة:

يختلف الإنسان عن بقية المخلوقات الحية، في أنه منذ ميلاده، يكون عاجزا وأكثر اتكالية على أفراد أسرته وجماعته، لتلبية حاجاته الضرورية، ويستمر هذا الاعتماد فترة طويلة من الزمن قياسا بغيره من الكائنات الحية، ويكتسب من خلالها الكثير من المهارات والمعلومات وأنماط

السلوك المختلفة لبقائه واستمراره، وكلما زادت حصيلته منها تمكن بصورة أفضل وتدريجيا من رعاية نفسه بنفسه٠

وكما بقول (قطب): "والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للإحياء الأخرى، ذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أضخم دور . . امتدت طفولته فترة أطول، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٢٣٥)

ولقد بدأت التربية كنظام اجتماعي مع نشأة الإنسان على هذه الأرض، وظهرت كضرورة اجتماعية هدفها إعداد الفرد ليصبح عضوا في مجتمعه ٠

ومن الحقائق الثابتة التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته أن الاجتماع الإنساني ضروري، وهو ما يعبر عنه بقول البعض: الإنسان مدني بالطبع، ومعنى ذلك أن المجتمع ضروري للإنسان، وهو ما يؤيده الواقع، فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت فيه٠

وإذا كان المجتمع ضروريا للإنسان ولابد من وجوده؛ فإن النظام ضروري للمجتمع لا يتصور وجوده بدونه، وإذا كان لكل مجتمع نظام على نحو ما، فإن هذا النظام لابد له من أسس وأصول وأفكار يرتضيها المجتمع ويقوم عليها نظامه الذي يسير بموجبه ٠

وإذا كان نظام المجتمع صالحا أو فاسدا؛ فإن صلاحه أو فساده ينعكس على أفراده ويتأثرون به ويتحملون تبعاته فيسعدون به أو يشقون٠

وعلى هذا يجب على كل من يريد الخير لنفسه ومجتمعه أن يبحث ويتحرى عن الأسس الصالحة التي يقوم عليها نظام المجتمع، وبهذا تتيسر للأفراد سبل الخير والسعادة٠

والواقع أن الإسلام كفانا مؤونة البحث والتحري عن هذه الأسس، كما كفانا مؤونة البحث عن طبيعة هذا النظام الصالح ٠

والنظام الاجتماعي الإسلامي من عند الله تعالى، وقد جعله الله كاملا وشاملا، سلما وحربا، رخاء وشدة، غنى وفقرا: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** (النحل:٨٩)

والبناء الاجتماعي الإسلامي هو العمران الذي يحيا فيه الناس أفرادا وأسراً وجماعات خاضعين لعقد اجتماعي موروث ومكتوب يلزمهم بالقواعد الاجتماعية المعتبرة التي تحقق التماسك والتقدم والتكامل، سواء كانت هذه القواعد تشريعية أم عرفية، وفي بعض الأحوال قد توجب بعض الحالات الارتفاع فوق هذه القواعد، وذلك مثلما فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين عندما شاركوهم في دورهم وأموالهم، بل وعرضوا عليهم اقتسامها معهم، فهذا نوع من الإيثار والتكافل

لم يجعله الإسلام فرضا، وتركه للمستوى الأخلاقي للمسلمين في ظل معاني الرحمة والأخوة الإسلامية، ولربما بدون هذا الارتفاع (الإيثاري) لم يكن المجتمع الإسلامي الأول ليَتكوَّن، أو ليتكون على هذا النحو: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**٠(الحشر:٩)

ومن هنا نعلم أن التعامل مع الجوانب الاجتماعية في الإسلام يقف فوق أرضية عقدية وفكرية ونفسية وأخلاقية معينة، وأن المسلم يعالج هذه القضايا في إطار مفاهيمه الإيمانية الكلية، فهو لا يقوم بها لأنها أوامر قانونية، ولا قضايا مصلحة عامة، يتبادل فيها الفرد والمجتمع الخدمات بطريقة جدلية تبادلية، وقد تنقضي هذه العلاقة بمجرد انقضاء المصلحة، أوالتحايل على القانون٠

فالأصل العقدي والتعبدي للقضايا الاجتماعية في الإسلام والمنهج الذي يجعله جزءا من كل لا ينفصل عنه، هذا الأصل وهذا المنهج يجعلان للتكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي قسمات خاصة ينفرد بها عن كل النظريات الاجتماعية التي ظهرت في القديم وفي الحديث ٠

وفي هذا الصدد نشير إلى أننا نجد الدول الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي قد تعرضت لنكسات عجزت معها مؤسسات الدولة في كثير من الظروف عن توفير الحاجات الأساسية للمجتمع من غذاء وكساء ودواء وتعليم، فقامت الأمة المسلمة بدوافع الإيمان والعقيدة بسد الحاجات التي عجزت عنها مؤسسة الدولة حفاظا على بناء المجتمع ٠

ومن هذا المنطلق نشير إلى الربط العضوي القائم بين مصطلحات (الأمة) و(المجتمع) و (التكافل الاجتماعي)، وأخيرا يأتي مصطلح (الدولة) الذي يقوم بدور خطير، ولكن على الأمة ألا تيأس ولا أن تترك التكافل الاجتماعي في الحالات التي تعجز فيها الدولة عن القيام بهذا التكافل، أو الحالات الأخرى التي تتنكر فيها الدولة لرسالتها، وتخدم شرائح اجتماعية معينة، وتهمل الشرائح الأخرى ٠

وللتكافل الاجتماعي في الإسلام شِقَّان رئيسان لا يكون إلا بهما معا، شق مادي وآخر أدبي، فالمادي يتعلق بمد يد العون للمحتاج، وإغاثة الملهوف، ونصرة الضعيف، والمساهمة الفعالة في إقامة المصالح العامة وغيرها، وأما الأدبي فيكون بالتعليم، والنصح، والإرشاد والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها، وكما يبين(قطب): "فهي قبل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك، والضمائر والوجدانات، والقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها، وليست القيم المادية على وجه العموم، إنما هي ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعا"٠(قطب، ١٩٦٣: ٢٨)

إن المجتمع – كما يقول مالك بن نبي – الذي يعمل فيه كل فرد ما يحلو له ليس مجتمعاً ولكنه إما مجتمع في بداية تكونه وإما مجتمع بدأ حركة الانسحاب من التاريخ فهو بقيَّة مجتمع ٠ واليهود حين أرادوا تدمير المجتمعات الغربية خططوا لتضخيم جانب الفردية على حساب الحس الجماعي حتى كثرت القضايا التي يعدها العرف هناك خصوصيات تخضع لمزاج الفرد ومصلحته، وكانت النتيجة التي انتهوا إليها تفكك تلك المجتمعات على نحو مخيف ذهب بأمن الحياة ورونقها٠

ويرى الباحث أن هذه العدوى انتقلت إلى بلاد المسلمين فصار كثير من المسلمين غير مستعد لقبول نصيحة من أحد بحجة أن ما يُلاحظ عليه يعود إلى خصوصياته التي لا تقبل أي نوع من التدخل، وهذا الصنف من الناس – وهو يمثل اليوم في المسلمين الأكثرية – على غير دراية بفلسفة هذا الدين في إقامة المجتمعات وإنشاء الحضارات مما يجعل رؤيتهم للحياة كثوب ضم سبعين رقعة مختلفة الأشكال والألوان ٠

١– تعريف المجتمع: الاجتماع لغة من الفعل اجتمع: ضد تفرق، وتجمع واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع٠(الفيروزآبادي، ١٩٩٥: ٩١٨)

ويعرف المجتمع اصطلاحا بأنه: "مجموعة من الأفراد الذين يعيشون معا في بقعة معينة بتعاون متبادل، مرتبطين بتراث ثقافي معين، وثقافة مشتركة ولديهم الإحساس بالانتماء لمجتمعهم، ويكوّنون مجموعة من المؤسسات تؤدي الخدمات اللازمة، وتضمن لهم مستقبلا لائقا في شيخوختهم، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بينهم"٠(ناصر، ١٩٨٩: ٢١٨)

ويختلف المجتمع عن التجمع بأن له ثقافة مشتركة تتشكل عن طريق التربية ببعديها المقصود وغير المقصود ٠

والجماعة في مفهوم الفقه السنني([١٩]) هي التي تجتمع على الحق وإن قلَّت٠(الكيلاني، ١٩٩٦: ٣٩٤)، ولهذا أجاب علي بن أبي طالب مَن سأله عن معنى الجماعة، فقال: "والجماعة – والله– مجامعة أهل الحق وإن قلّوا، والفرقة مفارقة أهل الباطل وإن كثروا"٠(الكاندهلوي، ب.ت: ١٠)، والجماعة في الفقه العرفي([٢٠]) هي الأغلبية التي يتم (قياس) الحق تبعا لمحصلة رغباتها٠ (الكيلاني، ١٩٩٦: ٣٩٥)

٢– أهمية المجتمع: لاشك أن الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا يستطيع أن يعيش في معزل عن المجتمع وهو جزء منه، إذ أن المجتمع في الأصل عبارة عن مجموعة أفراد تربط بينهم روابط معينة تخضع للدين الذي يدينون به ٠

---

[١٩] ـ سنن ونواميس الكون الحقيقية العادلة ٠

[٢٠]ـ المتعارف عليه في النظم السياسية الحديثة خاصة ٠

وتعتبر ضرورة الربط بين البناء الاجتماعي لأي مجتمع ونظامه التربوي كنظام فرعي من أنظمة المجتمع، ذات أهمية بالغة، وقد كان هذا الربط موجودا منذ أقدم العصور، وزادت أهميته وضرورته أكثر فأكثر نتيجة التغيرات السريعة التي حدثت في العصر الحاضر، وما أحدثته الثورة العلمية والتقنية من تغيرات في حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات، مما أدى إلى تفكك الروابط الاجتماعية بين الأسر والشعوب والمجتمعات؛ فدفع البعض للاقتناع بفكرة ما يسمى بالعولمة، أو النظام العالمي الجديد الذي نادى الغرب به وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي ٠

ومن خلال المجتمع يكوّن الفرد الصداقات المختلفة، ويتعلم أنماطا من السلوك الاجتماعي التي يحتاجها في حياته، ويجد الفرد المتعة والرضا في عمله مع الجماعة، ويشعر بالأمن والحماية والسعادة، ويتعلم الفرد الإحساس بالمسئولية، ويتدرب الفرد على تنمية الذات واحترام الآخرين وعدم الاستئثار بالرأي٠

ومن خلال الجماعة يتحقق النمو الاقتصادي، وتتكون المؤسسات الاجتماعية كالمدارس والجامعات والمؤسسات الصناعية، فاليد الواحدة لاتصفق، ولا تتم السعادة والرفاهية إلا بوجود الإنسان مع الآخرين، وكما قال الشاعر:

الناس للناس من بدوٍ وحاضرة بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدم

٣- مفهوم الأمة: الأمة مصطلح من المصطلحات التي وُلدت بميلاد الرسالة الإسلامية مثل مصطلح (الصلاة) و(الزكاة) و(النفاق) وغيرها، والأمَّة تعني لغويا: الجماعة التي تؤُم أيَّ قصد لأمر٠(الألوسي،ب.ت،ج٢١:٤)، ويعتبر (قطب) أن: "الأمّة في التعريف الإسلامي هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصوّر واحد وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهلي القديم أو الحديث، مجموعة الناس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض وتحكمها دولة واحدة! فهذا مفهوم لا يعرفه الإسلام، إنما هي من مصطلحات الجاهلية القديمة أو الحديثة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٣٨٤)

وهذه الأمة تُنشأ إنشاءً أو تُخرَج إخراجا: "ويجب أن نؤكد هذه الحقيقة ونوضحها قبل المضي في الحديث: حقيقة إنشاء القرآن لهذه الأمة وتنشئتها معا . . فقد كانت – على التحقيق – إنشاء وتنشئة، كانت ميلادا جديدا للأمة، بل ميلادا جديدا "للإنسان" في صورة جديدة! ولم تكن مرحلة في طريق النشأة، ولا خطوة في سبيل التطور، ولا حتى وثبة من وثبات النهضة! إنما كانت – على وجه التحديد – "نشأة" و"ميلاداً" للأمة العربية وللإنسان كله"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٢ :٦٨٥)

وأما المعنى الاصطلاحي فقد تكررت الإشارة إليه في القرآن والحديث ليدل على معانٍ عديدة أهمها:

١- الدلالة على إنسان ورسالة، والرسالة هي النموذج الأمثل للجوانب الخيّرة في سلوك الفرد والجماعة ليأتم به الناس ويسعدوا، وأما عن الإنسان فقد يكون فردا واحدا مثل الإشارة إلى نبي الله إبراهيم: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**٠(النحل:١٢)

٢- الدلالة على منهاج حياة وما يتضمنه هذا المنهاج من معتقدات وقيم وممارسات وتقاليد كما قال تعالى: **{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}**٠(الزخرف:٢٢)

٣- الدلالة على فترة زمنية محددة كقوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}**٠(يوسف:٤٥)

٤- الدلالة على مجموعة من الناس لها مهنة واحدة كقوله تعالى: **{وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}**٠(القصص:٢٣)

٥- الدلالة على المخلوقات الأخرى من حيوانات وطيور وحشرات كقوله تعالى: **{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}**٠ (الأنعام:٣٨) (الكيلاني، ١٩٩٦: ١٩٥)

ويوضّح (قطب) أن: "هذه الأمة هي وارثة الرسالات، وصاحبة الرسالة الأخيرة، والدين الأخير، وصاحبة الوصاية والقوامة على البشرية بهذا الدين الأخير . . ألا تتولى من يكفرون بهذا الدين، ومن يتخذون فرائضه وشعائره هزوا ولعبا، إنما تتولى الله ورسوله، ولا تركن إلى ولاية غير المؤمنين بالله ورسوله، فإنما هي أمة بعقيدتها لا بجنسها، ولا بأرضها، ولا بموروثاتها الجاهلية، إنما هي "أمة" بهذه العقيدة الجديدة، وبهذا المنهج الرباني، وبهذه الرسالة الأخيرة . . وهذه هي آصرة التجمع الوحيدة"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٢ :٨٣٠)

٤- مقومات الأمَّة: فالمعنى الاصطلاحي المتكامل لـ(الأمة) في الإسلام كما يفهم من تعريفها يتضمن عناصر ومقومات: (الكيلاني، ١٩٩٦: ١٩٧)

فالأول يحمل في طياته أربعة عناصر هي: العنصر البشري، والعنصر الفكري، والعنصر الاجتماعي، والعنصر الزمني، فالأمة مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقا لمبادئ هذه الرسالة، وتظل تحمل صفة (الأمة) ما دامت تحمل هذه الصفات، وأما حين تفقدها فقد يطلق عليها اسم (الأمة) ولكنها لن تكون النموذج الإسلامي للأمة تماما كما يطلق اسم (دين) على أي دين، ولكن الدين المقبول عند الله هو الإسلام ٠

والثاني: أن العنصر الرئيس في مفهوم الأمة هو عنصر(الرسالة)٠

والثالث: أنه لا يشترط في العنصر البشري، أو المكوّن الأول للأمة، الروابط الدموية أو الجغرافية ولا الكم العددي، فقد يكون هذا العنصر فردا واحدا، وقد يكون فئة أو جماعة أو جيلا

أو أجيالا أو الإنسانية كلها ما دامت تحمل رسالة ويوحدها فقه شامل لهذه الرسالة وتطبيقات فاعلة٠

والرابع: أن الأمة تتدرج في نشأتها ونموها كتدرج نمو الجسد الإنساني ٠

ويوضح قطب المراحل بقوله: "ثم تتدرج النظرة الإسلامية للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان، ثم الذرية، ثم البشرية"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٣٤)، ويضيف أيضا: "تلك الخصائص تحدد شخصية المؤمنين المكتوب لهم الفلاح، وهي خصائص ذات أثر حاسم في تحديد خصائص الجماعة المؤمنة ونوع الحياة التي تحياها، الحياة الفاضلة اللائقة بالإنسان الذي كرمه الله، وأراد له التدرج في مدارج الكمال، ولم يرد له أن يحيا حياة الحيوان، يستمتع فيها ويأكل كما تأكل الأنعام" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٤٥٧)

والخامس: إن الأمة الراشدة لا ينال من وحدتها تنوع الشعوب والقبائل فيها ولا اختلاف الألوان والمهن والأماكن، ما دامت هذه التنوعات لا تخرج عن وظيفتها في تسهيل التعارف، وما دامت ولاءاتها تدور في فلك الرسالة وحدها ولا تدور في فلك الأشخاص والأشياء، وما دام يعمل هذا التنوع كما يعمل التنظيم الإداري القائم على الوحدة في الغاية والتنوع في الاختصاصات والوسائل ٠

والسادس: أن الأمة كيان صناعي يمكن بناؤه وهدمه، ويقرر (قطب): "وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية . إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائما ما تعطيه، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح . . هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها ، وتحتمه عليها غاية وجودها . واجبها أن تكون في الطليعة دائما ، وفي مركز القيادة دائما، ولهذا المركز تبعاته، فهو لا يؤخذ ادعاء ، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له . . وهي بتصورها الاعتقادي، وبنظامها الاجتماعي أهل له، فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمي ، وبعمارتها للأرض – قياما بحق الخلافة – أهلا له كذلك . . ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير؛ ويدفعها إلى السبق في كل مجال . . لو أنها تتبعه وتلتزم به، وتدرك مقتضياته وتكاليفه .

وفي أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد . . وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي خير أمة أخرجت للناس ٠٠٠

وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه . . كلا! إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٤٧)

والسابع: أن استمرار الأمة في الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة وما يتفرع عنها من تطبيقات في مجالات الحياة المختلفة، لقوله تعالى: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}**٠(آل عمران: ١١٠)، ولقد كان الفاروق عمر حريصا على تأكيد هذا الفهم والتصور عن الأمة المسلمة حين قال في شرح الآية السابقة: لو شاء الله لقال أنتم، فكنا كلنا، ولكن قال: (كنتم) في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٠

والثامن: أن سعة دائرة الأمة يحددها مدى التواصل والاتصال الذي تحدده تكنلوجيا العصر، فهناك فرق شاسع بين القديم والحديث في وسائل الاتصال والحركة والسفر، وارتبط بهذا التغير تغير مضطرد في القيم من القيم الأسرية إلى القبلية ثم القومية والعرقية والعالمية، وإلى هذا التدرج في الاتساع كانت الإشارة النبوية في أن كل رسول يبعث إلى قومه وأنه ﷺ بُعث إلى الناس كافة ٠

ويوضح (قطب) أن الرسالة تعني: "النهوض بتكاليف الأمة الخيّرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب، وبكل ما في طريقها من أشواك . . إنه التعرّض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد . . وكل هذا متعب شاق، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته؛ ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة، ولا بد من الإيمان بالله ليوضع الميزان الصحيح للقيم، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر، فإن اصطلاح الجماعة وحده لا يكفي . فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين وتختل، ولا بد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير وللشر، وللفضيلة والرذيلة، وللمعروف والمنكر" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٤٧)، ويعني قول قطب الضرب على أيدي العابثين والمفسدين حتى تنجو السفينة٠

٥- خصائص المجتمع الإسلامي: للمجتمع الإسلامي خصائص وأهمها:

أ- مراعاة العقيدة والأخلاق: فلا وجود للمجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية بدون عقيدة وأخلاق، وهي نابعة من التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، وقد تحدثنا سابقا عن العقيدة والأخلاق بشكل مفصّل، ويقرر (قطب) أنّ: "القاعدة الأساسية لإقامة هذا التصور . . ثم لإقامة سائر القواعد الأخلاقية والنظم الاجتماعية، المنبثقة من هذا التصور . . تصور وحدة الألوهية في هذا الوجود: وإلهكم إله واحد . . لا إله إلا هو . . الرحمن الرحيم، ومن وحدانية

الألوهية التي يؤكدها هذا التأكيد ، بشتى أساليب التوكيد، يتوحد المعبود الذي يتجه إليه الخلق بالعبودية والطاعة، وتتوحد الجهة التي يتلقى منها الخلق قواعد الأخلاق والسلوك، ويتوحد المصدر الذي يتلقى منه الخلق أصول الشرائع والقوانين، ويتوحد المنهج الذي يصرف حياة الخلق في كل طريق، وهنا والسياق يستهدف إعداد الأمة المسلمة لدورها العظيم في الأرض، يعيد ذكر هذه الحقيقة التي تكرر ذكرها مرات ومرات في القرآن المكي ، والتي ظل القرآن يعمق جذورها ويمد في آفاقها حتى تشمل كل جوانب الحس والعقل، وكل جوانب الحياة والوجود . . . يعيد ذكر هذه الحقيقة ليقيم على أساسها سائر التشريعات والتكاليف . . ثم يذكر من صفات الله هنا: الرحمن الرحيم . . فمن رحمته السابغة العميقة الدائمة تنبثق كل التشريعات والتكاليف" (قطب،١٩٨٦،ج١: ١٥٢)

ويعلّق (قطب) على سورة البقرة بقوله: "فأما المادة الأساسية لهذا الجزء، ولبقية السورة، فهي إعطاء الجماعة المسلمة خصائص الأمة المستخلفة، وشخصيتها المستقلة، المستقلة بقبلتها، وبشرائعها المصدقة لشرائع الديانات السماوية قبلها والمهيمنة عليها، وبمنهجها الجامع الشامل المتميز كذلك . . وقبل كل شيء بتصورها الخاص للوجود والحياة، ولحقيقة ارتباطها بربها، ولوظيفتها في الأرض، وما تقتضيه هذه الوظيفة من تكاليف في النفس والمال، وفي الشعور والسلوك، ومن بذل وتضحية، وتهيؤ للطاعة المطلقة للقيادة الإلهية، الممثلة في تعليمات القرآن الكريم، وتوجيهات النبي ﷺ وتلقي ذلك كله بالاستسلام والرضى، وبالثقة واليقين"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٢٣)

ب- الالتزام بمعاني العدالة: وردت آيات كثيرة تدعو للعدل بصورة عامة أو خاصة حتى مع المتخاصمين والأعداء، ومن ذلك: **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**٠(النحل:٩٠)، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** (المائدة: ٨)، ويمكننا القول بأن الإسلام دين العدالة في كل شيء ٠(زيدان، ٢٠٠٠: ١١٠، ١١١)، ويفسر قطب (قطب) الآية بقوله: "فلا يكون الاختلاف في العقيدة سببا في نقض العهود، فالاختلاف له أسبابه المتعلقة بمشيئة الله، والعهد مكفول مهما اختلفت المعتقدات، وهذه قمة في نظافة التعامل، والسماحة الدينية، لم يحققها في واقع الحياة إلا الإسلام في ظل هذا القرآن" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٩٢)

وقد ألف قطب كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) واستخدم هذا المصطلح للتميّز عن مصطلحي الاشتراكية والرأسمالية السائدين عند تأليفه للكتاب، ويحدد قطب أسسا للعدالة الاجتماعية في الإسلام تتمثل في:

١- التحرر الوجداني المطلق: ويقصد به الشعور النفسي الباطني باستحقاق الفرد للعدالة الاجتماعية، وبحاجة الجماعة لها، وبعقيدة في أنها تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى، ولن يستحقها الإنسان بالتشريع مالم يستحقها بالشعور ٠(قطب، ١٩٦٣: ٣٦)

٢- المساواة الإنسانية: إذا استشعر الضمير الإنساني التحرر الوجداني؛ فخلص من كل ظواهر العبودية إلا لله تعالى، وأمن الموت والأذى والذل والفقر إلا بإذن الله، وانفلت من ضغط القيم الاجتماعية والمالية، ونجا من ذل الحاجة والمسألة، وتسامى على شهواته ومطامعه، وتوجه إلى الخالق الواحد الأحد الذي يتوجه له الجميع بلا استثناء ولا استعلاء، ووجد بعد ذلك كله كفايته من ضرورات الحياة مكفولة له بحكم التشريع والنظام ٠٠٠فلن يكون بحاجة لمن يهتف له بالمساواة لفظا وقد استشعرها في أعماقه معنى، ووجدها في حياته واقعا؛ بل لن يصبر على التفاوت القائم على تلك القيم إطلاقا، وسيطلب حقه في المساواة، وسيجاهد لتقرير هذا الحق، وسيحتفظ به حين يناله، ولن يقبل منه بديلا، وسيصبر على تكاليف الاحتفاظ به، والذياد عنه مهما بذل في ذلك من جهد وتضحية ٠(قطب، ١٩٦٣: ٥١)

٣- التكافل الاجتماعي الوثيق: والإسلام يمنح الحرية الفردية في أجمل صورها، والمساواة الإنسانية في أدق معانيها، ولكنها لا يتركها فوضى، فللمجتمع حسابه، وللإنسانية اعتبارها، وللأهداف العليا للدين قيمتها، لذلك يقرر مبدأ التبعية الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها، وهذا ما ندعوه بالتكافل الاجتماعي٠

والإسلام يقرر مبدأ التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله، فهناك التكافل بين الفرد وذاته، وبين الفرد وأسرته القريبة، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة أيضا٠

ويوضح (قطب) ركني العدالة الاجتماعية في الإسلام بقوله: "وعلى هذين الخطين الكبيرين: الوحدة المطلقة المتعادلة المتناسقة، والتكافل العام بين الأفراد والجماعات، يسير الإسلام في تحقيق العدالة، مراعيا العناصر الأساسية في فطرة الإنسانية، غير متجاهل كذلك للطاقة البشرية٠ (قطب، ١٩٦٣: ٢٩)

ج- مجتمع له أصالته وذاتيته الحضارية: وله تراثه الثقافي الضخم، فقد واجه كل التحديات وتصدى لكل المعوقات التي تعرض له عبر الزمان، وهذه الأصالة قامت على أساسين: الإنسانية

والانطلاق الفكري والعلمي، وما تميزا به من موضوعية الدراسة، والقدرة على التجديد والتغيير، واستيعاب كافة المتغيرات، وإنتاج الثقافات وعلوم المجتمعات، والمحافظة عليها والإضافة إليها وصبغها بصبغتها الإسلامية، وبعقلية منفتحة ٠

وقد اعتمدت حضارة هذا المجتمع الإسلامي على القيم الإنسانية، التي تضمن حضارة متجددة ملتزمة بالإنسانية ومبادئها، ولم تكن حضارة مدمرة أو استغلالية، بل كان هدفها الإنسان وراحته وكرامته ٠(أبوالعينين، ١٩٨٧ :٣٦٣)

ويبين (قطب) أن: "هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة . . إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء؛ لإنقاذ "الإنسان" في "الأرض" من العبودية لغير الله، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية، تاركاً "الإنسان"، نوع الإنسان . . في "الأرض" . . كل الأرض . . للشر والفساد والعبودية لغير الله .

إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية، ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام! . . ولكن الإسلام لا يهادنها، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٤٤٢)

د- مجتمع له تنظيماته: لقد كانت مبادئ الإسلام كفيلة بتنظيم هذا المجتمع، سياسيا واقتصاديا وعائليا، وغير ذلك، فهو يبطل الاستغلال ويقدس العمل، ويقدس حق العمل، ويأمر بتوزيع المال، ويعتني بالعجزة والمعوقين، وكذلك كانت هناك التنظيمات الاجتماعية، والعلاقات السياسية وغير ذلك من التنظيمات في هذا المجتمع الذي تتوافر فيه علاقات ومبادئ تتكافأ وتتوافق مع النظرة المتكاملة للإنسان٠(أبو العينين، ١٩٨٧: ٣٦٣)

ويقرر(قطب): "إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا . . فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة . . كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير . . وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة المديدة الظلال المتشابكة الأغصان، الضاربة في الهواء . . لا بد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة، وفي مساحات واسعة؛ تناسب ضخامتها وامتدادها في الهواء . . فكذلك هذا الدين . . إن نظامه يتناول الحياة كلها ؛ ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها؛ وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة؛ ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها؛ ولا في المعاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا . . فهو مؤسسة

ضخمة هائلة شاسعة مترامية . . ولا بد له إذن من جذور وأعماق بهذه السعة والضخامة والعمق والانتشار أيضا"٠(قطب، ١٩٨٧: ١٠٩)

هـ- مجتمع حر: فما دام الكل سواسية أمام الله تعالى، وما دام الجميع عباد لله، فعباد الله المخلصون أحرار، ويستمدون جميعا حريتهم من عبوديتهم لله، وإفراد الألوهية بغير شريك حيث تكون العبودية لله عزة والعبودية لغيره ذلة٠

لذلك أكدت الشريعة الإسلامية على الحرية بمختلف صورها وكرهت أن يستعبد المسلم لغير الله وطالبته أن ينفر دفاعا عن حريته وإلا استحق بتقاعسه العذاب واستبدل الله به خلقا جديدا لأنه لا يستحق نعمة الحرية: **{إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**٠(التوبة:٣٩)(الفوّال، ب.ت: ١١٦)

ويبين(قطب) أنه يتوجب على المسلمين أن يقاتلوا: "لاستنقاذ الضعاف من إخوانهم المسلمين، الذين لا يستطيعون الهجرة من دار الحرب وراية الكفر، وضمهم إلى الجماعة المسلمة في دار الإسلام، كي لا يفتنوا عن دينهم، ولا يستظلوا براية غير راية الإسلام، ولا يخضعوا لنظام غير نظامه، ثم لكي يتمتعوا بالنظام الإسلامي الرفيع، وبالحياة في المجتمع الإسلامي النظيف، وهو حق كل مسلم، والحرمان منه حرمان من أكبر نعم الله في الأرض، ومن أفضل طيبات الحياة: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا، واجعل لنا من لدنك نصيرا"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٥٦٤)

ولو مات الإنسان المسلم ذليلا مفتونا في دينه، وكان باستطاعته الحرية والفرار به، فقد توعده الله بالنار، ويؤكد (قطب) أن الله: "ذم القاعدين عن الهجرة متى فتنوا، وبعد ذلك يتحدث عن فريق من القاعدين، أولئك الذين يظلون قاعدين في دار الكفر لا يهاجرون، تمسك بهم أموالهم ومصالحهم، أو يمسك بهم ضعفهم عن مواجهة متاعب الهجرة وآلام الطريق – وهم قادرون لو أرادوا واعتزموا التضحية – أن يهاجروا . . حتى يحين أجلهم؛ وتأتي الملائكة لتتوفاهم، يتحدث عنهم فيصورهم صورة زرية منكرة؛ تستنهض كل قاعد منهم للفرار بدينه وعقيدته، وبمصيره عند ربه؛ من هذا الموقف الذي يرسمه لهم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٧٤٣)

و- مجتمع مسئول: ويشير(قطب) إلى أن: "المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون، كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا بإرادة حاكم، و لا هوى حاشية، ولا قرابة كبير"(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢١٠)، والمجتمع مسئول عما يحدث لأفراده: "والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صوره –

وأظلم الظلم نبذ شريعة الله ومنهجه للحياة – ولا تقف في وجه الظالمين، ولا تأخذ الطريق على المفسدين . . جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين . . فالإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع [فضلا على أن يروا دين الله لا يتبع، بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها]، وهم ساكتون، ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٤٩٦)

ز– مجتمع إيجابي: فالمسلم الحق إيجابي بطبعه، لا ينتظر ثوابا ولا عقابا إلا من خالقه تبارك وتعالى٠

أما عن واقعية التصور الإسلامي فيشير (قطب) إلى أن: "التصور الإسلامي للألوهية وللوجود الكوني وللحياة وللإنسان، تصور شامل كامل، ولكنه كذلك تصور واقعي إيجابي، وهو يكره ــ بطبيعته ــ أن يتمثل في مجرد تصور ذهني معرفي؛ لأن هذا يخالف طبيعته وغايته . ويجب أن يتمثي أناسي، وفي تنظيم حي، وفي حركة واقعية . . وطريقته في التكون أن ينمو من خلال الأناسي والتنظيم الحي والحركة الواقعية؛ حتى يكتمل نظريا في نفس الوقت الذي يكتمل فيه واقعيا، ولا ينفصل في صورة نظرية، بل يظل ممثلا في الصورة الواقعية"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٢: ١٠١٣)، ويهاجم (قطب) من يشتغلون بالفقه دون الجهاد والتحرك لهذا الدين فيقول: "والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه؛ مهما تفرغوا لدراسته في الكتب – دراسة باردة ! – وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس؛ ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق٠

إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٧٣٥)

٦– مفهوم الوطن والوطنية عند قطب: ويقدم (قطب) تصورا إسلاميا للوطن بقوله: "إن راية المسلم التي ينافح عنها هي عقيدته، ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام فيه شريعة الله فيه، وأرضه التي يدافع عنها هي دار الإسلام التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجا للحياة، وكل تصور آخر للوطن هو شعور غير إسلامي تتضح به الجاهلية" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٧٠٨، ٧٠٩)

وقد أوضح (قطب) قسمات العالَم الإسلامي بأنه يخلو من التعصبات الضيقة: "إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني، رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه،

ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله، وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني كله – في رحاب العقيدة – وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب، وسائر ما يميز إنسانا عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله، المتضمن كيانه نفحة من روح الله .

ودون إقامة هذا العالم تقف عقبات كثيرة – كانت في البيئة العربية وما تزال في العالم كله إلى اليوم – عقبات من التعصب للبيت، والتعصب للعشيرة، والتعصب للقوم، والتعصب للجنس، والتعصب للأرض، كما تقف عقبات أخرى من رغائب النفوس وأهواء القلوب، من الحرص والشح وحب الخير للذات، ومن الكبرياء الذاتية والالتواءات النفسية . . وألوان غيرها كثير من ذوات الصدور"٠(قطب. ١٩٨٦: ٣٥٣٧)

ويوضح (قطب) أيضا تمييزه بين دار الإسلام ودار الحرب: "فدار الإسلام التي يسيطر عليها المسلم بعقيدته ويحكم فيها بشريعة الله وحدها، هي الدار التي يأوي إليها ويدافع عنها ويعمل على رفعتها، وأما دار الحرب فهي كل دار تحاربه في عقيدته وتصده عن دينه وتعطل عمل شريعته التي يؤمن بها ولو كان فيها أهله أوعشيرته وقومه" ٠(قطب،ب.ت: ١٤٣ –١٤٥)

والوطنية عند (قطب): "ليست مجرد ارتباط بقطعة من أرض أو عشيرة أو قرابة دم أو راية قوم وإنما هي راية الإسلام التي نعيش من أجلها ونجاهد في سبيل إعلائها"٠(قطب،ب.ت: ١٤)

ويؤكد البنا اختلاف المفهوم الإسلامي للوطنية عن مفهومها الغربي: "أما وجه الاختلاف بيننا وبينهم، فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وطنيٌ عندنا، له حُرمته وقداسته، وحبه، والإخلاص له، والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا، نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بأحاسيسهم"٠(البنا،١٩٩٢: ٢٠،٢١)

٧– **آثار الاجتماع:** لقيام المجتمع المتكافل في الإسلام آثار منها:

أ– **إرضاء الله تعالى وسير على منهاج النبوة:** فهو امتثال وتمثيل واستجابة لقوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}**(المائدة:٢)، ومصداق لقول عمر بن الخطاب: "إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم"(عبد الرزاق، ١٩٨٢،ج٤: ٥٨)، ويرى الباحث أنه من الأفضل الالتزام بالإجماع حتى في المسائل الفقهية، وإن كان عند البعض يعتبر واجبا ٠

ولما سئل (الشافعي) عن الدليل الذي يستند إليه الأخذ بالإجماع من القرآن الكريم، لزم داره ثلاثة أيام انقطع فيها للتدبر والتفكر، ثم خرج بعدها إلى الناس شاحبا مجهدا متورم العينين من كدّ البحث والنظر، فتلا الآية: **{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ**

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً}(النساء:١١٥)(عبد الرحمن، ١٩٧٣: ٢٢٤)، ويعلق قطب على الآية: **{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**(الأنفال:٤٦)، فيقول: "فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها ! وإنما هو وضع "الذات" في كفة ، والحق في كفة ؛ وترجيح الذات على الحق ابتداء ! . . ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة . . إنه من عمليات "الضبط" التي لا بد منها في المعركة . . إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها . وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلاً . . والمسافة كبيرة كبيرة"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٣: ١٥٢٩)، ويرى الباحث أن لكل شيء حقيقة وصورة واسما، وحقيقة الإسلام هي الجماعة المؤمنة الثابتة على الحق، التي تدور مع الحق أينما كان ولا تخشى في الله لومة لائم، وصورة الإسلام هم المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام بينما يضمرون الكفر، أما اسم الإسلام فهو الجماعات الضالة كالروافض (الشيعة) والبهائية والقاديانية والدروز وغيرهم ٠

ب- تحديد لمعالم الشخصية وصياغتها الصياغة الإسلامية: فلو عاش إنسان في بيداء واسعة دون أن يعتمد على مساعدة مجتمعه، فإنه لابد أن يُقضى عليه سريعا لأنه لن يحيا عاريا، أو جائعا، أو أعزل، أو شريدا فحسب، بل إنه سيفتقر لكل الصفات الذهنية، وكل أنواع المعرفة والمهارات البشرية التي يكتسبها الإنسان من وجوده في المجتمع، ولذلك يختلف الإنسان باختلاف الحضارات؛ لأنه يتصرف وفق القيم السائدة للتصرف الإنساني في المجتمع ٠

وإذا أمكن لإنسان أن يعيش وينشأ بأقل مساعدة ممكنة من الآخرين، فإنه حين يبلغ العشرين يصير إنسانا في الشكل والخلقة فحسب، دون أن تكون له صفات الإنسان العقلية، وهكذا نجده عاجزا عن الكلام، محتاجا إلى العقائد، والآراء التي تنظم وتوجه حياته العقلية، مفتقرا القدرة على استخدام أبسط وأعم الأدوات وأكثرها ضرورة في الحياة، ومفتقرا إلى تلك الخصال والعادات التي تربطه بآداب اللياقة ٠

ولذلك حث النبي ﷺ على التزام جماعة المسلمين واعتبر الخروج عليها كفرا: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ"٠(أبوداود،ب.ت،ج٢: ٦٥٥)

ج- الجماعة تتحدد من خلالها أهداف المجتمع: فليست التربية الاجتماعية تشكيلا للحياة فحسب، بل هي عملية تشكيل للحياة الاجتماعية، وتكيف اجتماعي، وحيث أن للمجتمع مَطالِب فإن التربية الاجتماعية تهيئ الفرد للملاءمة مع هذه المطالب٠

ويضع المجتمع أهداف تربية أفراده من خلال المؤسسات العاملة فيه، والتي أنشأها أفراده لخدمة المجتمع، وحيث أن النظم الاجتماعية تقوم بتحديد الإطار العام للعمليات التي تعدل من سلوك الفرد لكي يكون إنسانا، وهذا التعديل الفعلي لا يكون إلا عن طريق الجماعات ٠

د- الأساس لقيام حزب الله ([٢١]) ومن ثَم الخلافة الإسلامية: فلا وجود لحزب الله ومن ثم دولة الإسلام العالمية (الخلافة) إلا بالجماعة، فاليد الواحدة لاتصفق، ويد الله مع الجماعة، وأصبحت الأمة الآن في أمس الحاجة إلى وجود جماعة إسلامية خاصة بعد ظهور التكتلات الإقليمية والعالمية الشرقية والغربية، وفي معظمها تعادي الإسلام شريعة ومنهاجا٠

ويوضح قطب بأن على المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض: "أن يدركوا طبيعة المعركة، وحقيقة القضية ؛ فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٥: ٢٧٥٧)

هـ- حماية المجتمع ومنعه من الوقوع في الفساد: فقيام الجماعة المؤمنة المتعاضدة المتكافلة قطع للطريق على الجماعات الأخرى من الإفساد في الأرض، فالموالاة بالحق بين المؤمنين واجبة كما يوالي الكفار بعضهم البعض ضد المسلمين لقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}**(الأنفال: ٧٣)، وقد جعل الله الزواجر والعقوبات في الإسلام لحماية المجتمع الإسلامي، وجعل الإسلام درجة غلظ العقوبة بدرجة ما تسببه للمجتمع من أذى، ومثال ذلك قوله تعالى: **{إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**٠(المائدة: ٣٣)، ويفسرها ابن كثير بقوله: "عن ابن عباس في قطاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض"٠(ابن كثير،١٤٠١،ج٢: ٥٢)، ويرى الباحث أنه يتوجب على أولي الأمر الضرب بقوة على أيدي المفسدين والعابثين بأمن المواطن، ممن يقتلون المجاهدين ويقطعون الطرقات، ويرهبون الآمنين، حفظا لكيان الأمة وردعا لمن تسوّل له نفسه محاكاتهم، فدرء المفاسد أفضل من جلب المصالح في الفقه الإسلامي ٠

---

[٢١]- لايقصد الباحث بحزب الله حزب اللات الرافضي في جنوب لبنان ٠

سادسا: المقوم الجمالي

مقدمة:

تشكل نظرية الإسلام في الجماليات بجوانبها الثلاثة: الجمالي التفكـــري، والجمـــالي الإيمـــاني، والجمالي الفني ركنا أساسا في بناء كلي للمعرفة ٠(قلعة جي، ١٩٨٨: ١١٠)

والله هو الجمال الحق وغاية الجمال يقول الغزالي: "واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال ٠٠٠ والله تعالى جميل يحب الجمال ٠٠٠لا خير ولا جمال ولا محبوب في العـــالم إلا وهو حسنة من حسنات الله وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده سواء أدرك هذا الجمـــال بالمعقول أو بالحواس، وجماله تعالى لا يتصور له ثان لا في المكان ولا في الوجود"٠(ريـــان، ١٩٨٩: ٢٢)

والإسلام وضع الجمال في إطاره المحدد له، فلا إفراط ولا تفريط، فإذا جاوز المسلم تخومـــه إلى تخوم أخرى كان ذميما، وهذا الاعتدال نابع من وسطية الإسلام التـــي هـــي مـــن أخـــص خصائصه ٠

والجمال نلمسه ونراه وندركه في كل شيء، في أنفسنا، ومن حولنا، فـــي الألـــوان والأشـــكال والأصوات والحركات، وهو يتعلق بالأشياء الخيِّرة، ولا علاقة له بالشر، فالجمال خير ولـــيس شرا؛ لأن الجميل اسم من أسماء الله الحسنى ٠

"والجمال لا يقتصر على ما تطمئن إليه العين من تناسق الأشكال والألوان، ولا ما تستعذبه الأذن من تناغم الأصوات، ولا ما يطيب للأنف من شذى وعطر، ولا ما يستسيغه الذوق مـــن طعـــم ومذاق، بل إنه فوق كل ذلك .. فالمحبة جمال والصدق جمال والعفة جمال والطهـــارة أســـمى أنواع الجمال ومثلها الأمانة والجود والتسامح واللطف والمروءة والشهامة" ٠(المومني،١٩٩٨: ١٩) "والجمال والإبداع يبدوان ملازمين لكل شيء في الكون: السحب، السماء الزرقاء، النجوم ذات الألوان وانتثارها وانتظامها وحركاتها وهندستها ٠٠٠"٠(حوى، ١٩٧٢: ٨٦)

ولكل إنسان القدرة على تذوق الجمال بدرجات متفاوتة حسب قدرات الفـــرد واســـتعداداته، والله سبحانه وتعالى حبا الإنسان بنعمتي الحرية والاختيار اللتين تسهمان بشكل كبير في تنمية موهبة الحس الجمالي عنده، وتجعلان منه فنانا، ومتذوقا، وناقدا لكل ما يقع في متناول إدراكه٠

ولمّا كان الإنسان حرا مختارا، لذلك يختار ما يروقه في محيط حياته ابتداء من مسكنه وملبـــسه ومأكله، وانتهاء باتجاهات فكره، فالجمال لا يقف عند حدود المادة الجامدة، بل يتخطاه إلى عالم الفكر؛ لكي يؤدي دوره في اختيار أجمل الطرق والمسالك، من مسارات الفكر والفـــن والأدب٠ (أحمد،١٩٩٢: ٨٥)

والإنسان في التصور الإسلامي مخلوق يجمع في طبيعته بين المادية المتعطشة للمحسوسات، وللروحانية المتشوقة إلى الجماليات، ويرجع ذلك إلى أصل خلقته من طين الأرض وللسر الإلهي الذي أودعه الله فيه: **{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ{٧٢}}**٠(ص: ٧١ –٧٢)(خلف الله،١٩٩٢: ٣٧)

وهذا التصور هو أشمل تصور عرفته البشرية لأنه يعمل على تكامل شخصية الإنسان بشقيها المادي والمعنوي٠

والمسلم أمام كونين: كون مشاهد، وكون مسموع مقروء وهو القرآن الكريم المليء بالإعجاز الفني ٠(أبوالعينين،١٩٨٥: ٩٢)

وقد استطاع القرآن الكريم بإعجازه المدهش أن يبهر قلوب وعقول الناس حتى من غير الناطقين بالعربية، ومما يذكره (قطب) عن ذلك قصة المرأة اليوغسلافية النصرانية التي كانت مسافرة إلى أمريكا في الباخرة، والتي قَدِمت لسيد وأبدت تأثرها العميق بكلام الخطيب، وقراءة الإمام ــ سيد ــ لآيات القرآن٠(قطب، ب.ت: ٢٣ ،٢٤)

والإنسانية دائما في حاجة إلى الجمال لقوله ﷺ: "مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ"٠(ابن الحجاج، ب.ت،ج٤: ١٧٩٠)، وجمال الخَلق جميعا تجسد في جمال النبي ﷺ وحسنه٠(خميس، ١٩٦٧: ٣٦)

والاستمتاع بكل ما هو جميل في الطبيعة لهو من أنجح الوسائل للارتقاء بالجانب الروحي في الإنسان، فالجمال بمعناه الواسع([٢٢]) تغذية للوجدان٠

"وإذا كان الإسلام قد دعا إلى الإحساس بالجمال وتذوقه وحبه، فإنه قد شرع التعبير عن هذا الإحساس والتذوق والحب بما هو جميل أيضا"٠(القرضاوي، ١٩٩٥: ٢٤)

ولا يقتصر الجمال على تذوق وإدراك ما هو جميل ومحاكاته، بل يتعداه إلى الابتكار والإبداع الجمالي، وتهدف التربية الجمالية إلى إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس، ويحدث ذلك عن طريق تقديرنا للجمال، وإنتاجنا لهذا الجمال، أي الابتكار٠(بكر،١٩٨٣: ٢٤٣)

ولا يسع المسلم إلا أن يكون جميلا في كل شيء، في تفكيره وقوله وفعله؛ فيرى الجمال في كل شيء من حوله كما قال أبو ماضي: (جبر،١٩٩٢: ١٠٠ ،١٠١)

والذي يرى نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا
أيها الشـــــاكي وما بك داء كن جميلا تر الوجـــود جميلا

---

[٢٢]- **الحسي والمعنوي ٠**

١- **معنى الجمال:** الجمال لغة من (جَمُل) قال سيبويه: الجمال رقة الحس، والأصل(جَمُله) بالهاء، ولكنهم حذفوا الهاء تخفيفا لكثرة الاستعمال، وتجمّل تجملا: بمعنى تزين وتحسن إذا اجتلب البهاء والإضاءة٠(الفيومي،ب.ت،ج١: ١١٠)، و"الجمال: الحُسْن"٠ (الرازي، ١٩٩٤،ج١: ١١٩)، والجمال: مصدر الجميل، والجمال: البهاء والحسن يوصف به الحسي والمعنوي لقوله تعالى: **{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}**٠(النحل:٦)، فالجمال المعنوي بالفخر والزينة، والجمال الحسي بجمال مناظر الخيل والأنعام٠(عبد الفتاح،١٩٨٣: ١٢٨) والجمال يكون في الفعل والخلق، قال ابن الأثير: الجمال يقع على الصور والمعاني، ومنه الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال" أي حسن الأفعال كامل الأوصاف٠(ابن منظور،ب.ت،ج١١: ١٢٣)

"والأشياء الجميلة هي كل ما يسر العين ويسري في النفس إحساسا بالراحة والمتعة، سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات"٠(بكر،١٩٨٣: ٢٤٢)

ويجب التفريق هنا بين مصطلحين قد يشتبهان في معناهما، وهما الحسن والجمال، فالحسن: هو الجمال الذي يدعو إلى قبول الشيء والرغبة فيه حسيا أو معنويا، وحَسُن الشيء صار حسنا جميلا، قال تعالى: وحسن أولئك رفيقا٠(عبد الفتاح، ١٩٨٣: ١٥٤)

ويوضح (العسكري) الفرق بين الكلمتين فيقول: "والحسن في الأصل للصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة٠(العسكري، ١٩٠٤: ٣١)

أما الجمال اصطلاحا فهو: "علاقة أو ميل بيننا وبين الأشياء التي تستحوذ على مشاعرنا بما يوجد فيها من سمات جمالية تؤدي بنا إلى إصدار حكمنا عليها بالجمال"٠(سالم،ب.ت: ٤١)

٢- **أهمية الجمال:** للجمال الفني بأشكاله وألوانه وصوره المختلفة أهمية للفرد والمجتمع، فهو وسيلة للتسلية والترويح عن النفس، خاصة بعد وطأة الأعمال اليومية ومشاقها، فيقوم الجمال الفني بتجديد النشاط الإنساني، ويوضح (قطب) أن الجمال يعطي الإنسان طاقة روحية وجسمية: "ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول ﷺ بينهم ، يضرب بالفأس، ويجرف بالمِسْحاة، ويحمل في المكتل، ويرَجَّع معهم هذا الغناء، ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم، وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضا والحماسة والثقة والاعتزاز"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٥: ٢٨٤٢)

كما يُوجِد تيارات عارمة من المشاركات الوجدانية ويؤدي بذلك إلى الوحدة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي عن طريق الناظرين والمستمعين والمتذوقين والمعجبين، وللفن وظيفة تربوية في

ترقية المشاعر والأحاسيس، والجمال الفني يحفظ لنا الكثير من الآثار الفنية كالمساجد والقصور والمدارس والأسوار والقلاع والأواني والعملات والزخارف والقصائد والخطب والأناشيد وغيرها، ويساعد الجمال الفني في التكتل لمواجهة الأعداء عن طريق الخطب الحماسية والأناشيد القوية الأداء، ويَستخدِم الدينُ الجمالَ الفني في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله وتعريف الناس بالإسلام وشحذ الهمم وغيرها٠

٣- سمات الجمال في التصور الإسلامي: فالجمال في التصور الإسلامي سمة بارزة من سمات هذا الوجود إن لم تكن أبرز سماته، والحسُّ البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة وعند أول لقاء، كما أن له سمات ومظاهر تميزه٠(قطب،١٩٨٣: ٨٧)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه السمات ليست خاصة بالجمال، بل هي سمات يمكن الاستفادة منها في كل المجالات، وهي:

١- السلامة من العيوب: **{قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}**٠(البقرة:٦٩)، والناظرون تشمل كل ناظر إلى البقرة، فلو لم يكن الجمال قائما موجودا فيها لما كان السرورعاما يتناول كل من رآها، ثم تصف الآية بعد ذلك البقرة بأنها خالية من العيوب: **{مُسلَّمة لا شِيَة فيها}**٠(البقرة: ٧١)، وقال القرطبي: "مسلمة من العرج وسائر العيوب"٠ (القرطبي،١٩٨٨: ٤٩٠)(خلف الله،١٩٩٢: ٤٤)، ويقرر (قطب): "وهي بعد هذا وذلك ليست هزيلة ولا شوهاء: تسر الناظرين . . وسرور الناظرين لا يتم إلا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط والتماع في تلك البقرة المطلوبة، فهذا هو الشائع في طباع الناس: أن يعجبوا بالحيوية والاستواء ويسروا، وأن ينفروا من الهزال والتشويه ويشمئزوا"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٧٩)

٢- القصد: وتعني هذه السمة نفي العبث عن الموضوع الجمالي، والسلامة من العبث تعني وجود باعث وغاية للموضوع الجمالي٠(الشامي،١٩٨٦: ٢٢٦)، والعبث أمر يرفضه الإسلام كما يرفضه الجمال؛ لأن الجمال تناسق وتوازن وأحكام لقوله تعالى: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}**٠(الأنبياء:١٦)، وفي آية أخرى يربط الله تعالى بين خلق السموات والأرض وخلق الإنسان في صورته الحسنة: **{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}**٠(التغابن: ٣)، فجعل الله خلق كل ذلك بالحق، وجعل الجزاء الأخروي جزءا من الحق، ويوضح (قطب): "إن عنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه، ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها، هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح، ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح، لتنشأ الثمار، وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها! . .

والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب الجنس الآخر إليه، لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان، وهكذا تتم الوظيفة عن طريق الجمال .

إن الله عزيز غفور . . عزيز قادر على الإبداع وعلى الجزاء، غفور يتدارك بمغفرته من يقصرون في خشيته، وهم يرون بدائع صنعته" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٩٤٣)، ويضيف أيضا: "والواقع أن تدبر ما في خلق السماوات والأرض من دقة وحكمة وقصد ظاهر وتنسيق ملحوظ، وخلق كل شيء بمقدار لا يزيد ولا ينقص عن تحقيق الغاية من خلقه، وتحقيق تناسقه مع كل شيء وحوله، وظهور القصد في خلق كل شيء بالقدر والشكل الذي خلق به، وانتفاء المصادفة والبعث في أي جانب صغر أو كبر في تصميم هذه الخلائق الهائلة وما فيها من خلائق دقيقة لطيفة .

الواقع أن تدبر هذا كله يوقع في النفس أن لهذا الخلق غاية فلا عبث فيه، وأنه قائم على الحق فلا باطل فيه وأن له نهاية لم تأت بعد، ولا تجيء بالموت، بعد هذه الرحلة القصيرة على هذا الكوكب، وأن أمر الآخرة، وأمر الجزاء فيها حتم لا بد منه من الناحية المنطقية البحتة لهذا التصميم المقصود في بناء هذه الحياة وهذا الوجود، حتى تتحقق به النهاية الطبيعية للصلاح والفساد في هذه الحياة الدنيا"٠(قطب،١٩٨٦: ٣٢١٦)

ولقد عاب نبي الله هود على قومه صناعة الأعمدة العالية لمجرد العبث والتفاخر بالقوة، ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "والريع المرتفع من الأرض، والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة، ومن ثم سماه عبثا، ولو كان لهداية المارة، ومعرفة الاتجاه ما قال لهم:"تعبثون" . . فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٦٠٩)

وسمة القصد ظاهرة جلية في هذا الكون يستطيع رؤيتها والإحساس بها ذو الحس المرهف والرؤية الصادقة التي تتجاوز الأشياء إلى ما وراءها، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ{١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{١٩١}}**(آل عمران: ١٩٠ ،١٩١)، والجمال من الغايات المقصودة في خلق الكون، فليست الضخامة والدقة وحدهما هما أساس قيامه، بل الجمال المتناسق والزينة التي تنظم أفراده من المقاصد التي قام عليها٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٣٣)

٣- التناسق: وهو نظام يربط الأشياء بعضها ببعض فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة، والتناسق ليس سمة للجمال فقط، بل هو سمة واضحة في بناء الكون كله، وقد تحدّث القرآن الكريم عن

التناسق في كثير من آياته: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً}**(الفرقان:٤٥)، ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "فبناء الكون المنظور على هذا النسق، وتنسيق المجموعة الشمسية هذا التنسيق هو الذي جعل الظل متحركا هذه الحركة اللطيفة، ولو اختلف ذلك النسق أقل اختلاف لاختلفت آثاره في الظل الذي نراه، لو كانت الأرض ثابتة لسكن الظل فوقها لا يمتد ولا يقبض، ولو كانت سرعتها أبطأ أو أسرع مما هي عليه لكان الظل في امتداده وقبضه أبطأ أو أسرع، فتنسيق الكون المنظور على ناموسه هذا هو الذي يسمح بظاهرة الظل، ويمنحها خواصها التي نراها، وهذا التوجيه إلى تلك الظاهرة التي نراها كل يوم، ونمر بها غافلين، هو طرف من منهج القرآن في استحياء الكون دائما في ضمائرنا ، وفي إحياء شعورنا بالكون من حولنا، وفي تحريك خوامد إحساسنا التي افقدها طول الألفة إيقاع المشاهد الكونية العجيبة ، وطرف من ربط العقول والقلوب بهذا الكون الهائل العجيب"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٥٦٩)

والتناسق الذي نراه في بناء الكون لا يقف عند حدود الدقة والنظام والضبط ولكن التناسق والتوافق فيه يتجهان إلى الكمال والجمال والحسن والزينة٠(خلف الله،١٩٩٢: ٤٦)

٤- التنوع: ويعتبر التنوع من أهم العوامل المؤثرة في شعور المتذوق باللذة، والتنوع ضد المماثلة التي تشعرنا بالملل، فاختلاف ألوان الثمار والأزهار يدخل على أنفسنا البهجة والسرور، ولكن هذا التنوع لا يعد نوعا من التنوع العشوائي إذ أنه يجب أن يخضع لتخطيط معين، ويقول الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**٠(الأنعام:٩٩)، ويبين (قطب) بأن: "تملّي الأحياء، وهي بهذا التنوع في الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع ، والشيات والألوان، وهي خارجة من أصل واحد، ليوحي بالتدبير المقصود، والمشيئة العامدة، وينفي فكرة الفلتة والمصادفة، وإلا فأي فلتة تلك التي تتضمن كل هذا التدبير، وأية مصادفة تلك التي تتضمن كل هذا التقدير؟ إنما هو صنع الله العزيز الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٤٢٥)

٤- مصادر التربية الجمالية في الإسلام: للتربية الجمالية في الإسلام مصادر أهمها:

أ- القرآن الكريم: ويتمثل الجمال في القرآن الكريم من خلال:

١- التصوير الفني: فالقرآن الكريم يمتلئ بالصور التي لونتها الألفاظ في تكوين تعجز عنه ريشة الفنان وعدسة المصور، وعبّر(قطب) عن ذلك بقوله: "فالتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن

الحادث المحسوس والمشهد المنظور – وعن النموذج والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيأة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"٠(قطب،١٩٨٦: ٣٤)

وهذه الصورة الساحرة التي لم تخل منها سورة من سور القرآن الكريم لا بد أن تكون قاعدة وأساسا للتربية الجمالية يقف أمامها المسلم ليتذوقها ويتدبر ما فيها من مشاهد فترهف حسه وتهذب انفعالاته؛ لأن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن وليس حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفق، وإنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة وطريقة معينة تستخدم بطرائق شتى وفي أوضاع مختلفة"٠(قطب،ب،ت:٣٠)، ويستخدم هذا التصوير الفني لتربية المسلم جماليا، وهو تصوير باللون، والحركة والإيقاع، ومن الأمثلة:

– المعاني الذهنية التي خرجت في صورة حسية٠

– وكما يصور القرآن الكريم المعاني المجردة، يصور الحالات النفسية (قطب، ب،ت: ٣٤)

– وهناك مشهد من مشاهد الطبيعة الصامتة الخالدة يلفت النظر دليلا على قدرة الله٠(قطب،ب.ت: ٥٢)

– ومنه تجسيم المعنويات المجردة٠(قطب،ب.ت: ٥٧ ،٥٨)، ومنه قول (قطب): "بلى! من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون، ولا بد أن نقف قليلا أمام ذلك التصوير الفني المعجز لحالة معنوية خاصة، وأمام هذا الحكم الإلهي الجازم نكشف عن شيء من أسبابه وأسراره: بلى! من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته . . الخطيئة كسب؟ إن المعنى الذهني المقصود هو اجتراح الخطيئة، ولكن التعبير يوميء إلى حالة نفسية معروفة . . إن الذي يجترح الخطيئة إنما يجترحها عادة وهو يلتذها ويستسيغها، ويحسبها كسبا له – على معنى من المعاني – ولو أنها كانت كريهة في حسه ما اجترحها، ولو كان يحس أنها خسارة ما أقدم عليها متحمسا، وما تركها تملأ عليه نفسه، وتحيط بعالمه ؛ لأنه خليق لو كرهها وأحس ما فيها من خسارة أن يهرب من ظلها – حتى لو اندفع لارتكابها – وأن يستغفر منها، ويلوذ إلى كنف غير كنفها . وفي هذه الحالة لا تحيط به ، ولا تملأ عليه عالمه ، ولا تغلق عليه منافذ التوبة والتكفير" (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٨٦)

– ومنه التناسق الذي يبلغ الذروة في تصوير القرآن، ومنه التنسيق في تأليف العبارات بتخير الألفاظ، ومنه ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ في تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومنه التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض، وغير ذلك من المشاهد والصور القرآنية التي تؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه القرآن من الصور والمشاهد ٠(قطب،ب.ت:٦٨ –٧٠)

ب– القصص القرآني: ذكرت القصة في القرآن الكريم لتحقيق عددا من الأغراض الدينية (٢٣) لكن خضوع القصة للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، والقرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية٠(أحمد،١٩٩٢: ١١١)

ج– الجمال في الكون: يعرض لنا القرآن الكريم ومشاهده في صورة جمالية رائعة أخاذه يتملاها الحس والشعور والوجدان فيحلق إلى آفاق هذا الوجدان الرائع: **{إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}**٠(الأنعام:٩٥)، ويؤكد أيضا بأن: "تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفن من البشر، وأن تموج الألوان وتداخل الخطوط وتنظيم الورقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن القديم والحديث".(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٢٦٥٦)

د– توجيهات الرسول ﷺ: وحيث أن السنة هي ما ورد أو أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية، فقد تجسد ذلك فيما يأتي:

١– الجمال النبوي: أُعطي الرسول ﷺ الحسن كله، ولكن هذا الجمال النبوي متوج بأمرين عظيمين: الأول: الهيبة الجلالية، والثاني: النور الضيائي، ولذلك لم يفتتن به من يراه بخلاف يوسف، فإنه مع كونه أُعطي نصف الحسن إلا أنه لما رأته النسوة قطعن أيديهن: **{وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ}**٠(يوسف:٣) ٠(الحسني، ١٩٧٩: ٢١)

٢– توجيهات الرسول ﷺ: فالنظافة أولى سمات الجمال .. فالمسلم في اتباعه لقواعد الطهارة الإسلامية بعد كلٍّ تخلص من الفضلات، إلى جانب الوضوء والاغتسال يجعل رائحتة زكية ولو لم يستخدم الروائح الطيبة٠

والجمال متعلق بالطهارة، وهي نوعان: حسية ومعنوية، فالحسية ما تتعلق بجسد ولباس وطعام وشراب المسلم، والمعنوية ما تتعلق بقلبه وفكره ٠

٢٣- للتعرف على الأغراض الدينية للقصة وخصائصها الفنية بتوسع راجع أسلوب القصة في الفصل الرابع ٠

فالزينة والعبادة تتفقان ولا تفترقان، بل تُحب الزينة في محراب العبادة٠(بكـــر،١٩٨٣: ٢٣٨)، ويعلق (قطب) على قوله تعالى: **{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ{١٦} وَحَفِظْنَاهَا مِن كُـلِّ شَيْطَانٍ رَّجِـيمٍ{١٧}}**٠(الحجر: ١٦ ،١٧)، فيقول: "ومع الزينة الحفظ والطهارة: وحفظناها من كل شيطان رجيم . . لا ينالها ولا يدنسها، ولا ينفث فيها من شره ورجسه وغوايتـــه، فالـــشيطان موكل بهذه الأرض وحدها، وبالغاوين من أبناء آدم فيها، أما الـــسماء – وهـــي رمـــز للـــسمو والارتفاع – فهو مطرود عنها مطارد لا ينالها ولا يدنسها، إلا محاولة منه ترد كلما حاولها: إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٣٣)

هـــ- الإمكانات الجمالية في الإنسان: فالشخص الذي يكتسب ثروته بلا حاسة جمالية شـــخص ثري، ولكنه شخص مبتذل، والشيء الوحيد الذي لا يستطيع شراءه هـــو الإحـــساس الغريـــزي بالجمال ٠ (البسيوني،١٩٨٦: ١١٩)

والطبيعة حافلة بمظاهر الجمال المختلفة في كل شيء، ولذلك يتوجب تعليم الصغار إدراك هـــذه الطبيعة، ويختلف إدراك الصغار عن إدراك الكبار لها، وكلما اتسعت دائرة تعليم الفـــرد كلمـــا تمكن من اكتساب حصيلة أكبر من الخبرات، وهذا بدوره يمكنه مـــن إدراك الطبيعـــة بـــشكل أعمق٠(أحمد، ١٩٩٢: ١١٨)

واعتماد الإنسان على حواسه في إدراك الطبيعة قد لا يمكِّنه إلاّ من رؤيـــة جانبهـــا الـــسطحي المباشر الذي تألفه الحواس، وباختراع وسائل التصوير والسمع المتطورة استطاع الإنـــسان أن يسجل الصور تحت الماء وفوق القمر، بما يفوق قدرة الإنسان وحواسه، حتى أشـــعة (إكـــس) اخترقت الظاهر لتكشف عن الباطن ٠(البسيوني،١٩٨٦: ٩٢)

وإيمانا بقدرة هذا الإنسان على الإدراك والتأمل، وردت في القرآن الكريم آيات بينات تـــذكر الإنسان بقدرة الخالق في بناء الكون وخلق الطبيعة: **{أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا{٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{٢٩} وَالْـأَرْضَ بَعْـدَ ذَلِـكَ دَحَاهَـا{٣٠} أَخْـرَجَ مِنْهَـا مَاءهَـا وَمَرْعَاهَا{٣١} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا{٣٢} مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ{٣٣}}**٠(النازعات: ٢٧ –٣٣)

والجمال لا يقتصر على الظاهر فقط، بل يشمل الباطن أيضا، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: "لا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا وَرَأْسِي دَهِينًا وَشِـــرَاكُ نَعْلِـــي جَدِيدًا وَذَكَرَ أَشْيَاءَ حَتَّى ذَكَرَ عُلَاقَةَ سَوْطِهِ أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا ذَاكَ الْجَمَـــالُ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَازْدَرَى النَّاسَ"٠(ابـــن حنبـــل، ٢٠٠٦،ج٣: ٤٤٥)، فالجمال الخارجي لا يغني عن الجمال الداخلي، بل هو مكمل ومتمم له، ويكون الجمال الحقيقي بانعكاس صلاح المظهر على جمال المخبر ٠

٥- ضوابط التربية الجمالية في الإسلام: يعتبر الفن الإسلامي الهادف للجمال والمقيد بسلطة الدين هو المظهر الدقيق للتربية الجمالية في الإسلام٠(المرصفي، ١٩٩٢: ٢٣٥) **وللتربية** الجمالية في الإسلام ضوابط تتسامى بها إلى المستوى العالمي الذي يجعلها رسالة جمالية خالدة وخاتمة، وهي:

أ- الحلال والحرام ٠(عباس،١٩٨٧: ٦٥)

فالمنع لم يكن قائما كأمر ديني مرتبط بموقف النبي ﷺ من التصوير، إنما هو في الحقيقة دعوة إلى تثبيت التقاليد المتبعة، وهذا معنى قول النبي ﷺ: "لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ"٠(ابن الحجاج،ب.ت،ج٣: ١٦٧٢)(أبو العينين،١٩٨٥: ١٠)، ويوضح (قطب) سرّ التحريم للخمر والأنصاب وغيرها: "يجيء النص القاطع الأخير في تحريم الخمر والميسر مقرونين إلى تحريم الأنصاب والأزلام، أي إلى الشرك بالله ٠٠٠ لقد كانت الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من معالم الحياة الجاهلية، ومن التقاليد المتغلغلة في المجتمع الجاهلي، وكانت كلها حزمة واحدة ذات ارتباط عميق في مزاولتها، وفي كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليده . . فلقد كانوا يشربون الخمر في إسراف، ويجعلونها من المفاخر التي يتسابقون في مجالسها ويتكاثرون، ويديرون عليها فخرهم في الشعر ومدحهم كذلك! وكان يصاحب مجالس الشراب نحر الذبائح واتخاذ الشواء منها للشاربين وللسقاة ولأحلاس هذه المجالس ومن يلوذون بها ويلتفون حولها!، وكانت هذه الذبائح تنحر على الأنصاب وهي أصنام لهم كانوا يذبحون عليها ذبائحهم وينضحونها بدمها [كما كانت تذبح عليها الذبائح التي تقدم للآلهة أي لكهنتها!] . .

ولم يبدأ المنهج الإسلامي في معالجة هذه التقاليد في أول الأمر، لأنها إنما تقوم على جذور اعتقادية فاسدة، فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الغاثرة جهد ضائع، حاشا للمنهج الرباني أن يفعله! إنما بدأ الإسلام من عقدة النفس البشرية الأولى، عقدة العقيدة، بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذورة، وإقامة التصور الأسلامي الصحيح، إقامته من أعماق القاعدة المرتكزة إلى الفطرة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٩٧٣)

ولذلك اتجه المسلمون في بداية عهدهم بالإسلام إلى تحريم فن عمل التماثيل والتصاوير خشية الارتداد إلى الجاهلية وتذكر عبادة الأصنام، ولأن الصور المنقولة من الطبيعة تمثل تقليدا أو محاكاة لله في خلقه، كما أنه من الجائز أن تستخدم هذه الرسوم والتماثيل في التعرف إلى الخالق أو التبرك بها أو استعمالها عند تقديم البخور والصلوات٠ (أحمد:١٩٩٢: ١٢٢)

وقد وضع النبي ﷺ معايير وضوابط للجمال تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم حتى يمكن تربية المسلم على حب الجمال والإحساس به دون أن يكون جمالا زائفا، يتمثل في جمال الثياب مثلاً

والتكبر بها والتعالي على الناس، فكثرة الأنصاب والتماثيل في المعابد والبِيع ليست بالنموذج الصالح للأديان في الهداية إلى معاني الجمال والحض على الفنون الجميلة، وهي في جملتها لا تخلو من العبادات البشعة والشعائر القبيحة والعقائد التي لا تجتمع والجمال في وقت واحد٠(خليل، ١٩٨٢: ٦٤)

ومن ذلك الغناء أيضا، وقد اختلف علماء الأمة في حكم الغناء، والإجماع على تحريمه للنساء، وللرجال بشروط، ولكن بعض قدامى العلماء كابن حزم الأندلسي، ومن المحدثين كمحمد عبده والقرضاوي اللذين يجيزونه بشروط، وقد وضع (القرضاوي) ضوابط للغناء تتمثل في:

١- ألا يختلف مع أدب الإسلام وتعاليمه: كالتغني بالخمر، أوالتشكيك بأصول الدين، أوالدعوة للاستهتار واللامبالاة ٠

٢- أن تكون طريقة الأداء مقبولة: وذلك بعدم التكسر والتغنج والإثارة والتهييج العاطفي٠

٣- ألا يقترن الغناء بشيء محرم: كشرب الخمر أو التبرج أو الاختلاط ٠

٤- عدم الإسراف فيه: فالدنيا ليست عاطفة فقط٠(القرضاوي،١٩٩٥ :٦٦ -٧١)، ومما أورده (قطب) عن إنشاد النبي ﷺ مع صحابته الكرام قوله: "خرج رسول الله ﷺ يعمل في الخندق مع المسلمين يضرب بالفأس، يجرف التراب بالمسحاة، ويحمل التراب في المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع! وقد كانوا يتغنون بأغان ساذجة من وحي الحوادث الجارية: كان هناك رجل من المسلمين اسمه جعيل فَكَره رسول الله ﷺ اسمه وسماه عمرا، فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج:

سماه من بعد جُعيل عَمْرا وكان للبائس يوما ظهرا

فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة "عمرو"، قال رسول الله ﷺ: عمرا، وإذا مروا بكملة "ظهر" قال رسول الله ﷺ: ظهرا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٨٤٢)

ب- الالتزام الخُلقي: فالصلة بين الجمال والأخلاق لازالت من أهم القضايا التي تثير الجدل في عصرنا، ومدى العلاقة بين المضمون الفني وقواعد السلوك الأخلاقي ٠(أحمد،١٩٩٢: ١٢٣)

ج- الجمال والمنفعة: فجمال المخلوق مرهون بمعرفتنا لحكمة وجوده، فظهور الجمال هنا من خلال حرية الأعضاء وارتباطها بوظيفتها والحكمة من وجودها٠(أحمد،١٩٩٢: ١٢٥) ويؤكد (قطب) بأن: "هذه هي قاعدة الأخلاق في الإسلام . . إنها ليست قاعدة المنفعة والمصلحة، وليست قاعدة الاصطلاح والعرف المتغيرين أبداً . . إنها قاعدة العبادة للّه وتقواه، فالمسلم يتخلق بما يحبه الله منه ويرضاه له، وهو يخشى الله في هذا ويتطلب رضاه، ومن هنا سلطان الأخلاق في الإسلام، كما أنه من هنا مبعثها الوجداني الأصيل . . ثم هي في الطريق تحقق منافع العباد،

وتؤمن مصالحهم ، وتنشيء مجتمعا تقل فيه الاحتكاكات والتناقضات إلى أقصى حد ممكن، وترتفع بالنفس البشرية صعدا في الطريق الصاعد إلى الله"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٦٠١)

د- الجمال والحرية: أن روعة الجمال الطبيعي آتية من ناحية الحرية في الطبيعة، وحرية الطبيعة هي قانونها العام . . لاتقوم عظمتها إلا به، ولا تتجلى فخامتها إلا فيه. . وحرية الجمال كما يقول العقاد مقرونة بالوزن والقانون، ذلك بأن الحرية بغير قانون هي الفوضى بعينها، أو هي ليست بحرية على الإطلاق لأن الحُر هو صاحب اختيار ومشيئة، وإنما يتبين لك مقدار حريتك إذا عملت بين الأوزان والقوانين([٢٤])٠(السخاوي،١٩٨٨: ٢٢)

والكون من حولنا يشهد بذلك الإبداع الإلهي المنظم والمتناسق، وقد أعطانا الله تعالى وسائل حسية ومعنوية للإحساس وللفهم والإدراك والتدبر، وكلما أرهفنا حسنا زادت معرفتنا وتطلعت للخير والحق والجمال ٠ (السخاوي،١٩٨٨: ٢٢)

٦- خصائص ومعايير الفن الإسلامي: فهناك معايير وخصائص أثرت في الفن الإسلامي وأعطته طابعه المميز وشخصيته الفريدة، ومنها:

أ- كراهية تصوير الكائنات الحية: حرم الإسلام تصوير ذوات الروح من الكائنات بقصد إبعاد المسلمين عن عبادة الأصنام، والتي كانت سائدة عند كثير من القبائل العربية٠(المرصفي،١٩٩٢: ٢٣٧)، وقد حدد (القرضاوي) المحرّمات من المصورّات في:

١- تصوير ما يعظم ويقدس: وهذا التعظيم يتفاوت حتى يصل إلى التقديس، بل العبادة، وتاريخ الوثنيات يدل على أنها بدأت بالتصوير للتذكرة وانتهت بالتقديس والعبادة٠

٢- تصوير ما يعتبر من شعائر دين آخر: كالصلبان عند النصارى، وقد أورد البخاري: "أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه"٠

٣- المضاهاة بخلق الله: بدعوى أنه يخلق ويبدع كما يخلق الله سبحانه وتعالى٠

٤- دخول الصور في مظاهر الترف٠(القرضاوي، ١٩٩٥: ٩٣ -١٠٠)

ب- مخالفة الطبيعة: وهي تأكيد لمدلول اللامحاكاة، وهو الاتجاه الذي كان سائدا في الأقاليم العربية قبل الإسلام٠(الألفي،ب.ت: ٩٢)

ج- تحويل الخسيس إلى نفيس٠(زين العابدين،١٩٩٣: ١٢)

د- التنوع والوحدة: ويظهر هذا في التناظر الموجود بين الأدب العربي والموسيقى وبين الفن التشكيلي، ففي الأدب تتضمن العقيدة مشاهد متعددة وصور متقابلة، وقد لا تتكون هناك صورا موضوعية بين أجزائها، ومع ذلك فإنها في النهاية تتسق أجزاؤها في وحدة فنية كلية تثير فنيا

---

[٢٤]- **أي أن العقاد يربط بين الجمال والحرية المتصفة دائما بالتعقل والتوازن والتنظيم الدقيق ٠**

إحساسا جماليا وتذوقيا لهذا اللون الفني الذي لا يستسيغه الذوق الغربي، ومن أمثلة ذلك مقامات الحريري٠(الألفي،ب.ت: ٩٩ ،١٠٠)

هـ- إبداع الفن الإسلامي نتائج للصور الجمالية في القرآن والسنة: كقوله تعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**(النور:٣٥)، وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}**٠(إبراهيم:٢٤)

و- الخط ومقاييسه الجمالية نبعت من القرآن الكريم: يرتبط الخط أساسا بالقرآن الكريم، وكانت العناية به تجويدا في النطق، وتجويدا في الكتابة وتطبيقا في الحياة٠ (المرصفي،١٩٩٢: ٢٣٩)

ز- الصور الجمالية في النباتات استوحاها الفنان المسلم من آيات القرآن: إذا كان القرآن الكريم قد أكثر من الآيات التي تتحدث عن النباتات بشتى أشكالها ومنها نباتات الجنة كقوله تعالى: **{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً}**٠(الإنسان:١٤)، فإن هذا جعل الفنان المسلم ينطلق في الحياة النباتية يحمل إلى النفس أقباسا من ثمر العمل الصالح في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: **{وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**٠(البقرة:٢٥)، وجملة"أتوا به متشابها" تدلل على تذكّر ثمر الدنيا وليس منها، وهذا يوحي إلى النفس اتجاها في تحوير الرسم النباتي٠(الألفي،ب.ت: ١٣٧)

٧- **منطلقات الوعي الجمالي:** ويشير (قلعة جي) إلى أن منطلقات الوعي الجمالي الإسلامي يسير في طريق تنقسم إلى ثلاثة أقسام: المعرفة والاكتشاف ووسيلتهما التفكر، والإيمان ووسيلته الإدراك، والإبداع ووسيلته الفن٠(قلعة جي، ١٩٨٩: ٢٥٤)، ولذلك يستند الوعي الجمالي في الإسلام إلى ثلاثة منطلقات وهي:

أ- منطلق التوحيد: فوحدانية الله تعالى التي تتمثل في القسم الأول من الشهادتين، وأما القسم الثاني من الشهادتين فهو يحمل استمرار العلاقة بين السماء والأرض، ويجعل العلاقة الجمالية نابعة من كونها فكرية وواقعية معا٠(قلعة جي، ١٩٨٨: ١١١)

ب- منطلق الوحدة: **{مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ}**(الملك:٣)، والوحدة في نظام الخلق هي تمام الجمال في المخلوقات، وأسس الجمال في هذا الكون تقوم على التوازن والتجاذب والتناسب والانسجام والروح (الحركة)، فهناك نظام كلي مشترك ينظم العلاقات في الذرَّة وفي المجتمع وفي الكون ٠

والكل في هذه الوحدة هو الذي يعين صفات الأجزاء ويمنحها استقلاليتها الجمالية وخصوصيتها، فالأشياء تكتسب قيمتها الجمالية بما فيها من وحدة وتناسق وانسجام- ظاهر وباطن- بمدى ارتباطها بالكلي الجمال٠

ويوضح (قطب) بأنّ: "الإسلام هو أكمل تصور لحقيقة الوحدة – وهي أضخم الحقائق على الإطلاق – وحدة الخالق الذي ليس كمثله شيء، ووحدة الإرادة التي يصدر عنها الوجود كله بكلمة: كن، ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة، ووحدة الناموس الذي يحكم هذا الوجود، ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق، ووحدة البشرية من آدم – عليه السلام – إلى آخر أبنائه في الأرض، ووحدة الدين الصادر من الله الواحد إلى البشرية الواحدة، ووحدة جماعة الرسل المبلغة لهذه الدعوة، ووحدة الأمة المؤمنة التي لبت هذه الدعوة، ووحدة النشاط البشري المتجه إلى الله وإعطائه كله اسم "العبادة"، ووحدة الدنيا والآخرة داري العمل والجزاء، ووحدة المنهج الذي شرعه الله للناس فلا يقبل منهم سواه، ووحدة المصدر الذي يتلقون عنه تصوراتهم كلها ومنهجهم في الحياة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٨٣)

والجمال الحقيقي هو المرتبط بالجمال الأعلى، والجمال الخادع أو القيمة السلبية هو المنفصل عنه، فالمرأة الجميلة في المنبت السوء قيمة سلبية، أي ذات جمال خادع لقول النبي ﷺ: "إياكم وخضراء الدمن"، فالجميل يجب أن يقدم لنا وحدةً في الجمال، وثنائيةً في الشكل والمضمون خارجةً من منطلق الفكر الإسلامي كفكر توحيدي، والعلاقة بين المادة والشكل والمضمون والصورة والفكر والوجود هي علاقة تكامل، واليوم في الفلسفة الحديثة يُطلب من العقل رفع هذه الثنائية٠(قلعة جي،١٩٨٨: ١١٣ ،١١٤)

وممن بحثوا في جمال الظاهر والباطن ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين)، ويقول ابن القيم: "اعلم أن الجمال ينقسم قسمين ظاهر وباطن فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو جمال العلم والعقل والجود والعفّة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يُعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة، وإن كان أسودا أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظا من صلاة الليل، فإنها تنور الوجه وتحسنه، وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك، فقالت: إنها تحسِّن الوجه،

وأنا أحب أن يُحسن وجهي، ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر، أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه، وأما الجمال الظاهر فزينة خصّ الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: "يزيد في الخلق ما يشاء"٠(ابن قيم الجوزية، ١٩٩١،ج١: ٢٢١ ،٢٢٢)، ويرى الباحث أن اكتساب الوجه ضياء بصلاة الرجل ليلا مثاله تنوّر وجه الحسن البصري وضياؤه، وقد كان أسمر البشرة، ولما سئل عن ذلك قال: بصلاة الليل ٠

والجمال والقبح قيمتان: ايجابية وسلبية، وهما مرتبطتان بأيدلوجية الفكر التربوي الإسلامي، وهما مرتبطان بالدنيا والآخرة، وكما أن الجمال مرتبط بالإيمان والحق والخير والجمال والعدل، فإن القبح مرتبط بالكفر والضلال والشر والظلم: **{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ}**(القصص:٤٢)، وتشكّل فكرة خلود الجمال المستندة إلى الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الإيمان باليوم الآخر دافعا لطلب الجمال، وغاية المؤمن هي رؤية الجميل الكلي الجمال، ويعبر عنها برؤية وجه الله،

وكما أن أهل الجنة يبعثون في صور جميلة ويعيشون في نعيم مقيم، والعكس من ذلك أهل النار٠(قلعة جي،١٩٨٨: ١١٤ ،١١٥)

ج- منطلق الحركة: إنها حركة ليست مادية فحسب وإنما هي جمالية أيضا، فالوردة يتكامل جمالها بإطراد حركة نموها، والنهر يبلغ غاية جماله بحركة جريانه، ولذلك عندما فضل الله تعالى بين الجنتين في سورة الرحمن قال عن ماء العينين في الأولى: **{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}**٠(الرحمن:٥٠)، وقال عن الجنة الثانية التي هي دون الأولى: **{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**[٢٥]**}**٠(الرحمن:٦٦)، وسر جمال الكواكب في حركة جريانها، وحركة الشهب ذات قيمة جمالية(زينة) وذات قيمة وظيفية:**{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ}**٠(الملك:)(قلعة جي، ١٩٨٨: ١١٥ ،١١٦)

ويشير(قطب) إلى أن: "وحدة التكوين ووحدة الحركة في هذا الكون هما الظاهرتان اللتان اهتدى إليهما الإنسان . . وهما إشارتان من بعيد إلى قانون الوحدة الشامل الكبير، وقد بلغت إليهما المعرفة البشرية بمقدار ما تطيق الملاحظة والتجربة البشرية أن تبلغ . . أما الطبائع الخاصة الموهوبة، فقد أدركت القانون الشامل الكبير كله في لمحة؛ لأنها تتلقى إيقاعه المباشر، وتطيق وحدها تلقيه"٠ (قطب، ١٩٨٦، ج١: ٢٨٠)

---

[٢٥]- فياضتان، والجري أقوى من النضخ ٠ (ابن كثير، ١٩٨٠،ج٤: ٢٨٠)

٨- **آثار الجمال:** للجمال آثاره في الفرد والمجتمع وتتجلّى فيما يأتي:

أ- الجمال الحسي والمعنوي نعمة وأثر من آثار الله تعالى: وهذا الأثر ينعكس على المسلم فيصبح جميل النفس والروح، جميل القول والفعل، جميل الفكرة والنظرة والخطرة، جميل الإحساس، وكما يقول الغزالي: "بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده، سواء أدرك هذا الجمال بالمعقول أو بالحواس"(الغزالي، ب.ت،ج٢: ٢٨٠)، وكما ورد في الحديث القدسي: "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٥: ٢٣٨٤)، فهو يسمع ويبصر ويمشي ويبطش بالله ولله ٠

ب- الشيء الجميل يريح النفس الإنسانية ويطلق طاقاتها المبدعة: ويعمل على تجديد هذه الطاقات المكنونة فيها، ولذلك قال تعالى عن بقرة بني إسرائيل: **{ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}**(البقرة:٦٩)، فإذا تأمل الفرد صورة أو باقة زهر، فإن هذا سيشعره باللذة والمتعة والراحة، فالإحساس بالجمال ينمي في الإنسان السليم الدافع للسلوك الحسن، وكما قال هربرت ريد: "إن التربية الجمالية تنمي الفضيلة الأخلاقية"٠(البسيوني،١٩٨٦: ١٥)

ج- الجمال والزينة مصاحبة للعبادة الصحيحة: فلا تكون العبادة سليمة ومقبولة إلا إذا صاحبها الجمال المعنوي (التوحيد ويتجسد في الإخلاص لله تعالى وحده) والجمال الحسي (الطهارة في البدن والثوب والمكان ومنه تغطية العورة أيضا)، ومن ذلك قوله تعالى: **{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}**٠(الأعراف: ٣١)

د- الحس الجمالي يقوي دافع الملاحظة والتأمل ويشجّع القدرة الدقيقة على التعبير الفني ويثري قدرة الخيال: ومن ذلك قوله تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}**٠(البقرة:١٦٤)، ويساعد ذلك على اكتساب الكثير من الخبرات العلمية والخلقية والاجتماعية والفنية، كما ينمّي في النفس روح المثالية والحس الجمالي ٠

هـ- يلبي حاجة الإنسان إلى وجدان قادر على استلهام الجمال وتأمله والبحث عنه: ليصل في النهاية إلى الجمال الكلي المطلق، وهو جمال الله تعالى: فيكون في الدنيا بالتدبر والتأمل في مخلوقات الله وعبادته: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ{١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{١٩١} رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ{١٩٢} رَّبَّنَا إِنَّنَا**

سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ{١٩٣}}٠(آل عمران: ١٩٠ ،١٩٣)، ويرى الباحث أن اكتمال النسق الجمالي يكون برؤية الجميل في جنة الآخرة: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ{٢٣}}٠**(القيامة: ٢٢-٢٣)

و- هو الدافع الأساس للتقدم في ميادين الحياة المختلفة: وينبثق هذا من الشعور الحسي المتدفق الذي ينظمه الفن ويصقله الإبداع، ومنه قوله تعالى: **{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}٠**(سبأ: ١٣) وتربية الإنسان وجدانيا على الإحساس بالجمال وتذوقه قد يقلل من الآثار المدمرة لهبوط مستوى الذوق العام في عصر الماديات والإيقاع السريع، وقد يخفف من التلوث البيئي والأخلاقي٠

سابعا: المقوم الإبداعي

مقدمة:

الإبداع سمة بارزة من سمات خلق الله في كونه، وميزة تميز بها ذاته، ووصف الله سبحانه تعالى بها نفسه: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}٠**(البقرة: ١١٧)، ولقد أبدع الله كل شيء خلقه، ومنه إبداعه للإنسان: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}٠**(التين:٤)، فأما من حيث المضمون فإن الله سبحانه وتعالى أوجد فينا عقولا نفقه بها، وأحاسيس تصلنا بالعالم الخارجي الذي نعيش فيه، فنرى ما يجري حولنا، ونسمع ما يقال، ونشم الروائح فنميز الطيبة من الخبيثة٠

وإذا كان التجديد سنّة من سنن الاجتماع الديني في النسق الفكري دائمة الفعل، عبر الزمان والمكان، لا تبديل لها ولا تحويل، يقرر ذلك لها وفيها رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"٠(أبوداود،ب.ت،ج٢: ٥١٢)

و"التجديد" لا يمكن إلا أن يكون ثمرة للإبداع، ومثمرا لمقادير، قلت أو كثرت – من "الإبداع" (عمارة، ١٩٩٧: ٢٣)

ولقد حرص الإسلام على تحرير العقول من الأوهام والظنون والأهواء والتقليد الأعمى الموروث دون وعي أو تمييز، وأبواب المعرفة لا تفتح إلا بعد أن يقهر السلوك التقليدي الذي يسير على نمط متعارف عليه وصل إلينا من الأجيال السابقة، فسرنا عليه وأخذنا به، فما يصلح لآبائنا لا يصلح بعضه أو جله لنا، وما يصلح لنا لا يصلح بعضه أو جله لأبنائنا، وكما قيل: "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"٠(ابن قيم الجوزية، ١٩٧٥،ج٢: ٢٦٥) وتعويد النشء على الإبداع كحاجة النبتة إلى الماء، وكما يقول ابن خلدون: "إن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده"٠(ابن خلدون، ١٩٧٧: ٥٣٨)

ويلعب الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد دورا أساسا في عملية إيجاد وتشجيع الإبداع والمبدعين، فالوسط الاجتماعي للفرد بمثابة التربة للنبتة، فإذا كانت هذه التربة خصبة نبتت

وترعرعت، وإذا لم تتوفر فيها ظروف الحياة ذبلت النبتة وماتت، والعملية الإبداعية وإن بـدت فردية، وتتعلق بشخصية المبدع إلا أن ارتباطها بالمجتمع وثيقا ٠

ولطريقة ومنهج التعامل مع الأفكار والأشياء والأعمال في المجتمع دورها الهام فـي الإبـداع والابتكار، ولقد أسمى الله تعالى سورتين من سور القرآن الكريم بأسماء حشرتين يُعـدان مـثلا للحركة والنشاط الدؤوب وهما النحل والنمل، فلو نظرنا لطريقة النمل في العمل لوجدناه يخـزن القوت والطعام وأوراق الأشجار وما يحتاجه في مخازنه الخاصة دون أن يغير فيه شيئا، وفـي المقابل نجد النحل قد امتص رحيق الأزهار وخزّنه في معامله ثم عالجه بإذن ربه، فأبدع منـه شيئا جديدا عسلا طيبا فيه شفاء للناس، ولو ضربنا مثلا لهذه الطريقة وتلك في طريقة ومـنهج الشعوب، لوجدنا مصر مثلا قد بدأت نهضتها قبل اليابان بثمانين عاما، أي منذ حكم محمد علي، وكانت وفود من اليابانيين يفدون إلى مصر للاستفادة من بعض العلوم فيها، ولكن مصر صارت بخطىً نملية تجمع وتخزّن العلوم والمعارف دون تجديد وابتكار وإبداع، في حين سارت اليابان بخطىً نحلية، فتأخرت مصر وتقدمت اليابان، وأضحت المنتجات والمخترعات اليابانية تغـزو أسواق العالم، وتتسابق عليها أمم الأرض لاقتنائها ٠

والإبداع والابتكار ينبع من استخدام العاقل لجزء من عقله الذي وهبه الله له، وكما أن الحاجة أم الاختراع، فالفكرة هي أم الإبداع، والإبداع في الإسلام نابع من التـصوّر الإسـلامي للإنـسان والكون والحياة، ولا يعني تشجيع الإبداع ترك الحبل على الغارب٠

وقد قيل ليس الإخبار عن صدق الاسم في ذاته، وإنما صدقه في مطابقته لحال صاحبه الذي هو المسمى به أيا كان، وكما قال النبي ﷺ: "تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ"٠(أبو داود،ب.ت،ج٢: ٧٠٥)، وكل إنسان حـارث: أي صاحب حرث وعمل، وكل إنسان همَّام: أي صاحب تفكير في شأنه وأمره، وهذا الحديث دليـل على أن الجميع يفكر ٠(الزهراني،٢٠٠٣: ١٠١)

والإبداع يحتاج لاستغلال الفرص السانحة والتي قد لا تعود للظهور مرة أخرى، وكما قال علي ابن أبي طالب: (علي، ٢٠٠٣: ٢٣٠)

إذا هبت رياحُك فاغتنمها فعقبى كـل خافقـة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

ويحتاج الإبداع من نظمنا التعليمية أن تركز على سيكولوجية التفكير(أي الأسس النفسية للتفكير) بنفس القدر الذي تركز فيه على سيكولوجية التعلّم (أي أسس التعلم المختلفة)٠(نخبة من أسـاتذة

علم النفس، ١٩٩٤ : ٥٧)، وهذه النظم أصبحت تعتمد على التلقين من جانب المعلم والحفظ من جانب المتعلم٠(حبش،٢٠٠٢: ٩)

وللإبداع معوقاته الشخصية والعامة التي تعيقه، ومن هنا كان لزاما علينا كأمة مسلمة بالله، عارفة لحدوده وشرائعه ونواهيه، أن نعمل جاهدين لبعث روح الإبداع لدى النشء والأطفال خاصة، فهم عماد المستقبل، ليكونوا كما قال المعري: (المعري، ١٩٦٣: ١٩٣)

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

١- **تعريف الإبداع:** الإبداع لغة: "إنشاء شيء بلا احتذاء ولا اقتداء، فإذا استعمل في الله فهو إيجاد شيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان"٠(المناوي، ١٩٨٩: ٢٩)

والإبداع اصطلاحا: "هو قدرة الفرد على التفكير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة، ومن إعادة صياغة عناصر الخبرة في أنماط جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من البدائل لإعادة صياغة هذه الخبرة بأساليب متنوعة وملائمة للموقف الذي يواجه الفرد، بحيث تتميز هذه الأنماط الجديدة الناتجة بالحداثة بالنسبة للفرد نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، وهذه القدرة يمكن التدريب عليها وتنميتها"٠(منسي،٢٠٠٣: ١٧) وهناك فرق بين البدعة والإبداع، فالبدعة المنهي عنها لها شرطان: الأول أن تكون حادثة لم تكن في الصدر الأول، والثاني أن تناقض أصلا من أصول الإسلام قرآنا أو حديثا نبويا شريفا، كقول الشافعي: "البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم" واحتُج بقول عمر بن الخطاب في جمع الناس لقيام رمضان(التراويح): نعمت البدعة هي٠(الأصبهاني، ١٩٨٤،ج٩: ١١٣)

وللإبداع أربعة مكونات هي العمل الإبداعي، العملية الإبداعية، الشخص المبدع، والموقف الإبداعي٠(السويدان والعدلوني، ٢٠٠٤: ١٨)

فالشخص المبدع في الفن أو الأدب أو العلم هو ذلك الشخص القادر على إدراك العلاقات الخفية بين الأشياء، وهو القادر على إعادة ترتيب عناصر قديمة في صياغة جديدة٠(منسي،١:٢٠٠٣) وهذه العلاقات موجودة في كل شيء كما يوضح (قطب): "إن روح الإنسان لتستمتع أحيانا بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها في الليلة القمراء، أو الليل الساجي، أو الفجر الوليد، أو الظل المديد، أو البحر العباب، أو الصحراء المنسابة، أو الروض البهيج، أو الطلعة البهية، أو القلب النبيل، أو الإيمان الواثق، أو الصبر الجميل . . إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود . . فتغمرها النشوة، وتفيض بالسعادة، وترف بأجنحة من نور في عوالم مجنحة طليقة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٧٧٠)

هذا وقد ظهرت تعريفات كثيرة للإبداع كل منها تعكس وجهة نظر قائلها، وهي تؤكد علـــى أن الإبداع موهبة يتميز بها عدد قليل من الأفراد، إلا أن علم النفس الحديث قد أظهر أن كـــلا منّـــا يمتلك القدرة على الإبداع، كما أن الإبداع لا يظهر فقط في الأعمال الفنية والأدبية والعلمية، بل هو طريقة في التفكير، بل يمكن أن نقول أنه طريقة في الحياة ٠(عويس، ٢٠٠٣ :٣٧)، ويرى الباحث هذا الرأي٠

والتفكير الإبداعي كما يعرفه (كامل) بأنه: "الأسلوب الذي يستخدمه الفرد في إنتاج أكبر عـــدد ممكن من الأفكار حول المشكلة التي يتعرض لها(الطلاقة الفكرية)، وتتصف هذه الأفكار بالتنوع والاختلاف(المرونة) وعدم التكرار، أو الشيوع(الأصالة)٠(كامل، ١٩٩٦: ١١)

٢- مسلمات وخصائص الإبداع: من خلال التعريف السابق للإبداع يمكن التعرف علـــى أهـــم سماته وخصائصه، وهي:

ا- الإبداع هو نوع من أنواع النشاط العقلي المركب الذي يمكن للفرد عن طريقه الوصول إلـــى أنماط جديدة من العلاقات باستخدام خبرات وعناصر محددة ٠

ب- لا يقتصر الإبداع على الأفراد من أعمار معينة دون غيرها وإنما يوجد الإبداع الفكري أو الفني أو العلمي الراقي لدى أفراد فئات عمرية مختلفة، أي أنه يوجد عند كل الناس ٠(ســـويدان والعدلوني، ٢٠٠٤: ٢٧)

ج- يوجد أفراد مبدعين في جميع المجتمعات الإنسانية في مختلف مراحل التطور الاجتمـــاعي والثقافي ولا تنفرد المجتمعات المتقدمة بالاستحواذ على المبدعين فـــي المجـــالات المختلفـــة٠ (منسي،٢٠٠٣: ١٩)

د- لا يشترط الجدة للآخرين، بل يكفي أن تكون جديدة للشخص نفسه ٠(ســـويدان والعـــدلوني، ٢٠٠٤: ٢٧)

وأما خصائصه فهي:

أ- أنه عملية عقلية وليس نتاجا عقليا ٠

ب- أنه عملية عقلية هادفة إلى تحقيق صالح الفرد أو صالح المجتمع ٠

ج- أنه عملية تؤدي إلى إنتاج أشياء جديدة مختلفة ومتمايزة، وبالتالي تكـــون فريـــدة بالنـــسبة للشخص المبدع سواء كانت هذه الأشياء في صورة لفظية حسية أو عيانية٠

د- يأتي التفكير الإبداعي من التفكير المطلق، ولكن تأتي المسايرة والقدرة على حل المـــشكلات العادية من التفكير المحدود٠

هـ- الإبداع هو أحد طرق التفكير الإنساني وليس مرادفا للذكاء الذي يتضمن قدرات عقلية بالإضافة إلى التفكير، ويعتمد على التفكير الإحاطي٠(سويدان والعدلوني، ٢٠٠٤: ٢٧)

و- التفكير الإبداعي هو تفكير نوعي أي أنه يرتبط بمجالات، فهناك إبداع لفظي وإبداع مصور أو إبداع فني أو موسيقي ٠

ز- يتوقف اكتساب القدرة على التفكير الإبداعي على قدرة الفرد على اكتساب المعلومات المقبولة بالنسبة له٠

ح- تعدّ القدرة الإبداعية هي إحدى صور التخيل المضبوط في أحد المجالات الفنية أو الأدبية أو الموسيقية أو المجردة، وهذا التخيل يؤدي إلى نوع من الإنجاز في المجالات المختلفة٠ (منسي،٢٠٠٣: ٢٣ ،٢٤)

٣- ميزات التفكير الإبتكاري: يتميز التفكير الإبداعي ببعض الميزات وهي:

أ- الأصالة: وهي الندرة والتفرد في السلوك، وإذا أضيفت إلى هاتان الخاصيتان أخرى ثالثة وهي الملاءمة، نكون بذلك أمام سلوك إبداعي أصيل ومتكامل، والملاءمة مهمة في الإسلام، فإذا اختلف العقل مع ما جاء به الوحي أخذنا بالثاني وتركنا ما جاء به العقل، وكما يؤكد (قطب): "والذين يزعمون للعقل البشري درجة من الأصالة في الصواب كدرجة الوحي، باعتبار أن كليهما – العقل والوحي – من صنع الله فلا بد أن يتطابقا . . هؤلاء إنما يستندون إلى تقريرات عن قيمة العقل قال بها بعض الفلاسفة من البشر، ولم يقل بها الله سبحانه، والذين يرون أن هذا العقل يغني عن الوحي – حتى عند فرد واحد من البشر مهما بلغ عقله من الكبر – إنما يقولون في هذه القضية غير ما يقول الله . . فالله قد جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة، ولم يجعل هذه الحجة هي عقلهم البشري، ولا حتى فطرتهم التي فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به؛ لأن الله سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل، وأن الفطرة وحدها تنحرف، وأنه لا عاصم لعقل ولا لفطرة، إلا أن يكون الوحي هو الرائد الهادي، وهو النور والبصيرة" . (قطب، ١٩٨٦،ج٢: ١٠٩٨)

ب- الإحساس بالمشكلات: ومنهم من يسميها الحساسية للمشكلات والحاجات والاتجاهات ومشاعر الآخرين ٠(صالح،١٩٨١ :٥٦)، وتعني إحساس الشخص المبدع بأن لديه قدرة على النقد والإحساس بأن الواقع يحتاج إلى إصلاح، فهو صاحب نظرة تقليدية، لا يوافق على طول الخط كل شيء، لديه نظرة تفحّصيّة، يرى العيوب حيث لا يرى الآخرون إلا الكمال،ويرى الباحث أن أكثر الناس إحساسا بالمشكلات هم الرسل والأنبياء ثم الدعاة والعلماء والمصلحون، ويوضّح قطب بأنّ: "المتتبع لسياق القصص كله في السورة أن كل رسول يقول لقومه قولة

واحدة: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ويتقدم لهم بالحقيقة التي استحفظه عليها ربه تقدم الناصح المخلص، المشفق على قومه مما يراه من العاقبة التي تتربص بهم وهم عنها غافلون، ولكنهم لا يقدرون نصح رسولهم لهم؛ ولا يتدبرون عاقبة أمرهم، ولا يستشعرون عمق الإخلاص الذي يحمله قلب الرسول ، وعمق التجرد من كل مصلحة، وعمق الإحساس بضخامة التبعة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٢٤٩)

ج- المرونة: أي القدرة على التغيير وعدم التمسك بالموقف السابق إذا رأى أن هناك جديدا أفضل منه، أو هي القدرة على تغيير الزاوية الذهنية٠(عويس، ٢٠٠٣: ٣٩)، والتكيف السريع للتطورات والمواقف الجديدة، ويبين (قطب) أن أوامر القرآن الكريم بين الزوجين ليست مكتوبة فقط بل تتعلق بالوجدانيات، أي أنها مرنة تساير الفطرة السليمة بقوله: "فليس هناك ضابط إلا حساسية الضمائر وتقوى القلوب، وإن كلا الزوجين ليملك مكايدة صاحبه حتى تنفقئ مرارته إذا كانت الحواجز هي فقط حواجز القانون!!، وبعض الأوامر من المرونة بحيث تسع كل هذا، فالأمر بعدم المضارة: ولا تضاروهن يشمل النهي عن ألوان من العنت لا يحصرها نص قانوني مهما اتسع، والأمر فيه موكول إلى هذه المؤثرات الوجدانية، وإلى استجاشة حاسة التقوى وخوف الله المطلع على السرائر، المحيط بكل شيء علما، وإلى التعويض الذي يعده الله للمتقين في الدنيا والآخرة، وبخاصة في مسألة الرزق التي تكرر ذكرها في صور شتى، لأنها عامل مهم في تيسير الموقف، وتندية الجفاف الذي تنشئه حالة الطلاق، وإن الزوجين ليفارقان – في ظل تلك الأحكام والتوجيهات – وفي قلوبهما بذور للود لم تمت، ونداوة قد تحيي هذه البذور فتنبت . . ذلك إلى الأدب الجميل الرفيع الذي يريد الإسلام أن يصبغ به حياة الجماعة المسلمة ، ويشيع فيها أرجه وشذاه" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٦٠٤)

د- الطلاقة: وتعني الوفرة في إفراز أنماط السلوك، فإذا كنا بصدد الحديث اللغوي نلاحظ أن هذا الطفل مثلا لديه طلاقة في الحديث وسرعة ووفرة في إفراز الكلمات والأفكار، والطلاقة أنواع منها طلاقة الكلمات، وطلاقة التداعي، وطلاقة الأفكار، والطلاقة التعبيرية٠(عويس، ٢٠٠٣ :٣٩)، ويبين (قطب) أنه: "إذا لم تتجرد النفس لله، لم تتحرر أبدا من ضغط القيم والأوضاع، والضرورات والمصالح، والحرص والشح، ولم ترتفع أبدا على المصالح والمغانم، والمطامع والمطامح، ولم تستشعر أبدا تلك الطلاقة والكرامة والاستعلاء التي يحسها القلب المملوء بالله، أمام القيم والأوضاع، وأمام الأشخاص والأحداث، وأمام القوى الأرضية والسلطان وأصحاب السلطان . . ومن هنا تبذر بذرة النفاق . . وما النفاق في حقيقته إلا الضعف عن الإصرار على الحق في مواجهة الباطل، وهذا الضعف هو ثمرة الخوف والطمع، وتعليقهما بغير الله؛ وثمرة

التقيد بملابسات الأرض ومواضعات الناس، في عزلة عن منهج الله للحياة" .(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٧٧٩)

ويضرب قطب مثلا للطلاقة في تعليقة على قصة نبي الله إبراهيم، فيقول: "قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين، وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية، فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية، والوراثات المتحجرة التى لا تقوم على دليل: قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . . وما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمة ليست لها، ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها، فالقيم لا تتبع من تقليد الآباء وتقديسهم، إنما تنبع من التقويم المتحرر الطليق٠

وعندما واجههم إبراهيم بهذه الطلاقة في التقدير، وبهذه الصراحة في الحكم، راحوا يسألون:

قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟ . . وهو سؤال المزعزع العقيدة، الذي لا يطمئن إلى ما هوعليه، لأنه لم يتدبره ولم يتحقق منه، ولكنه كذلك معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد فهو لا يدري أي الأقوال حق"٠(قطب،١٩٨٦،ج٤: ٢٣٨٥)

هـ- مواصلة الاتجاه: فهو ليس انفلاتا من كل قيد، وإلا كان أقرب شبها بالجنون، ولا يعني التقيد بآداب وأخلاقيات المجتمع الصالحة تقييدا للإبداع، بل هو ضبط له للحيلولة دون خروجه عن الأهداف، فهو كالطائر المحلّق ولكن تحكمه بوصلة وإشارات الهداية، وإلا أخذ في التيه والضياع ٠

و- النفاذ: ويقصد به الغوص إلى عمق الموضوع وعدم الاكتفاء بالمعالجة السطحية العابرة، ويضرب لنا (قطب) مثلا لنفاذ النبتة الطري لأعماق التربة لتخرج بعد ذلك قوية: "وهذه هي المرحلة التالية لصب الماء، وهي صالحة لأن يخاطب بها الإنسان البدائي الذي يرى الماء ينصب من السماء بقدرة غير قدرته، وتدبير غير تدبيره، ثم يراه يشق الأرض ويتخلل تربتها، أو يرى النبت يشق تربة الأرض شقا بقدرة الخالق وينمو على وجهها، ويمتد في الهواء فوقها . . وهو نحيل نحيل، والأرض فوقه ثقيلة ثقيلة، ولكن اليد المدبرة تشق له الأرض شقا، وتعينه على النفاذ فيها وهو ناحل لين لطيف، وهي معجزة يراها كل من يتأمل انبثاق النبتة من التربة؛ ويحس من ورائه انطلاق القوة الخفية الكامنة في النبتة الرخية"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٨٣٣)

ز- التفصيل: ومنهم من يطلق عليه الاستنباطية٠(السويدان والعدلوني، ٢٠٠٤: ٥٩)، وكما أن المبدع يبحث عن العمق فهو كذلك يبحث عن التفاصيل، ويقوم بإثراء الموقف بعناصر جديدة تمنحه التميز عن غيره ٠(حنورة، ١٩٩٧: ٣٢١ -٣٢٥)

ويبين (قطب) أن القرآن الكريم استخدم أسلوب التفصيل بعد الإجمال، فيقول: "والتفصيل المحكم، وفق الأغراض والأهداف، ووفق أنواع الطبائع والعقول، ووفق البيئات والعصور، ووفق الحالات النفسية وحاجاتها المتنوعة . . التفصيل المحكم وفق هذه الاعتبارات سمة واضحة في هذا الكتاب، وقد فصلت هذه الآيات وفق تلك الاعتبارات، فصلت قرآناً عربياً لقوم يعلمون . . لديهم الاستعداد للعلم والمعرفة والتمييز" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣١٠٨)

٤- **أهمية الإبداع:** للإبداع أهميته في الفكر الإسلامي ويتمثل في كون التغيير والتجديد سنة منسنن الكون، والسكون والجمود هو علامة من علامات الفناء، بل هو الموت نفسه٠

والإنسان مخلوق ثنائي الخلقة، فهو قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، وإذا كنا نفخة من روح الله تعالى، وقد أحسن الله تعالى وأبدع كل شيء خلقه، فحري بهذا المخلوق أن يحسن كل شيء يؤديه من تفكير وإنجاز، ففي ذلك ترجمة للإبداع في صنع الله: {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}٠(الرحمن: ٦٠)، ويوضح (قطب) ذلك بقوله: "وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل؛ وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله – بإذن الله – في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه .

وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية. وإذن فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض – وتحكم الكون كله – والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك؛ وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج١: ٥٦)

والإنسان كما تطلعنا الدراسات عنه، موزع بين أمرين اثنين، فهو ميال للراحة والعيش الهنيء، وهذا إن استسلم له أوصله للكسل والخمول ولعصيان ربه، وتقصيره في حق ربه وأمته، حيث إن رب العباد أمرنا أن نعمل ونجدّ ونجتهد: **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}** (التوبة:١٠٥)، ومن جهة ثانية، فإن الإنسان ميال للعمل والمغامرة وارتياد السبيل المجهول ليتوصل إلى حقيقة الأمور وكنهها ويسخرها، بقدرة وضعها الله فيه، لمنفعة أمته ودينه وبلاده، فيكتسب بذلك رضا الله، ورضا الناس ٠(يالجن والقاضي، ١٩٩٧: ٣٤٤)

٥- الخصوصية الحضارية الإسلامية والإبداع: للأمة الإسلامية خصوصية حضارية في الإبداع تنبع من دعوة إعمال الفكر الإنساني حول ثلاثة عناصر وهي: الإنسان والكون والغيبيات٠(المزيدي، ٢٠٠٦: ١١)

والخصوصية الحضارية الإسلامية تعني التمايز الحضاري، والتمايز وسط بين الوحدة وبين الفصل التام، وهذا يعني وجود مشترك إنساني عام بين مختلف الحضارات، كالإنسان يشارك بني جنسه في الإنسانية وفي الخلق وفي كثير من معارف الأعضاء ووظائفها، ولكنه يتميز بالنفس والروح والمشاعر المميزة لذاته، وبالبصمة التي لا يشاركه فيها سواه من بني الإنسان٠(عمارة، ١٩٩٧: ١٩) والإنسان في الإسلام بديع الخلقة متكامل البناء، فهو من صنع الله، ويوضح (قطب) بأنّ: "خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجم، والحبّ لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الخلقة، تفضلا منه ورعاية ومنة، فقد كان قادرا أن يركبه في أية صورة أخرى يشاؤها، فاختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة .

وإن الإنسان لمخلوق جميل التكوين، سوي الخلقة، معتدل التصميم، وإن عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل ما يراه حوله .

وإن الجمال والسواء والاعتدال لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي سواء، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٦: ٣٨٤٨)

وإذا كان الإنسان مخلوق من طين الأرض ومن نفخة الروح، فمالنا نعتمد شقا طينيا – العقل، وننبذ شقا روحيا – القلب؟، وهذا الخطأ في فهم الإبداع عند الغرب جعل إبداعاتهم في جانب الحس دون الروح، وأغفلوا العامل الروحي للإبداع المتمثل في الثواب والعقاب الأخروي٠

والإبداع في الإسلام يجمع بين الشق الحسي والروحي معا، ولا يمكن الفصل بينهما كما يقرر(قطب) بأنّ: "الذي لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التي تصرفه، يظل ينظر وكأنه لا يرى، ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة ولكنه لا يدرك حكمته، ولا يعيش بها ومعها، وأكثر الناس كذلك، لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود، وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود، والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس، ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٧٥٩)

ولهذه الحكمة كان الانحياز الإسلامي إلى التدافع، في ذات الوقت الذي رفض فيه الصراع، وذلك أن الصراع يعني نفي الآخر، بينما التدافع هو حراك غايته تحريك المواقف من الظلم إلى

العدل ومن الغلو إلى الاعتدال والوسطية، ولقد استخدم القرآن مصطلح الصراع بمعنى نفي الآخر: **{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ{٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ{٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ{٨}}**(الحآقة: ٦-٨)، بينما الاستخدام القرآني لمصطلح الدفع والتدافع بالمعنى الإيجابي؛ لأنه هو التعبير عن الحراك الذي يحفّز إلى الاستباق في الخيرات، وتحويل المواقف من العداوة إلى المودة: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**(فصلت:٣٤)، وهو آلية للإصلاح: **{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}**٠(الحج:)(عمارة، ١٩٩٧: ١٩ -٢٤)

وقد حث الله تعالى البشر على استخدام حواسهم وعقولهم للتعرف عليه والاهتداء بهديه: **{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**٠(الإسراء:٣٦)، ويعلق (قطب) على من يتبع هواه في أحكامه وحياته فيقول: "والتعبير القرآني المبدع يرسم نموذجاً عجيباً للنفس البشرية حين تترك الأصل الثابت، وتتبع الهوى المتقلب وحين تتعبد هواها، وتخضع له، وتجعله مصدر تصوراتها وأحكامها ومشاعرها وتحركاتها، وتقيمه إلهاً قاهراً لها، مستولياً عليها، تتلقى إشاراته المتقلبة بالطاعة والتسليم والقبول، يرسم هذه الصورة ويعجِّب منها في استنكار شديد"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٢٣٠)

وحسن برمجة العقول مع تمام الاتصال بالله يرتبط ارتباطا إيجابيا أو طرديا، بإذن الله والأفكار أو الأعمال المبدعة كما يقرر الله: **{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}**٠(مريم:٢٥) والأخذ بالأسباب مع إحسان منهجية الحواس من أجل برمجة العقول مع التوكل على الله وتمام الاتصال به تعالى يؤدي إلى الإبداع، فيكون الإبداع صفة للإنجاز كثمرة للتوكل على الله، وتكون المعادلة كالتالي: عقل و قلب موصول بالله، بإذن الله = إبداع٠ (المزيدي، ٢٠٠٦: ٣٦ ،٣٧)

والإبداع في الإسلام الناتج عن العلم اليقيني يهدف إلى عبادة الله العبادة الصحيحة كما قال تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}**(فاطر:٢٨)، وليس هدفه فقط الرقي بالحياة المادية، كما يبين (قطب) بأنّ: "هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية، يضعون لها المنهج الإلهي في كِفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى، ثم يقولون لها:اختاري !!! اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله !!! وهذا خداع لئيم خبيث، فوضع المسألة ليس هكذا أبدا . . إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني . إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة . . ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض، هذا المقام

الذي منحه الله له، وأقدره عليه ، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه؛ وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه؛ ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع . . على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة؛ وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله، فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى . . فهم سيئو النية، شريرون، يطاردون البشرية المتعبة الحائرة كلما تعبت من التيه والحيرة والضلال، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة وأن تطمئن إلى كنف الله . . ."٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٦)

٦- **محاور الإبداع في الفكر الإسلامي:** ولدعوة الإسلام إلى نبذ الجمود والإبداع الإسلامي ثلاثة دوائر رئيسة، وهي دائرة الإنسان، ودائرة الكون، ودائرة الغيبيات٠(المزيدي، ٢٠٠٦: ٥٢)، وهي كالآتي:

أ- **إعمال الفكر في دائرة الإنسان:** وتشتمل هذه الدائرة على استثارة خيال الإنسان أو حثه على التأمل والتفكر، أو ذكر الحقائق العلمية التي تحثه على الدراسة والبحث العلمي، أو عن طريق تبصير الإنسان بحقيقة نفسه من ضعف ونسيان ٠٠٠إلخ ٠

وتتحدث كثير من آيات الله في القرآن الكريم عن ذلك ومنها قوله تعالى: **{يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ}**٠(الزمر:٦)، فهذه النفس الإنسانية وهذا الإنسان ألا يحتاج لدراسة أدق وأعظم ؟، ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام، إلى الخلق الواضح فيه عنصر البشرية، في ظلمات ثلاث . . ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس، وظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة خلقاً من بعد خلق، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو، والقدرة على التطور، والقدرة على الارتقاء، والقدرة على السير في تمثيل خطوات النفس البشرية كما قدر لها بارئها .

وتتبع هذه الرحلة القصيرة الزمن، البعيدة الآماد، وتأمل هذه التغيرات والأطوار، وتدبر تلك الخصائص العجيبة التي تقود خطى هذه الخلية الضعيفة في رحلتها العجيبة . . . في تلك الظلمات وراء علم الإنسان وقدرته وبصره . . هذا كله من شأنه أن يقود القلب البشري إلى رؤية يد الخالق المبدع، رؤيتها بآثارها الحية الواضحة الشاخصة والإيمان بالوحدانية الظاهرة الأثر في طريقة الخلق والنشأة، فكيف يصرف قلب عن رؤية هذه الحقيقة ؟"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠٣٩ ،٣٠٤٠)

*ومنه قوله تعالى: **{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}**٠(الروم: ٣٣)، ويشير (قطب) إلى أنّ: "هذا الشوط يرسم صورة لتقلب الأهواء البشرية أمام ثبات السنن، ووهن عقائد الشرك أمام قوة الدين القيم، ويصور نفوس البشر في السراء والضراء وعند قبض الرزق وبسطه، وهي تضطرب في تقديراتها وتصوراتها ما لم تستند إلى ميزان الله الذي لا يضطرب أبد، وما لم ترجع إلى قدر الله الذي يبسط الرزق لمن يشاء ٠٠٠إنها صورة للنفس البشرية التي لا تستمد من قيمة ثابتة، ولا تسير على نهج واضح . صورة لها وهي تتأرجح بين الانفعالات الطارئة ، والتصورات العارضة ، والاندفاعات مع الأحداث والتيارات، فعند مس الضر يذكر الناس ربهم، ويلجؤون إلى القوة التي لا عاصم إلا إياها، ولا نجاة إلا بالإنابة إليها . حتى إذا انكشفت الغمة، وانفرجت الشدة، وأذاقهم الله رحمة منه: إذا فريق منهم بربهم يشركون . . وهو الفريق الذي لا يستند إلى عقيدة صحيحة تهديه إلى نهج مستقيم . ذلك أن الرخاء يرفع عنهم الاضطرار الذي ألجأهم إلى الله؛ وينسيهم الشدة التي ردتهم إليه . فيقودهم هذا إلى الكفر بما آتاهم الله من الهدى وما آتاهم من الرحمة ، بدلا من الشكر والاستقامة على الإنابة" .(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٧٧٠)

*ومنه قوله تعالى: **{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ{٢٢} اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ{٢٣}}**٠(الزمر: ٢٢ ،٢٣)، فإبداع هذا الخلق كفيل بصاحب الحس السليم والذوق الرفيع أن تجيش إحساساته بالعواطف الصادقة والإيمان بوحدانية الله وقدرته، وكما يقرر (قطب) أن: "القلب الذي يوحّد الله يدرك القرابة بينه وبين كل ما أبدعت يد الله في هذا الكون من أشياء وأحياء، ويحيا في كون صديق يعاطفه ويتجاوب معه، ويحس يد الله في كل ما حوله ، فيعيش في أنس بالله وبدائعه التي تلمسها يداه وتقع عليها عيناه، ويشعر كذلك بالتحرج من إيذاء أحد، أو إتلاف شيء أو التصرف في أحد أو في شيء إلا بما أمره الله، خالق كل شيء، ومحيي كل حي . ربه ورب كل شيء وكل حي، وكذلك تبدو آثار التوحيد في التصورات والمشاعر، كما تبدو في السلوك والتصرفات، وترسم للحياة كلها منهاجاً كاملاً واضحاً متميزاً، ولا يعود التوحيد كلمة تقال باللسان، من ثم تلك العناية بتقرير عقيدة التوحيد وتوضيحها وتكرار الحديث عنها في الكتاب الذي أنزله الله: وهو حديث يحتاج إلى تدبره كل أحد، في كل عصر، وفي كل بيئة، فالتوحيد بمعناه ذلك معنى ضخم شامل يحتاج إلى فهم وإدراك"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠٣٦)

*ومنه الدعوة إلى التفكير في عمر الإنسان، ليعمل الإنسان ويستثمر كل طاقاته المبدعة وملكاته، فيسخرها لطاعة الله تعالى وخدمة الإنسانية التائهة آخذا العدة من قوله تعالى: **{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}٠(الكهف:٤٥)، ففي مشاهد ثلاثة متتابعة، ومابين ثلاث جمل قصار انتهى شريط الحياة كله ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٧٢)، وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ}**٠(الزمر:٢١)، فكل شيء إذا ماتم نقص، واستوفى أجله، وخص الله التدبر والتذكر لجماعة دون الآخرين؛ لأنها انتفعت بما وهبها الله من الهدى باستخدام عقولها وفق منهج الإسلام، ويبين (قطب) أنّ: "هذا الزرع النامي اللدن الرخص الطري بالحياة، يبلغ تمامه، ويستوفي أيامه: ثم يهيج فتراه مصفراً . . وقد بلغ غايته المقدرة له في ناموس الوجود، وفي نظام الكون، وفي مراحل الحياة، فينضج للحصاد: ثم يجعله حطاماً . . وقد استوفى أجله، وأدى دوره، وأنهى دورته كما قدر له واهب الحياة . . إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب . . الذين يتدبرون فيذكرون، وينتفعون بما وهبهم الله من عقل وإدراك" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠٤٧ ،٣٠٤٨)

ب- إعمال الفكر في دائرة الكون: استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة في ذلك كالوصف والقصص والأمثال والمؤثرات الصوتية وغيرها، وذلك من أجل استثارة الخيال وتقريب المعنى للأذهان، ومنه قوله تعالى: **{أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ{١٧} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَت {١٨} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ{١٩} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ{٢٠}}**٠(الغاشية:١٧ ،٢٠)، ويعلّق (قطب) على الآيات بقوله: "وتجمع هذه الآيات الأربعة القصار، أطراف بيئة العربي المخاطب بهذا القرآن أول مرة، كما تضم أطراف الخلائق البارزة في الكون كله، حين تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال [ممثلة لسائر الحيوان] على مزية خاصة بالإبل في خلقها بصفة عامة وفي قيمتها للعربي بصفة خاصة .

إن هذه المشاهد معروضة لنظر الإنسان حيثما كان . . السماء والأرض والجبال والحيوان، وأيا كان حظ الإنسان من العلم والحضارة فهذه المشاهد داخلة في عالمه وإدراكه، موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها، والمعجزة كامنة في كل منها، وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها، وهي وحدها كافية لأن توحي بحقيقة العقيدة الأولى"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٨٩)

*ومنه قوله تعالى: **{فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ{٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ{٤}}**٠(الملك:٣ -٤)، ويفسّر (قطب) الآيتين بقوله: "والقرآن يوجه النظر إلى خلق الله، في السماوات بصفة خاصة وفي كل ما خلق بصفة عامة، يوجه النظر إلى خلق الله، وهو يتحدى بكماله كمالا يرد البصر عاجزا كليلا مبهورا مدهوشا .

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . . فليس هناك خلل ولا نقص ولا اضطراب . . فارجع البصر . . وانظر مرة أخرى للتأكد والتثبت هل ترى من فطور؟ . . وهل وقع نظرك على شق أو صدع أو خلل؟ ثم ارجع البصر كرتين فربما فاتك شيء في النظرة السابقة لم تتبينه، فأعد النظر ثم أعده ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير . . وأسلوب التحدي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات وإلى خلق الله كله، وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها، فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق، الذي لا تشبع العين من تملي جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقي إيحاءاته وإيماءاته؛ ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته . والذي يعيش منه من يتأمله بهذه العين في مهرجان إلهي باهر رائع، لا تخلق بدائعه، لأنها أبدا متجددة للعين والقلب والعقل" ٠(قطب، ١٩٨٦: ٢٦٣١،٣٦٣٢)

*ومنه قوله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ{٤٨} وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ{٤٩} فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٥٠}}**٠(الروم:٤٨ –٥٠)، وهكذا تتتابع اللوحات لوحة بعد لوحة، ويوضح (قطب): "إنه يجمع في هذه الآيات بين إرسال الرياح مبشرات، وإرسال الرسل بالبينات ، ونصر المؤمنين بالرسل، وإنزال المطر المحيي، وإحياء الموتى وبعثهم . . وهو جمع له مغزاه . . إنها كلها من رحمة الله، وكلها تتبع سنة الله، وبين نظام الكون، ورسالات الرسل بالهدى، ونصر المؤمنين، صلة وثيقة، وكلها من آيات الله، ومن نعمته ورحمته، وبها تتعلق حياتهم، وهي مرتبطة كلها بنظام الكون الأصيل"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٧٧٤)

*ومنه قوله تعالى: **{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}**(التكوير:١٨)، حيث وصف الله الصبح كأنه إنسان يتنفس، ويعلق (قطب) على الآية بقوله: "بل هو أظهر حيوية، وأشد إيحاء، والصبح حي يتنفس، أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي، وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيرا لهذا التعبيرعن الصبح، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٨٤٢)

ج- إعمال الفكر في دائرة الغيبيات: لقد بلغت عملية استثارة الفكر والخيال في الغيبيات مبلغا عظيما، ومنه قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ{١} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ{٢}}**(الحج:١ –٢)، ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "وهكذا يبدأ بالتهويل المجمل، وبالتجهيل

الذي يلقي ظل الهول يقصر عن تعريفه التعبير، فيقال: إنه زلزلة، وإن الزلزلة شيء عظيم، من غير تحديد ولا تعريف .

ثم يأخذ في التفصيل، فإذا هو أشد رهبة من التهويل . . إذا هو مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي، وبكل حامل تسقط حملها للهول المروع ينتابها . . وبالناس سكارى وما هم بسكارى، يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة، وفي خطواتهم المترنحة . . مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج ، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه . والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه . . وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية: في المرضعات الذاهلات عما أرضعن – وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي – والحوامل الملقيات حملهن، وبالناس سكارى وما هم بسكارى: ولكن عذاب الله شديد . . إنه مطلع عنيف مرهوب تتزلزل له القلوب"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٤٠٨)

*ومنه قوله تعالى: **{لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}**(عبس:٣٧)، فإذا كانت صورة الزلزلة يعاينها الفرد حقيقة، فهذه الصورة لا يدركها إلا الوجدان، ويشير (قطب) بأنه: "يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به: يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه . . أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم ؛ ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقا، وتقطع تلك الوشائج تقطيعا .

والهول في هذا المشهد هول نفسي بحت، يفزع النفس ويفصلها عن محيطها، ويستبد بها استبدادا.

فلكل نفسه وشأنه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به، الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . . والظلال الكامنة وراء هذه العبارة وفي طياتها ظلال عميقة سحيقة، فما يوجد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير، لتصوير الهم الذي يشغل الحس والضمير: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦ :٣٨٣٤)

*ومنه قوله تعالى: **{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ{٤٩} فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ{٥٠} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ{٥١} قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ{٥٢} إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ{٥٣}}**٠(يس:٤٩–٥٣)، فهذه مشاهد متتابعة بين كل منها فجوة يملؤها الخيال، ويضيف (قطب) بأنها: "تأخذهم بغتة وهم في جدالهم وخصامهم في معترك الحياة، لا يتوقعونها ولا يحسبون لها حساباً، فإذا هم منتهون، كل على حاله التي هو عليها . لا يملك أن يوصي بمن بعده، ولا يملك أن يرجع إلى أهله فيقول لهم كلمة . . وأين هم؟ إنهم مثله في أماكنهم منتهون،

ثم ينفخ في الصور فإذا هم ينتفضون من القبور، ويمضون سراعاً، وهم في دهش وذعر يتساءلون: من بعثنا من مرقدنا ؟، ثم تزول عنهم الدهشة قليلاً، فيدركون ويعرفون: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، ثم إذا الصيحة الأخيرة، صيحة واحدة، فإذا هذا الشتيت الحائر المذهول المسارع في خطاه المدهوش، يثوب: فإذا هم جميع لدينا محضرون . . وتنتظم الصفوف، ويتهيأ الاستعراض في مثل لمح البصر ورجع الصدى، وإذا القرار العلوي في طبيعة الموقف، وطبيعة الحساب والجزاء يعلن على الجميع: فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون٠

وفي هذه السرعة الخاطفة التي تتم بها تلك المشاهد الثلاثة تناسق في الرد على أولئك الشاكين المرتابين في يوم الوعد المبين، ثم يطوي السياق موقف الحساب مع المؤمنين، ويعجل بعرض ما صاروا إليه من نعيم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٩٧٢)

٧- **إنتاج الأفكار الجديدة:** وذلك إما بالتعامل مع الأفكار القديمة أو بإنتاج أفكار جديدة بالكلية، فالإبداع كما يقول (الحمادي) هو صناعة يمكن تعلّمها والتدرب عليها ومن ثم إتقانها، وهي ليست عملية مستحيلة أو صناعة لا يمكن تعلمها٠(الحمادي، ١٩٩٨: ١٦)

وإنتاج الأفكار يتم عن طريق:

أ- التعامل مع الأفكار القديمة، ويكون بـ:

١- الاستعارة: وهو أن يستعير الفرد فكرة موجودة ومطبقة في مجال من المجالات، فيستخدمها في مجال جديد تكون فيه نافعة، وتحل مشكلة كانت موجودة من قبل في هذا المجال٠

ومثالها: توظيف شبكة الإنترنت وغيرها من شبكات المعلومات للتعريف بالإسلام ٠

٢- الإضافة: وهي أن تأتي بفكرة قائمة مطبقة لكن فيها نقص أو ثغرة، فتضيف إليها ما يسد هذا النقص مما يجعلها أكثر عمليّة وأعم فائدة وهو التطوير، ومثالها: تطوير وسائل النقل أو الأدوية أو الاتصال أو الأسلحة٠

٣- الجمع والمزج: وذلك بمزج فكرتين فنخرج بفكرة ثالثة نحل بها إشكالا قائما، ومن ذلك ما ذكر عن (الشافعي) أنه لم يكن من نوابغ الإسلام المبدعين لأنه أسس مذهبا في الفقه فحسب، بل لأنه أعطى الفكر العربي الإسلامي حقيقة وجوده بما يكشف عن جوهره، ويحفظ له شموله ويرد عليه التمزق والصراع٠(الجندي،ب.ت:٤٩)، ولقد كان الناس قبل (الشافعي) فريقين: أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لحديث رسول الله ﷺ إلا أنهم عاجزون عن النظر والجدل، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالا أو إشكالا أسقط في أيديهم عاجزين متحيرين، أما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب النظر والجدال، إلا إنهم كانوا

عاجزين عن استلهام الآثار والسنن، وكان أصحاب الحديث يمثلهم الإمام مالك وأصحابه، وكان أصحاب الرأي في العراق يمثلهم الإمام أبو حنيفة وتلاميذه، ولقد استطاع الشافعي أن يمتص ما في تربة عصره من عصارة المدرستين، فقد اجتمع له فقه الحجاز وفقه العراق، والتقى بمالك وصاحبه تسع سنين، والتقى بتلاميذ أبي حنيفة وأخذ عنهم، فاجتمع له علم الحديث وعلم الرأي، وقد مزج ذلك كله وصنع منه شيئا جديدا كان قمة في مجال الفكر العربي الإسلامي، ذلك هو: أصول علم الفقه٠(المزيدي، ٢٠٠٦: ٢٥٨)

٤- التعديل: وهو أن نأتي إلى فكرة قائمة فنعدل فيها ونهذبها بحيث تناسب وضعا آخر٠

ومثاله: بعض الدعاة رأى صفحات التعارف في المجلات تعج بأسماء عديدة، فاستغل هذه الفكرة في الدعوة إلى الله، فكانت النتائج باهرة، ويقرر (قطب) أنّ التعديل في الفقه الإسلامي: "لا يفهم على طبيعته، إلا بالفقه المستنير لطبيعة العلاقات الحتمية بين منهج اللّه ومناهج الجاهلية من ناحية، ثم لطبيعة المنهج الحركي الإسلامي ومراحله المتعددة، ووسائله المتجددة، المكافئة للواقع البشري المتغير، من الناحية الأخرى . . . الخ" . (قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٦٢٥)

ب- قد يكون إنتاج الأفكار الجديدة مستقلا عن الفكرة القديمة وناتجا عن الشعور بالمشكلة، والمعرفة بما يدور حولها، ولا يشترط في الفكرة الإبداعية أن تكون مركبة ومعقدة بحيث لا يستطيع إبداعها إلا من كان صاحب تأهيل علمي في ذلك المجال، بل إن الأمر من السهولة بحيث يتعجب بعض من يراها كيف لم يتفطن لها من قبل ٠ (الزهراني،٢٠٠٣: ١٠٣)

٨- **معوقات الإبداع:** للإبداع معوقات مختلفة قد تكون شخصية أواجتماعية أوغيرها وأهمها:

أ- **المعوقات الشخصية:** فالإنسان نفسه قد يكون معوقا للإبداع بسيره على نمط معين في حياته، ومن هذه الأنماط: الديكتاتور، واللائم، والعبثي، والضحية، والساعي نحو الكمال الذي يرى أن الحل يجب أن يكون كاملا مئة بالمئة، وضعيف الشخصية، والمتلوّن، والمقاوم للتغيير والإبداع ٠(دونالدنوون، ٢٠٠١: ٦ -١١)، ومعوقات الإبداع هي:

١- الخوف من النقد وخشية الإرهاب الفكري، ويشير (قطب) إلى أنّ: "المجتمعات الجاهلية القائمة اليوم في أرجاء الأرض، والتي تقيم حياتها على تقاليد ومصطلحات اجتماعية تسترذل تدخّل أحد في شأن أحد، وتعتبر الفسق والفجور والمعصية "مسائل شخصية"! ليس لأحد أن يتدخل في شأنها، كما تجعل من الظلم والبطش والاعتداء والجور سيفا مصلتا من الإرهاب يلجم الأفواه، ويعقد الألسنة، وينكّل بمن يقول كلمة حق أو معروف في وجه الطغيان"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٩٤٩)

٢- حب المقارنة مع الغير: ويعلق (قطب) على ذلك بقوله: "وقد قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك([٢٦])، لأني أكبر منك سنا، وأكثر منك مالا! وقال أبو جهل: والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه!، وواضح أن الكبر النفسي، وما اعتاده الأكابر من الخصوصية بين الأتباع، ومظهر هذه الخصوصية الأول هو الأمر منهم والطاعة والاتباع من الأتباع! . . واضح أن هذا من أسباب تزيين الكفر في نفوسهم، ووقوفهم من الرسل والدين موقف العداء، ويرد الله على قولتهم المنكرة الغبية . . أولا بتقرير أن أمر اختيار الرسل للرسالة موكول إلى علمه المحيط بمن يليق بهذا الأمر الكوني الخطير . . ويرد عليهم ثانيا بالتهديد والتحقير وسوء المصير: الله أعلم حيث يجعل رسالته، سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٢٠٢)

ب- المعوقات الاجتماعية والثقافية: فنجد الكثير من المتفوقين بعد فترة يتوقفون عن إبداعهم، وأغلب الأسباب نابعة من التأثير الاجتماعي، ذلك أن هذه البيئة المحيطة بهم عادة ما تشن عليهم الحرب، ولا تفسح لهم المجال للإبداع، وتناصبهم العداء، وقد يكون هذا العداء حسدا لهم و جمودا في التفكير، فتكون النتيجة كما قال المعري: (المعري، ١٩٦٣: ١٩٤)

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا تجاهلت حتى قيل إني جاهل

ومن هذه المعوقات:

١- العادات والتقاليد والتعلق بأهداف بالية، فكثير من العادات والتقاليد البالية لا تشجع الإبداع، بل تحاربه وأصحابها مطمئنون لما يفعلون، ومتنعمون بالجهل، وينطبق عليهم قول المتنبي:

ذو العلم يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ومنه تفسير (قطب) لقوله تعالى: **{قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا}**٠(إبراهيم: ١٠)، بقوله: "وبدلا من أن يعتز البشر باختيار الله لواحد منهم ليحمل رسالته، فإنهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار، ويجعلونه مثار ريبة في الرسل المختارين، ويعللون دعوة رسلهم لهم بأنها رغبة في تحويلهم عما كان يعبد آباؤهم، ولا يسألون أنفسهم: لماذا يرغب الرسل في تحويلهم؟! وبطبيعة الجمود العقلي الذي تطبعه الوثنيات في العقول لا يفكرون فيما كان يعبد آباؤهم: ما قيمته؟"٠(قطب،١٩٨٦،ج٤: ٢٠٩١)

٢- مواجهة ومقاومة الأفكار الجديدة وعدم مواكبة التغيرات البناءة، ويقرر(قطب) أنه: "مركوز في الفطرة كذلك ألفة القديم، والتعلق بالمألوف، والمحافظة على العادة، ولكن ذلك كله بدرجة لا تشل عملية التطور والإبداع، ولا تعوق الحياة عن الرقي والارتفاع، ولا تنتهي بالأفكار

---

[٢٦]- **مخاطبا النبي ﷺ** ٠

والأوضاع إلى الجمود والركود، إنما هي المقاومة التي تضمن التوازن مع الاندفاع، وكلما اختل التوازن فغلب الجمود في بيئة من البيئات انبعثت الثورة التي تدفع بالعجلة دفعة قوية قد تتجاوز حدود الاعتدال، وخير الفترات هي فترات التعادل بين قوتي الدفع والجذب، والتوازن بين الدوافع والضوابط في جهاز الحياة" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٩٦)

٣- سوء نظام الاتصالات وعدم تدفق وانسياب المعلومات٠

٤- تنازع السلطات وانعدام روح الفريق ٠(عبد الله،٢٠٠١: ١٦٩ -١٩٢)، ويعتبر (قطب) أن التنازع ليس من صفات الإسلام، فيقول: "والذين آمنوا بمحمد ﷺ قد تعاقدوا مع الله – على يديه – تعاقدا عاما على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا تنازع الأمر أهله ٠ وبعضهم وقعت له بعد ذلك عقود خاصة قائمة على ذلك التعاقد العام . . ففي بيعة العقبة الثانية التي ترتبت عليها هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، كان هناك عقد مع نقباء الأنصار . . وفي الحديبية كان هناك عقد الشجرة وهو "بيعة الرضوان" ٠(قطب،١٩٨٦،ج٢: ٨٣٦)

والتمكّن من الإبداع يكون بالتغلب على معوّقاته، وأهمها عدم ربط الإنسان بالله، وأهم الأسباب الباعثة على الإبداع هي ربط الإنسان بالله دائما، والسعيد من وفقه الله بسبب علاقته به، حيث قال تعالى: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً}**٠(الطلاق:٢)، وكان هذا منهج العلماء المسلمين وديدنهم، فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا استغلقت عليه مسألة يظل يستغفر الله حتى يفتح الله عليه٠ (الزهراني،٢٠٠٣: ١٠٥)، وكقوله تعالى: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً}**(الطلاق:٤)، **وقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**٠(البقرة:٢٨٢)

ويرى الباحث أن الفتح من الله ليس فتحا فكريا فقط، بل هو فتح مادي محسوس أيضا لقوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}**(الأعراف:٩٦)، ولقوله تعالى: **{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً}**٠(الجن:١٦)

٩- آثار الإبداع: للإبداع آثاره على المسلم وتتجلى في:

أ- الإبداع ترجمة لتعاليم الله وامتثال لأوامر النبي ﷺ الداعية لذلك، فالله تعالى أبدع كل شيء، وطالبنا نحن الذين نفخة من روحه أن نبدع في الخواطر والأفكار والأقوال والأفعال، وأمرنا النبي ﷺ بذلك: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"٠(البيهقي، ١٩٨٣،ج٧: ٣٤٩) والإحسان في الإسلام هو أعلى درجة فيه كما ورد في حديث جبريل المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان، ويوضح (قطب) بأنه من الفطرة: "هذه هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان لحكمة عليا تناسب خلافته للأرض، ودوره في هذه الخلافة، فهذا الدور يقتضي تحوير الحياة وتطويرها حتى تبلغ الكمال المقدر لها في علم الله، ومن ثم ركز في الفطرة البشرية حب التغيير

والتبديل، وحب الكشف والاستطلاع، وحب الانتقال من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكـــان، ومن مشهد إلى مشهد، ومن نظام إلى نظام . . وذلك كي يندفع الإنسان في طريقه، يغيـــر فـــي واقع الحياة ، ويكشف عن مجاهل الأرض، ويبدع في نظم المجتمع وفي أشكال المادة . . ومن وراء التغير والكشف والإبداع ترتقي الحياة وتتطور؛ وتصل شيئا فشيئا إلى الكمال المقدر لهـــا في علم الله" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٩٦)

ب- الإبداع هو المقياس لحضارة الإنسان والشعوب، وتقاس الأمم بما قـــدمت للبـــشرية مـــن إبداعات ومبدعين٠

ج- الإبداع فيه الحياة للأمة الإسلامية، فكثير من المشكلات الجديدة التي طرأت بسبب التغير في مظاهر الحياة من مواصلات واتصالات وتقدم علمي وتكنلوجي إن لم توضع لها الحلول تصبح الأمة في عزلة عن الحياة وكأنها تعيش بعقلها في العصر الحجري، وتتعرض بذلك إلى الفنـــاء والعدم، وما أشبه ذلك بقصة (دون كيخوتة) الذي عاش في القرن العشرين بفكـــر وتـــصرفات ولباس القرون الوسطى، فكان أضحوكة الناس ٠

د- الإبداع يؤدي إلى التخفيف من التوتر، ويساعد على الحياة الصحية السليمة ٠

فالإبداع ظاهرة صحية ٠(الأعسر،١٩٩٢: ١٣)، والإنسان عندما يتعرض لمشكلة ما فإنه يشعر بنوع من عدم الارتياح والتوتر، ولا يزول هذا التوتر إلا بحلّ هذه المـــشكلة، وبـــذلك يكـــون الارتياح، ويزداد الارتياح عند الإنسان السوي عندما يستفيد الغير من إبداعه في حل مـــشكلات أخرى ٠

الفصل الرابع
أساليب بناء الشخصية الإسلامية

مقدمة:

من المعلوم أن الناس يختلفون في مشاربهم ومآربهم وأفكارهم وتصوراتهم، وهو ما يسمى بالفروق الفردية، كما يختلفون في ألوانهم وأشكالهم٠

والناس ثلاثة أنواع: فمنهم من يصدق بالبرهان، ولا يرضيه إلا قياس تام، وهم الفلاسفة ومن غلبت عليهم الدراسات العقلية، ومنهم من يتعصب لدين معين، وهؤلاء يحتاجون الجدل لإظهار الحق وتبديد البطل، والقسم الأعظم منهم وهم أقرب إلى الفطرة فيهم سلامتها، وعفويتها، ويليق بهم ما التقى فيه الحق مع مخاطبة الوجدان٠(جبّار، ٢٠٠١: ٧٥)

وقد اختلفت أساليب وطرق الرسل والأنبياء في الأديان السابقة في مخاطبتهم أقوامهم، وتنوعت تبعا لهذا الاختلاف أساليب وطرق الدعوة من نبي إلى نبي، ومن رسول إلى رسول، ومن قوم إلى قوم ٠

وقد جاء القرآن الكريم مصدّقا لما جاءت به الأديان السماوية السابقة ومهيمنا عليها: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً}**٠(المائدة: ٤٨)

ورسالة الإسلام الخاتمة ليست ببعيدة عن هذا التنوع الأسلوبي في عرض الرسالة، وكما يتحدث (قطب) عن أسلوب القرآن الكريم بقوله: "كذلك يتخذ الأمثال والمشاهد والحوار والقصص الخفيف أدوات للعرض والإيضاح" . (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢١٥٩)

ولقد أثبت القرآن الكريم قدرته على جذب الباحثين عن الحق إليه من كل عرق وحضارة ولغة ولون، فاهتدوا بهدى الله، أي أن الهدف الأساس في الإسلام هو الاهتداء لدين الإسلام، ويأتي بعد ذلك ترسيخ قواعد الإسلام وبناء الشخصية الإسلامية بناءً على هذا الاهتداء، وهذا ما يفسر طول مدة دعوة النبي ﷺ في مكة للعقيدة٠

وتهدف التربية من المنظور الإسلامي إلى تحقيق ثلاث غايات: (العليمي، ٢٠٠١: ١٤)

أ- بناء الإنسان العابد لربه، بكل ما تعنيه العبادة من معان واسعة: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**٠(الذاريات:٥٦)

ب- بناء الإنسان القادر على تحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}**٠(البقرة:٣٠)

ج- بناء الإنسان القادر على إعمار الأرض: **{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}**٠(هود:٦١)

وهذا البناء للشخصية الإسلامية يدعونا لسرعة العودة إلى مصدر التربية الإسلامية الخالد، وفيه كل ما يحتاجه المسلمون من مفاهيم أساسية تشتق من منهجه الرباني الشامل٠

وبناء الشخصيات الإسلامية يكون بأساليب متنوعة تناسب التنوع البشري، وتصبّ بتنوعها في بوتقة الشخصية الإسلامية الواحدة٠

والسبيل لتحقيق غايات التربية الإسلامية الثلاث لابد من توفر ثلاثة شروط وهي: وجود المحتوى المطلوب، ووجود أساليب وطرائق يخاطب المستهدفين بها، ووجود آليات للتعرف على مدى تحقق الغايات والأهداف المحددة سابقا٠(العليمي، ٢٠٠١: ١٥، ١٦)

ولقد تعددت أساليب بناء الشخصية، ومنها أساليب بناء الشخصية الإسلامية، سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وكذلك في تفسير الظلال كتفسير للقرآن الكريم، أبرز فيه (قطب) ما تناوله القرآن الكريم والسنة النبوية من أساليب بنائية لشخصية المسلم٠

ومن خلال استقراء الباحث لهذه الأساليب سيتناول بمشيئة الله هذه الأساليب بالدراسة والبحث، مع ملاحظة أن الباحث سيقتصر على الأساليب التي ذكرها (قطب) في تفسيره فقط ٠

* **تعريف الأسلوب والوسيلة والفرق بينهما:** الأسلوب لغة: الطريق، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته٠(أنيس وآخرون، ب،ت: ج١: ٤٤٠)

الأسلوب اصطلاحا: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام مقال٠(زيدان، ١٩٩١ : ٤٢٩)

أما الوسيلة لغة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع وسائل، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ}**٠(المائدة: ٣٥)(الجوهري، ١٩٩٤ : ج١: ٧٤٠)

أما الوسيلة اصطلاحا: "مجموعة من الطرق المحبوبة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصال بالمدعوين والتأثير عليهم، مثل استعمال الكتابة، أو المقالة، أو المحاضرة، أو الندوة، أو الخطبة، أو الدرس"٠(أبوفارس،ب.ت: ٨٠)

وقد تأتي الوسيلة بمعنى الأسلوب في لغة المعاصرين، وكذلك الأسلوب بمعنى الوسيلة، ولكن يمكن تخصيص الوسيلة للفكرة أولإيصال الفكرة للمدعوين، والأسلوب: طريقة عرض الفكرة أو الطريقة العملية التي يسلكها الداعية في توصيل الفكرة للمدعوين، كأن يستعمل التمثيل، أو القصة، أو القسم للتلميح، أو الإيجاز، أو الإسهاب٠٠٠إلخ ٠(بني عامر، ١٩٩٩: ١٢٣)

ويفرّق (المطلق) بين الأسلوب والوسيلة فيقول: "والوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو، وأما الأسلوب فهو: فن العرض والتأثير والإقناع، والفرق بينهما أن الوسيلة أعم من الأسلوب إذ أنها هي الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله

للناس"٠(المطلق، ١٩٩٦: ١٧)، ويرى الباحث أن الوسيلة هي طريقة التأثير التي يستخدمها الداعية، كالمحاورة والقصة وغيرها، والأسلوب هو فن عرض وتوصيل هذه الطريقة ٠

وكانت هذه (الأساليب) من الشيوع بحيث ارتفعت إلى مستوى الطريقة أو حلت محلها، وكثيرا ما أطلق عليها المؤلفون والباحثون – تجاوزا أو تجاهلا – اسم "طرائق أو طرق"، وهي ليست في الحقيقة غير أساليب تعمل في خدمة هذه الطريقة التقليدية، وكان (ابن خلدون) من أوائل من أطلقوا على هذه الأساليب مصطلح "طرق التعليم وإفاداته" أو "مذاهبه" ٠(المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ١٩٨٧: ٩٩)

ويمكن تعريف أساليب التربية الإسلامية بأنها: "مجموعة الإجراءات المسلكية التي يقوم بها المربي مسترشدا بما جاء في الكتاب والسنة من أجل تحقيق أهداف التربية الإسلامية في جوانبها المختلفة"٠(أبودف، ٢٠٠٤: ١٢٣)

أولا: أسلوب القصة

١- **تعريف القصة:** القصة لغة: هي من تتبع الخبر أو الأثر، "فقصّ أثره قصّا وقصيصا: تتبّعه"٠(الفيروزآبادي، ١٤١٦ه: ٨٠٨)، وفي الاصطلاح الشرعي: هي الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة٠(القطان، ١٩٨٦: ٣٠٦)

أو هي حكاية نثرية هادفة مستمدة من الخيال والواقع، الخيال الصادق الذي يخلو من الخرافات والأساطير ذات الآثار السلبية في المجالات النفسية والتربوية والاجتماعية، والواقع الذي حدث فعلا٠(عبد الله وآخرون، ٢٠٠١: ١٤٢)

٢- **أهمية القصة:** للقصة في التربية الإسلامية أهمية بالغة وتكمن كما يقرر (قطب) في:

أ- "تركيز قواعد التصور الإسلامي: وإيضاح القيم التي يرتكز عليها، وهي القيم التي تليق بعالم صادر عن الله، متجه إلى الله، صائر إلى الله في نهاية المطاف . . عقد الاستخلاف فيه قائم على تلقي الهدى من الله، والتقيد بمنهجه في الحياة، ومفرق الطريق فيه أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله، أو أن يسمع الإنسان ويطيع لما يمليه عليه الشيطان، وليس هناك طريق ثالث" (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٦١)

و(الخوالدة وعيد) يؤكدان ذلك بقولهما أنها: "تسهم في بناء القيم والاتجاهات الإيجابية بدرجة أكبر من غيرها"٠(الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٠٠)

ب- وسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة الإسلامية: ويتبع ذلك من كون القرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء٠(قطب،ب.ت: ١١١)، والإسلام يدرك هذا الميل فيجعلها وسيلة من وسائل التربية والتقويم٠(قطب، ١٩٧٩: ١٩٣)

ج- أسلوب تربوي فعّال: وذلك كونها تشغل حوالي ربع الكتاب العزيز٠(عبد الله وآخرون، ٢٠٠١: ١٤٢)، وهي تنقل المعرفة والحقيقة بطريقة تصل إلى القلب٠(الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٠٠)

د- فيها سحر يسحر النفوس: أو ما يسمى بالمشاركة الوجدانية، وفيها تأليف بين الغرض الديني والغرض الفني، بل يُجعل الجمال الفني فيها أداة مقصودة للتأثير الوجداني٠ (قطب،ب.ت: ١١)، وهذه المشاركة نابعة من انبعاث الخيال في القصة من متابعة مشاهدها، وتعقبها من موقف إلى موقف، ومن تعرف إلى شعور، ومن مشاعر تتفجر وتفيض، حتى يتخيل الإنسان نفسه داخل الحوادث، ومع ذلك فهو ناج منها متفرج من بعيد ٠(قطب، ١٩٧٩: ١٩٢ ،١٩٣)، وهي تشد القارئ وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها حتى آخر كلمة فيها٠(علوان، ٢٠٠٤: ١٨٩)

هـ- مصدر من مصادر تذوق الجمال والتربية: وفيها متعة وسرور للمنشيء الذي يؤلفها وينشئها، وللوسيط الذي يعرضها، وللمتلقِّي الذي يدركها، ففيها غذاء للوجدان والعقل، وللصغار والكبار٠(عبد المجيد، ب.ت: ١٢)

و- استخدمها القرآن الكريم لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: كتربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات٠(قطب، ١٩٧٩: ١٩٤)

ز- تربي العواطف الربانية: وذلك عن طريق إثارة الانفعالات كالخوف والترقُّب، والرضا والارتياح والحب، والتقزز والكره٠(النحلاوي، ٢٠٠٤: ١٩٠)

٣- أغراض القصة في التربية الإسلامية: للقصة في التربية الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم أغراض أحال قطب قارئ الظلال إليها وهي مفصّلة في كتابه (التصوير الفني في القرآن)(قطب، ١٩٨٦: ٥٥)(قطب،ب.ت:١١٢ ،١٢٠)، وهي:

أ- إثبات الوحي والرسالة: جاء في مقدمة سورة يوسف: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{٢} نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ{٣}}**٠(يوسف: ٢ -٣)

ب- بيان أن الدين كله من عند الله من لدن آدم إلى محمد ﷺ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع وكثيرا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في صورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة، ولما كان هذا غرضا أساسا في الدعوة، وفي بناء التصور الإسلامي فقد تكرر مجيء هذه القصص، على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير،

لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس، ومثال ذلك ما جاء في سورة الأنبياء: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ}**.(الأنبياء: ٤٨)

ومنها: **{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ{٧٨} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ{٧٩} وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ{٨٠}}**.(الأنبياء:٧٨-٨٠)

ج- بيان أن الدين كله موحد الأساس، وأنه كله من عند الله، وتبعا لذلك كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك، مكررة في العقيدة الأساس، وهي الإيمان بالله الواحد على نحو ما جاء في سورة الأعراف: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}**، وقوله تعالى: **{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}**، و:**{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}**، و: **{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}**.(الأعراف: ٦٥-٨٥)

د- بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة وأن استقبال قومهم لهم متشابه، فضلا على أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد، وتبعا لهذا أيضا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضا، مكررة فيها طريق الدعوة، على نحو ما جاء في سورة هود: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ{٢٥} أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ{٢٦} فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ{٢٧} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ{٢٨} وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ{٢٩}}**، إلى أن يقولوا: **{قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ{٣٢}}**.(هود: ٢٥ -٣٢)

هـ- بيان الأصل المشترك بين رسالة محمد ﷺ ورسالة إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل عامة، وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان، فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى، كقوله تعالى:**{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى{١٨} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}**(الأعلى: ١٨ -١٩)، وقوله تعالى: **{مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ}**.(الحج:٧٨)، وقوله تعالى: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}**.(المائدة:٤٨)

و- بيان أن الله ينصر أنبياءه وأولياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتا لنبيه محمد ﷺ، وتأثيرا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان بدعوته: **{وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}**.(هود:١٢٠)، وتبعا لهذا الغرض ترد

قصص الإنبياء مجتمعة، مختومة بمصارع من كذبوهم كما جاء في سورة العنكبوت: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}**٠(العنكبوت:١٤)

ز- تصديق التبشير والتحذير: وعرض نموذج واقع من هذا التصديق، كالذي جاء في سورة الحجر: **{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{٤٩} وأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ{٥٠}}**٠(الحجر:٤٩ -٥٠)، وقوله تعالى: **{فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ{٦١} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ{٦٢} قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ{٦٣} وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ{٦٤} فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ{٦٥} وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ{٦٦}}**٠(الحجر: ٦١ -٦٦)

ح- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه: كقصص سيدنا سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويونس، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى، ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضا٠

ط- تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان: وإبراز العداوة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الخير الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير، ولما كان هذا موضوعا خالدا، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى ٠

ي- وكان للقصة أغراض أخرى متفرقة منها: بيان قدرة الله على الخوارق، كقصة خلق آدم، وقصة مولد عيسى، وقصة الطير وإبراهيم، وقصة القرية الخاوية على عروشها التي أحياها الله، ومنها بيان عاقبة الطيبة والصلاح، وعاقبة الشر والإفساد، كقصة ابني آدم، وقصة صاحب الجنتين، وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصة سد مأرب، وقصة أصحاب الاخدود٠

ومنها بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الإلهية بعيدة الغيبة، كقصة موسى مع العبد الصالح: **{فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً}**٠(الكهف:٦٥)

وهذا ما يؤكده (عبد الله)، حيث ضرب مثلا لذلك قصة وردت في السنة النبوية عن النفر الثلاثة الذين دخلوا غارا فانغلق عليهم، ثم دعوا الله بأفضل ما عملوا، وهي قصة معروفة٠(عبد الله، ١٩٩٧: ١٩٤)

ثانيا: أسلوب القدوة

١- **تعريف القدوة:** القدوة لغة هي: الأسوة٠(ابن منظور،ب.ت: ج١٥: ١٧١)، وتعني الأصل الذي تتشعب منه الفروع٠(أنيس وآخرون،بت،ج٢: ٧٢٧)

أما القدوة اصطلاحا: فتعني"نماذج بشرية متكاملة تقدم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية٠(عبدالله وآخرون، ٢٠٠١: ١٥٢)

"**والقدوة الحسنة** هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالا حسيا مشاهدا ملموسا يُقتدى به، وقد يكون مثالا حاضرا في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير، وقصص، ومن أنباء، وأقوال، أو أفعال"٠(الميداني، ١٩٩٣:،ج١: ٢٠٣)، وقد ينشأ شيء من الغموض نتيجة للتأكيد على أهمية القدوة خاصة وأن الإسلام يحارب التقليد، ويرى ابن عبد البر أن الفرق بين التقليد والقدوة هو أن التقليد يعني الرجوع إلى قول لا يستند إلى دليل، وذلك غير جائز في الشريعة، أما الاقتداء فيكون فيما ثبت عليه حجة٠(ابن عبد البر، ب.ت،ج٢: ١٤٣)

ويرى (الشاطبي) بأن التقليد نوعان: جائز وغير جائز، فالتقليد الجائز يكون في الحالات التي تعتمد على الاستدلال مثل فروع العبادات، وينطبق على هذا قوله تعالى: **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**٠(الأنبياء:٧)

فالإنسان العادي يستطيع أن يقلد من غير حرج من هو أكثر منه علما، أما التقليد غير الجائز فهو ما كان في أصول العقيدة، وعليه فإنه فلا يحق لإنسان أن يؤمن لمجرد أن غيره آمن، بل لا بد من إدراك الإيمان بنفسه، فالأصول التي تعتمد على العقل لا يصح التقليد فيها؛ لأن الناس كلهم يشتركون في العقل فلا معنى للتقليد فيه٠(الشاطبي،ب.ت: ١٥٩، ١٦٠)

والتقليد الأعمى يلغي دور العقل، ولا يوصل إلى أصول العلم أو حتى إلى فروعه: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}**٠(البقرة: ١٧٠)(عبد الله وآخرون، ٢٠٠١: ١٥٣)، ويعلّق (قطب) على ذلك: "فهذا هو سندهم الوحيد، وهذا هو دليلهم العجيب! التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير، التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبر، ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود .

إن الإسلام حرية في الضمير، وحركة في الشعور، وتطلع إلى النور، ومنهج جديد للحياة طليق من إسار التقليد والجمود"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٧٩٣)

٢- أهمية القدوة: للقدوة أهميتها في التربية الإسلامية حيث يميل الإنسان بفطرته إلى المحاكاة والتقليد، وخاصة في سني الإنسان الأولى، وفي فترات الضعف والانكسار، حيث يتّبع المغلوب عادة عقيدة ونهج الغالب كما يقول الشاعر: (حماد ومعمر، ٢٠٠٢: ٢٢٦)

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدي بالعلم منك وينفع التعليم

وهو أسلوب قديم قدم البشرية، وتمتد جذوره مع جذور الإنسان، وكما يوضح (قطب) عن جعل الله نبيه إبراهيم إماما: "إماما يتخذونه قدوة، ويقودهم إلى الله، ويقدمهم إلى الخير، ويكونون له تبعا ، وتكون له فيهم قيادة، عندئذ تدرك إبراهيم فطرة البشر: الرغبة في الامتداد عن طريق الذراري والأحفاد، ذلك الشعور الفطري العميق، الذي أودعه الله فطرة البشر لتنمو الحياة وتمضي في طريقها المرسوم، ويكمل اللاحق ما بدأه السابق، وتتعاون الأجيال كلها وتتساوى .. ذلك الشعور الذي يحاول بعضهم تحطيمه أو تعويقه وتكبيله، وهو مركوز في أصل الفطرة لتحقيق تلك الغاية البعيدة المدى، وعلى أساسه يقرر الإسلام شريعة الميراث، تلبية لتلك الفطرة، وتنشيطا لها لتعمل، ولتبذل أقصى ما في طوقها من جهد"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ١١٢)

والقدوة تطبيق عملي لأنماط السلوك، وتقوم على اشتراك الحواس في عملية التعلم، وبذلك يكون التعلم أشد فاعلية وأقوى استمرارية من التعلم الذي يقوم على التجريد واستخدام الألفاظ٠(عبدالله وآخرون: ٢٠٠١: ١٥٦)، ويشير (قطب) إلى أنّ: "الرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به، وهم بشر، فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجاً من الحياة يملكون هم أن يقلدوه، ومن ثم كانت حياة الرسول ﷺ معروضة لأنظار أمته، وسجل القرآن – كتاب الله الثابت – المعالم الرئيسية في هذه الحياة بأصغر تفصيلاتها وأحداثها، بوصفها تلك الصفحة المعروضة لأنظار أمته على مدار السنين والقرون، ومن هذه التفصيلات حياته المنزلية والشخصية، حتى خطرات قلبه سجلها القرآن في بعض الأحيان، لتطّلع عليها الأجيال وترى فيها قلب ذلك النبي الإنسان" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٩٦١)

والقدوة توفّر الجهد على القائد أو المعلم أو المربي الذي تتطابق أقواله مع أفعاله، ومن هنا فإن القدوة الصالحة تختصر الوقت والجهد في اقناع المقتدين بالنموذج، مما يترك الأثر الإيجابي في النفوس التي تتعامل معه للاقتداء به٠(عبدالله وآخرون، ٢٠٠١: ١٥٦)

ويوضّح (قطب) أنّ المسلمين طبّقوا تعاليم الدين اقتداء بها: "وكذلك فعل الإسلام بمن فقهوه وتكيفوا به، حتى استحالوا نسخا حية منه، وكانت سيرة نبيهم وحياته الواقعية، بكل ما فيها من تجارب الإنسان، ومحاولات الإنسان، وضعف الإنسان، وقوة الإنسان، مختلطة بحقيقة الدعوة السماوية، مرتقية بها خطوة خطوة – كما يبدو في سيرة أهله وأقرب الناس إليه – كانت هي النموذج العملي للمحاولة الناجحة، يراها ويتأثر بها من يريد القدوة الميسرة العملية الواقعية، التي لا تعيش في هالات ولا في خيالات، وتحققت حكمة القدر في تنزيل الرسالة الأخيرة للبشر بصورتها الكاملة الشاملة المتكاملة . وفي اختيار الرسول الذي يطيق تلقيها وترجمتها في صورة

حية، وفي جعل حياة هذا الرسول كتابا مفتوحا يقرؤه الجميع، وتراجعه الأجيال بعد الأجيال"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٦١٧)

و"في التقليد تشابه في الشكل قولا وعملا، وفي المحاكاة تشابه في المفاهيم والمبادئ والأفكار الرئيسة"٠(الأغا، ١٩٩٤ : ١٦٥)

ويؤكد (قطب) أهمية القدوة بقوله: "من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج- وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول- ولكن هذا المنهج يظل حبرا على ورق . . يظل معلقا في الفضاء، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول المنهج إلى حقيقة ٠٠ويتحول إلى حركة٠٠يتحول إلى تاريخ؛ لكي يعرف الناس أنه حق، ثم يتبعوه"٠(قطب، ١٩٧٩: ١٨٠)

٣- مستويات القدوة: للقدوة في الإسلام مستويات وهي:

أ- الاقتداء المطلق بالنبي ﷺ في جميع أفعاله، وأقواله وأحواله، إلا ما كان من خصوصياته كمواصلة الصوم دون فطر، وهذا المستوى هو الأسمى والأعلى والأمثل الذي ينبغي أن يتخذه المسلم لتربية نفسه وتزكيتها، فالرسول ﷺ خير قدوة يقتدى بها لقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}**٠(الأحزاب:٢١) (جبار، ٢٠٠١: ٧٨)

و"قد يكون للإنسان الواحد أكثر من نموذج للقدوة، وقد يكون للأفراد المختلفين قدوة في نموذج واحد محلي أو عالمي، كلي أو جزئي، ونموذج القدوة الذي يصلح كنموذج محلي وعالمي هو شخصية الرسول ﷺ، وهي شخصية متميزة جامعة لنماذج السلوك الحسنة، وهي لذلك أسوة حسنة"٠ (الأغا، ١٩٩٤ : ١٦٤)

ويبين (قطب) أن: "أوجب شيء وأقرب شيء إلى الحكمة والمنطق أن يكون المنذر منهم، بشراً يدرك كيف يفكر البشر وكيف يشعرون، ويحس ما يعتلج في نفوسهم، وما يشتجر في كيانهم، وما يعانون من نقص وضعف، وما يجدون من ميول ونزعات، وما يستطيعون أو لا يستطيعون من جهد وعمل، وما يعترضهم من عوائق وعقبات، وما يعتريهم من مؤثرات واستجابات . . بشراً يعيش بين البشر - وهو منهم - فتكون حياته قدوة لهم، وتكون لهم فيه أسوة . وهم يحسون أنه واحد منهم ، وأن بينهم وبينه شبهاً وصلة، فهم مطالبون إذن بالمنهج الذي يأخذ به نفسه، ويدعوهم لاتباعه، وهم قادرون على الأخذ بهذا المنهج فقد حققه أمامهم بشر منهم في واقع حياته . . . بشراً منهم، من جيلهم، ومن لسانهم، يعرف مصطلحاتهم وعاداتهم وتقاليدهم

وتفصيلات حياتهم، ويعرفون لغته ، ويفهمون عنه، ويتفاهمون معه، ويتجاوبون وإياه، ومن ثم لا تقوم بينه وبينهم جفوة من اختلاف جنسه، أو اختلاف لغته، أو اختلاف طبيعة حياته أو تفصيلات حياته" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠٠٨)

ويضيف (قطب) بأنه: "كان رسول الله ﷺ أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيا وهاديا بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به"٠(قطب، ١٩٧٩: ١٨٣)

ب- الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين٠

ويوضح (الكندهلوي) بأن: "السيرة النبوية، وسير الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية، والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان، وتشعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفاؤها وخمودها في مهب الريح والعواطف المادية التي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها، إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدقتها قلوبهم، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: **{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ}**٠(آل عمران:١٩٣) (الكندهلوي، ١٩٨٧ ،ج١، ١٧)

ويصف (قطب) قدوة النبي ﷺ وصحابته الكرام لنا بقوله: "وكثيرا ما نخطئ نحن حين نتصور للنبي ﷺ ولصحابته – رضوان الله عليهم – صورة غير حقيقية، أو غير كاملة، نجردهم فيها من كل المشاعر والعواطف البشرية، حاسبين أننا نرفعهم بهذا وننزههم عما نعده نحن نقصا وضعفا !٠

وهذا الخطأ يرسم لهم صورة غير واقعية، صورة ملفعة بهالات غامضة لا نتبين من خلالها ملامحهم الإنسانية الأصيلة، ومن ثم تنقطع الصلة البشرية بيننا وبينهم، وتبقى شخوصهم في حسنا بين تلك الهالات أقرب إلى الأطياف التي لا تلمس ولا تتماسك في الأيدي! ونشعر بهم كما لو كانوا خلقا آخر غيرنا . . ملائكة أو خلقا مثلهم مجردا من مشاعر البشر وعواطفهم على كل حال! ومع شفافية هذه الصورة الخيالية فإنها تبعدهم عن محيطنا، فلا نعود نتأسى بهم أو نتأثر، يأسا من إمكان التشبه بهم أوالاقتداء العملي في الحياة الواقعية، وتفقد السيرة بذلك أهم عنصر محرك، وهو استجاشة مشاعرنا للأسوة والتقليد، وتحل محلها الروعة والانبهار، اللذان لا ينتجان إلا شعورا مبهما غامضا سحريا ليس له أثر عملي في حياتنا الواقعية . . ثم نفقد كذلك التجاوب الحي بيننا وبين هذه الشخصيات العظيمة؛ لأن التجاوب إنما يقع نتيجة لشعورنا بأنهم بشر حقيقيون، عاشوا بعواطف ومشاعر وانفعالات حقيقية من نوع المشاعر والعواطف والانفعالات

التي نعانيها نحن، ولكنهم هم ارتقوا بها وصفوها من الشوائب التي تخالج مشاعرنا"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٥: ٢٨٥٥، ٢٨٥٦)

وقد امتاز الصحابة رضوان الله عليهم بميزات: (النحوي، ب.ت: ١٦٥ ،١٦٦)

١- أنهم كانوا يتلقون المنهاج الرباني، والوحي يتنزل على النبي ﷺ ٠

٢- كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ القدوة مباشرة، فيسمعون ويرون منه وفيه مدرسة في كل شيء٠

٣- كانوا يعيشون أحداث النزول ووقائعها ولحظاتها مع كل ما فيها من روعة وإجلال، وتجارب ومعاناة، ونعمة وشدة، ورخاء وبلاء٠

٤- كانوا أفصح الناس لسانا، وأقواهم بيانا، فنزل القرآن بلغتهم، فرأوا فيه المعجزة الكبرى التي تهزّ فصاحتهم وتتحدى بيانهم، فعلموا أنه كلام فوق كلام البشر٠

ج- الاقتداء بسلف أمة محمد ﷺ السائرين على منهجه: والمستنين بسنته، والذين لهم أثر بارز في مجريات التاريخ، الهداة المهديين، الذين اقتدوا تمام الاقتداء برسول الله ﷺ وبمن قبله من الأنبياء الذين أمر الله تعالى بالاقتداء بهم في أصول الاعتقاد: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**٠(الأنعام:٩٠)

ومن المعروف أن مسلمي شرق آسيا اليوم قد أسلموا اقتداء بالتجار المسلمين الذين وصلوا تلك البلاد للتجارة، فأعجبهم صدقهم وأمانتهم فأسلموا طائعين مقتدين بهم٠

و"حيث أن كل فرد لديه ميول وطموح في نوع من أنواع النبوغ فإنه بحاجة إلى قدوة يقتدي به، ويقتفي أثره خاصة من توفي وهو مشهود له بالخير، وكما يقول ابن مسعود: "من كان متأسيا فليتأسّ بمن مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة"٠(ابن عبد البر، ب.ت، ج٢: ٩٧)

د- الاقتداء بالوالدين الصالحَين: إن الابن أول ما يتربى بين والديه، وإخوته، وأسرته، وهو يراقب سلوكهم، ويسير عليه، ويشير (قطب) إلى أن: "الطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للإحياء الأخرى، ذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أضخم دور . . امتدت طفولته فترة أطول، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل . . ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشد من حاجة أي طفل لحيوان آخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة الزم للنظام الإنساني، وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة، وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها، ولا يقوم مقامها، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته، وبخاصة نظام المحاضن

الجماعية التي أرادت بعض المذاهب المصطنعة المتعسفة أن تستعيض بها عن نظام الأسرة في ثورتها الجامحة الشادرة المتعسفة ضد النظام الفطري الصالح القويم الذي جعله الله للإنسان، أو التي اضطرت بعض الدول الأوربية اضطرارا لإقامتها بسبب فقدان عدد كبير من الأطفال لأهليهم في الحرب الوحشية المتبربرة التي تخوضها الجاهلية الغربية المنطلقة من قيود التصور الديني"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١ :٢٣٥)

ويبين (قطب) أيضا بأن: "قدرة الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي كبيرة جدا أكبر مما يظن عادة، ونحن ننظر إليه على أنه كائن صغير لا يدرك ولا يعي"٠(قطب، ١٩٨٧: ١١٧)

هـ- الاقتداء بالمعلمين والمصلحين من الأحياء الذين يستحقون أن يكونوا قدوة في الخير: يقول ابن القيم: "فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ؟ وهل الحاكمُ عليه الهوى أو الوحي، فإن كان الحاكمُ عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطا، ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفُسر بالإسراف، أي قد أفرط، وفسر بالإهلاك، وفسر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بعروته"٠(ابن قيم الجوزية، ١٩٨٤،ج١: ٥٦)

"والحقيقة أن وجود القدوة الذي تكتمل فيه الصفات الكمالية في هذا الزمن قد يكون نادرا، ولكن من غلب خيره على شره فليُقتَد به في الخير"٠(جبار، ٢٠٠١: ٨٦)

و- معاشرة الأصدقاء والصالحين: حيث أن الإنسان مدني بطبعه، ويميل إلى الاجتماع والاتصال بغيره، ويرنو إلى الرفقة التي يشاركها وتشاركه الأفراح والأتراح، والإسلام يهتم بهذه الصحبة التي يستمر أثرها في الحياة وبعد الموت: **{الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ}**٠(الزخرف:٦٧)

ويبين (قطب) بأن: "عداء الأخلاء لينبع من معين ودادهم . . لقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر، ويملي بعضهم لبعض في الضلال، فاليوم يتلاومون، واليوم يلقي بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر، واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاحون، من حيث كانوا أخلاء يتناجون! إلا المتقين . . فهؤلاء مودتهم باقية فقد كان اجتماعهم على الهدى، وتناصحهم على الخير، وعاقبتهم إلى النجاة"٠(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٣٢٠١)

والرسول ﷺ يضرب لنا مثلا محسوسا، ليتم اختيار الصاحب على أساس سليم: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً"٠(البخاري، ١٩٨٧،ج٢: ٧٤١)، وعلى هذا ينبغي على الإنسان اختيار الصديق الوفي الصالح لقوله ﷺ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ"٠(ابن حنبل، ٢٠٠٦، ج٣: ٤١١)

٤- الأسس النفسية لاتخاذ القدوة (التقليد): إن حاجة الناس لقدوة نابعة من حاجة غريزية تكمن في نفوس البشر، وهي التي تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل والقوي والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده إلى اتباع قائده واقتفاء أثره، ولكن التقليد الغريزي في القطيع هو أحد أنواع التقليد، ويرتقي التقليد بارتقاء المجتمع، حتى يبلغ في التربية الإسلامية ذروته من الوعي والسمو والهدف النبيل، وتتضح هذه الأسس من معرفة أسس التقليد (القدوة) وهي: (النحلاوي، ٢٠٠٤: ٢٠٧)

أ- الرغبة في المحاكاة والتقليد فالطفل أو الفتى مدفوع برغبة خفية لا يشعر بها للاقتداء، وهذا التقليد غير المقصود، وأما التقليد المقصود فهو طلب المعلم مثلا من طلابه تقليده في نطق بعض الكلمات الفصيحة، ولذلك نبّه القرآن الآباء إلى عدم انشغالهم أن يكونوا قدوة لأولادهم في خضم حنانهم وعطفهم عليهم، كما قال تعالى في صفات عباد الرحمن: **{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}**(الفرقان:٧٤)، ويبين (قطب) بأنّ: "عباد الرحمن لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجدا وقياما، وأنهم يتسمون بتلك السمات العظيمة كلها، بل يرجون أن تعقبهم ذرّية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواج من نوعهم؛ فتقر بهم عيونهم، وتطمئن بهم قلوبهم، ويتضاعف بهم عدد عباد الرحمن ويرجون أن يجعل الله منهم قدوة طيبة للذين يتقون الله ويخافونه: **والذين يقولون: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما . .**

وهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق: شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله، وفي أولهم الذرية والأزواج، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يسأل عنها الرجال، والرغبة كذلك في أن يحس المؤمن أنه قدوة للخير، يأتم به الراغبون في الله، وليس في هذا من أثرة ولا استعلاء فالركب كله في الطريق إلى الله" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٥٨٠، ٢٥٨١)

وكذلك نبّه النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"٠(ابن حنبل،ب.ـ،ج١: ٢١٨)(الميداني، ٢٠٠٤: ٢٠٨)

ويبين (قطب): "إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق؛ ولا يسأل: إلى أيــن نمــضي؟ ولا يعرف معالم الطريق، والإسلام رسالة التحرر الفكري والانطلاق الشعوري لا تقر هذا التقليــد المزري، ولا تقر محاكاة الآباء والأجداد اعتزازاً بالإثم والهوى، فلا بد من سند، ولا بــد مــن حجة، ولا بد من تدبر وتفكير، ثم اختيار مبني على الإدراك واليقــين" ٠ (قطــب،١٩٨٦،ج٥: ٣١٨٢)

ب- الاستعداد للاقتداء والتقليد: فلكل مرحلة من مراحل العمر استعداداتها وطاقاتها المحــدودة، فلم يأمر الإسلام الأطفال بالصلاة قبل سبع سنين، ولا يمنع ذلك ترك الطفل من تقليد أبويه، وقد لا يستطيع بعض المكلّفين تقليد بعض العبادات بصورة كاملة لأسباب مَرَضية، ولذلك قال تعالى: **{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}**(البقرة: ٢٨٦)، ويشير (قطب) بأن: "اختلاف الاستعدادات بين فــرد وفرد من هذا الجنس سنّة من سنن الخالق، لتنويع الخَلق – مع وحدة الأصل والنشأة – لتقابــل هذه الاستعدادات المختلفة وظائف الخلافة المختلفة المتعددة المتنوعة . وما كان الله ليجعل الناس جميعا نسخا مكررة كأنما طبعت على ورق "الكربون" . . على حــين أن الوظــائف اللازمــة للخلافة في الأرض وتنمية الحياة وتطويرها منوعة متباينة متعددة . . أما وقد مضت مشيئة الله بتنويع الوظائف فقد مضت كذلك بتنويع الاستعدادات؛ ليكون الاختلاف فيها وســيلة للتكامــل . وكلف كل إنسان أن يتحرى لنفسه الهدى والرشاد والإيمان، وفيه الاستعداد الكامن لهذا، وأمامه دلائل الهدى في الكون، وعنده هدى الرسالات والرسل على مدار الزمان، وفي نطــاق الهــدى والإيمان يمكن أن يظل التنوع الخير الذي لا يحشر نماذج الناس كلهم في قالب جامــد! ولكــن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٨٤)

ولكن النبي ﷺ نهى عن التقليد إذا كان بدون هدف: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَــبْلَكُمْ شِــبْرًا شِــبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ" (البخاري، ١٩٨٧،ج٦: ٢٦٦٩)

ج- الهدف: لكل تقليد هدف يكون معروفا لدي المقلِّد وقد لا يكون، والهدف الحيوي (الغــامض) الأول من غريزة التقليد والانقياد لدي الأطفال والجماعات هو غرض دفاعي عن الكيان الفردي وكأنه انضواء في ظل الشخص القوي المرموق، يقلده شخص أضعف منه، لعله يستمد من هــذا التقليد قوة وبأسا، من جنس قوة الشخص الذي حاز إعجابه فراح يحاكيه في كل شيء٠

فإذا ارتقى الوعي عند المقلِّد، عرف الهدف من التقليد، فأصبح هذا التقليد عملية فكرية، يمــزج فيها بين الوعي والانتماء والمحاكاة والاعتزاز، ويصبح لهذا التقليد الواعي في التربية الإسلامية

اسم آخر هو الاتِّباع، وأرقى أنواعه ما كان على بصيرة([٢٧])، وكما قال تعالى: **{قُلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**٠(يوسف: ١٠٨)، وفائدة هذا الاقتداء لقادة المسلمين وعظمائهم أن يعرف الناشئ من خلاله أن فيه الفلاح والقوة والطاعة لله، ويدعوا في كل صلاة أن يرزقه الله الاقتداء بهم: **{اهدِنَـــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ{٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ{٧}}**٠(الفاتحة:٦ ،٧)(الميداني، ٢٠٠٤: ٢٠٩ ،٢١٠)

٥- أنواع القدوة وعناصرها: يرى (أبو العينين) أنه يمكن الاقتداء بالنبي ﷺ أولا وقبل كل شيء بالعقل والعلم وهو الأصل، وعنصر الينابيع، ونقطة الدائرة، ثم الاقتداء به في صنوف الأخلاق المختلفة٠(أبو العينين، ١٩٨٧ : ١٣٣، ١٤٢)

ويبين قطب أنّ: "الرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية، وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي، النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به، وهم بشر، فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجاً من الحياة يملكون هم أن يقلدوه" . (قطب،١٩٨٦،ج٥: ٢٩٦١)

ويرى (علوان) أيضا أن الاقتداء بالرسول ﷺ يكون في مجالات مختلفة كالدعوة إلى الله، والعبادة، والأخلاق الفاضلة: كالكرم، والزهد، والتواضع، والحلم، والشجاعة، وحسن السياسة، وقدوة الثبات على المبدأ٠(علوان، ١٩٩٨: ٤٧٧ ،٤٨٧)، وللقدوة عناصر، وهي:

أ- الإخلاص لله تعالى٠

ب- المتابعة للرسول ﷺ ٠

ج- موافقة العمل للقول، وذلك لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{٢} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ{٣}}**٠(الصف: ٢ -٣)

د- الشعور بالمسئولية أمام الله ٠

هـ- الإلمام الشامل بالعلوم، مع الإبداع في التخصص٠

و- ممارسة المثل الإسلامية العليا في السلوك والأقوال٠ (جبار، ٢٠٠١: ٨٧ -٩٠)

ثالثا: أسلوب الحوار(المحاورة)

١- تعريف الحوار: الحوار لغة: التحاور، التجاوب، والمحاورة: المجاوبة٠(الرازي،ب.ت:٩)

والحوار اصطلاحا: "محادثة بين طرفين أو أكثر يعرض فيها كل طرف أفكاره، ويبين موقفه، ويقدم قرائنه بقصد توضيح فكرته وتدعيم رأيه، والوصول إلى نتائج أو قناعة مشتركة، أو تغليب رأي على آخر، أو ترجيح فكرة على أخرى"٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢١١)

---

[٢٧]- أي على معرفة بالغاية والأسلوب ٠

٢- أهمية الحوار(المحاورة): تعد المحاورة من أرقى أساليب التربية الإسلامية، حيث أن هذا الأسلوب يتبادل فيه الطرفان وجهات النظر، وتتلاقح فيه الآراء، ويعطي كل طرف حرية طرح رأيه، أو فكرته، وفرصة الرد والمناقشة، وعادة ما تتسم المحاورة بالهدوء والرزانة، وهي تسعى إلى إيضاح مفاهيم خاطئة، أو أمور غامضة، أو أسئلة حائرة، لا يجد لها أحد الطرفين أو كلا منهما إجابة ٠(الأهدل، ٢٠٠٦: ١٢٦)

وهو يغري السامع والقارئ بالمتابعة بقصد معرفة النتيجة، ويوقظ العواطف والانفعالات مما يساعد على تربيتها٠ (النحلاوي، ٢٠٠٤: ١٦٧)

والحوار جزء مهم في العلاقات الإنسانية، إذ به تتحقق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطرة السليمة من ناحية، وللتعاليم المحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار، الذي تستنير به الفطرة السليمة٠(لاوند، ٢٠٠٦: ٢٤٢)

٣- أنواع الحوار: للحوار في القرآن الكريم أنواع أهمها:

أ- الحوار التشريعي التعبدي: ويكون من الله المشرِّع إلى المؤمنين أو الناس، أو التذكير بنعمه أو التنبيه أو الإيضاح، ويكون على هيئة سؤال يليه جواب، وغايته لفت الأنظار إلى أمر هام، مثل قوله تعالى: **{عَمَّ يَتَسَاءلُونَ{١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ{٢} الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ{٣}}**٠(النبأ:١ -٣)(جبار، ٢٠٠١: ٩٣، ٩٤)

ويعلّق عليها (قطب) بقوله: "عم يتساءلون؟ . . وعن أي شيء يتحدثون؟ ثم يجيب، فلم يكن السؤال بقصد معرفة الجواب منهم، إنما كان للتعجيب من حالهم وتوجيه النظر إلى غرابة تساؤلهم، بكشف الأمر الذي يتساءلون عنه وبيان حقيقته وطبيعته: عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون . . ولم يحدد ما يتساءلون عنه بلفظه، إنما ذكره بوصفه . . النبأ العظيم . . استطرادا في أسلوب التعجيب والتضخيم . . وكان الخلاف على اليوم بين الذين آمنوا به والذين كفروا بوقوعه، أما التساؤل فكان من هؤلاء وحدهم، ثم لا يجيب عن التساؤل، ولا يدلي بحقيقة النبأ المسؤول عنه، فيتركه بوصفه . . العظيم . . وينتقل إلى التلويح بالتهديد الملفوف، وهو أوقع من الجواب المباشر، وأعمق في التخويف"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٨٠٣)

ومن أنواعه أيضا: الحوار الخطابي الوجداني، ومنه الحوار العاطفي الترديدي وذلك بترديد سؤال معين كما في سورة الرحمن، ومنه الحوار الخطابي التعريضي كالتعريض بالمشركين٠

ومنه الحوار الخطابي التعبدي، فإذا قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا، وكلّما قرأه مؤمن لهج قلبه بالجواب: (لبيك يارب)(النحلاوي، ٢٠٠٤: ١٦٨)

وأشهر ما ورد في ذلك الحوار الحديث النبوي عن سورة الفاتحة: "عن رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل . . إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين . قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله أثني علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل . . ولعل هذا الحديث الصحيح – بعدما تبين من سياق السورة ما تبين – يكشف عن سر من أسرار اختيار السورة ليرددها المؤمن سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة؛ أو ما شاء الله أن يرددها كلما قام يدعوه في الصلاة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٦)

ب- الحوار القصصي: ويكون في طيات قصة واضحة، كقصص الأنبياء مع أقوامهم ومنها حوار المستكبرين والضعفاء يوم القيامة، وحوارهم مع خزنة جهنم ٠(جبار، ٢٠٠١: ٩٧) ويعلّق (قطب) على حوار الضعفاء والمستكبرين في الآخرة فيقول: "ويستطرد السياق بالقصة حتى يصل طرفها بالآخرة، فإذا هم هناك، وإذا هم يتحاجون في النار، وإذا حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعاً مع خزنة جهنم يطلبون فيه الخلاص، ولات حين خلاص"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٣٠٦٧)

ومن ذلك قوله تعالى: **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى{١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى{٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى{٥} ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى{٦} وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى{٧} ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى{٨} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى{٩} فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى{١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى{١١} أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى{١٢} وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى{١٣} عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى{١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى{١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى{١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى{١٧} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى{١٨}}**٠(النجم: ١ –١٨)

ج- الحوار الوصفي: ويقصد به وصف حالة نفسية معينة لشخص أو أشخاص، والهدف الحث على الاقتداء بهم في الخير، أو الابتعاد عنهم في الشر٠(النحلاوي، ٢٠٠٤: ١٧٧)، ومثاله قوله تعالى: **{وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ{٢٠} هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ{٢١} احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{٢٢} مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ{٢٣} وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ{٢٤} مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ{٢٥} بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ{٢٦} وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ{٢٧} قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ{٢٨} قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ{٢٩} وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ{٣٠} فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ{٣١} فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ{٣٢}}**٠(الصافات: ٢٠ –٣٢)، ويعلّق (قطب): "وهكذا ينتقل السياق من الخبر إلى الخطاب موجهاً لمن كانوا يكذبون بيوم الدين، وإن هي إلا تقريعة واحدة حاسمة، ثم يوجه الأمر إلى الموكلين بالتنفيذ: احشروا الذين ظلموا

وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فأهدوهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم إنهم مسؤولون ٠٠٠ بل هم اليوم مستسلمون . . عابدين، ومعبودين !!! ثم يعود السياق مرة أخرى إلى الحكاية، ويعرض مشهدهم يجادل بعضهم بعضاً"٠(قطب،١٩٨٦،ج٥: ٢٩٨٦)

د- الحوار الجدلي لإثبات الحجة: وهو حوار يجري بين الحق والباطل، وهو قوي البرهان، واضح الحجة، وغايته الرد على أي شبهة، ودحض أي دعوى، وإثبات الحجة على المشركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمد ﷺ، وهو يلبي حاجة الدعوة الجديدة، ومن ذلك حوار الأنبياء مع أقوامهم، ويشير(قطب) إلى أن في: "القصص تتمثل ألوان من الفتن، ومن الصعاب والعقبات في طريق الدعوة . . ففي قصة نوح – عليه السلام – تتبدى ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة، فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم لم يؤمن له إلا القليل فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . . وفي قصة إبراهيم مع قومه يتبدى سوء الجزاء وطغيان الضلال، فقد حاول هداهم ما استطاع، وجادلهم بالحجة والمنطق: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه . . وفي قصة لوط يتبدى تبجح الرذيلة واستعلانها، وسفورها بلا حياء ولا تحرج، وانحدار البشرية إلى الدرك الأسفل من الانحراف والشذوذ؛ مع الاستهتار بالنذير: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين . . وفي قصة شعيب مع مدين يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل، والتكذيب: فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٧٢٧)

رابعا: أسلوب المثل

١- **تعريف المثل:** المثل لغة: الشبه، وما يضرب به من المثال، ومثل الشيء صفته ٠(الرازي، ب.ت: ٢٨١)، والمثل في أصل كلامهم، بمعنى المثل والنظير٠٠٠ ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة٠(الزمخشري، ب.ت: ١٩٥)

ويعرفه (ابن قيم الجوزية) بأنه: "تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"٠(ابن قيم الجوزية، ١٩٨٢: ١٧٣)

والمثل اصطلاحا: عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، والتمثيل تقديم الأفكار أو المعاني بصورة مثل لتجسيد تلك الأفكار٠(عبد الله وآخرون، ٢٠٠١: ١٤٦)

٢- أهمية المثل (الأمثال):

فـ(حماد ومعمر) يعتقدان أن أسلوب الأمثال وسيلة تربوية مكملة للقصص القرآني٠(حماد ومعمر، ٢٠٠٢: ٣٤٣)، وهي تفيد في تقريب الفكرة إلى أذهان المتعلمين، وذلك بوضع محددات عامة للتصوير وربط الأشياء والأمور بعلاقات واضحة، وهي تلخيص للخبرات الإنسانية المتفق عليها، وتشكل معايير القبول والرفض للأشياء والأعمال ووسائل قياس الأعمال والإنجازات، وتسهل تذكر المعلومات، وتثير الانفعالات المناسبة، فاستعمال لفظ (الحمار) في المثل القرآني للذين يحملون التوراة ولم يفهموا ما فيها يحمل تنفيرا من هذا الفعل٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٠٣ ،٢٠٤)، ويقرر(قطب) أنّ: "العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره، والله – جلّت حكمته – يريد بها اختبار القلوب، وامتحان النفوس" ٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٥٠)، وهي تساعد على تصوير المعاني وتجسيدها في الذهن، واسترجاعها عند الحاجة٠(يالجن، ١٩٨١: ١٩٨)، ويجتمع في المثل أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكفاية٠(عبد المجيد، ٢٠٠٦: ٨٣)

والمثل يبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة من الفهم، وهو يكشف عن الحقائق، ويعرض للغائب في معرض الحاضر، وهو أبلغ في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع٠(العليمي، ٢٠٠١: ١٢٥)

ويبين (قطب) أنه: "كانت هناك نفوس شحيحة ضنينة بالمال تحتاج إلى هذه الإيقاعات القوية، والإيحاءات المؤثرة، كما تحتاج إلى ضرب الأمثال، وتصوير الحقائق في مشاهد ناطقة كيما تبلغ إلى الأعماق"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٠٤)

٣- أنواع الأمثال: يرى جبار أن للأمثال ثلاثة أنواع: (جبار، ٢٠٠١: ١١٠)

أ- الأمثال المصرّحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، وما يدل على التشبيه، كقوله تعالى: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ}**٠(البقرة: ١٧)، ومن ذلك قوله تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ{١٧٥} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{١٧٦}}**٠(الأعراف: ١٧٥ ، ١٧٦)

ويعلّق (قطب) على الآيات بقوله: "وكمثل للانحراف عن سواء الفطرة، ونقض لعهد الله المأخوذ عليها، ونكوص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها . . ذلك الذي آتاه الله آياته، فكانت في متناول نظره وفكره؛ ولكنه انسلخ منها، وتعرى عنها ولصق بالأرض، واتبع الهوى؛ فلم

يستمسك بالميثاق الأول، ولا بالآيات الهادية؛ فاستولى عليه الشيطان؛ وأمسى مطروداً من حمى الله، لا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار . . ولكن البيان القرآني المعجز لا يصوغ المثل هذه الصياغة! إنما يصوره في مشهد حي متحرك، عنيف الحركة، شاخص السمات ، بارز الملامح، واضح الانفعالات؛ يحمل كل إيقاعات الحياة الواقعة، إلى جانب إيقاعات العبارة الموحية ٠٠٠إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات . . إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع . . ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه؛ فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٣٩٦)

ويقسّم (الأغا) الأمثال المصرّحة إلى قسمين: مألوف، وغير مألوف يمكن استيعابه بسهولة، ويطلق الأغا على المثال السابق ــ الذي انسلخ من آيات الله ــ اسم المثال المألوف، أما غير المألوف عنده فهو كقوله تعالى: **{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**٠(البقرة: ٢٦١) (الأغا، ١٩٩٤: ٢٠٠ ، ٢٠١)

ب- الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرّح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معاني رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشابهها، كقوله تعالى: **{لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}**٠(البقرة: ٦٨)

ج- الأمثال المُرسلة: وهي جمل قرآنية أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، كقوله تعالى: **{الآنَ حَصْحَصَ الْحَقّ}**٠(يوسف: ٥١)

خامسا: أسلوب العبرة

١- **تعريف العبرة:** قال الخليل: (العِبْرَةُ) و (الاعْتِبَارُ) بما مضى أي الاتعاظ والتذكر٠(الرافعي،ب.ت،ج٢: ٣٩٠)

أما اصطلاحا: "الحالة التي يتوصل بها من معرفة الشاهد إلى ما ليس بشاهد، والمراد منه التأمل والتفكير"، فالعبرة والاعتبار حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى والمآل لأمر ما يشاهده الإنسان ويتبصر فيه ويقوم باستقرائه وموازنته ومقايسته ومحاكمته محاكمة عقلية؛ فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيدفعه ذلك إلى سلوك فكري واجتماعي مناسب٠ (النحلاوي، ٢٠٠٤: ٢١٩)

٢- أهمية العبرة: تعتبر العبرة إحدى أساليب التعلم من الغير دون بذل مجهود يذكر، أي التعلّم عن طريق الخبرة غير المباشرة، وبدون حصول معاناة، وتختصر الوقت في اكتساب الخبرة،، وكذلك يمكن الانتقاء من الموقف المعتبر منه، أي اختيار تفاصيل معينة مع حذف التفاصيل الأخرى٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٨٤)

والعبر في الإسلام تجلو البصائر والأبصار لمن يتدبرها: "وإن كان لا يراها إلا الذين يخافون الآخرة فتتفتح بصائرهم بهذه التقوى التي تجلو البصائر والقلوب . . والذين لا يخافون الآخرة تظل قلوبهم صماء لا تتفتح للآيات، ولا تحس بحكمة الخلق والإعادة، ولا ترى إلا واقعها القريب في هذه الدنيا، وحتى العبر التي تمر في هذه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤ : ١٩٢٩)

و"الغاية التربوية من العبرة في القرآن الكريم الوصول بالسامع إلى قناعة فكرية بأمر من أمور العقيدة، تحرك في القلب أو تربي عواطف ربانية، كما تغرس وتثبت وتنمّي عقيدة التوحيد والخضوع لشرع الله والانقياد له" ٠(النحلاوي،١٤٢٥: ٢١٩)

٣- أنواع العبر: للعبر في أسلوب القرآن ثلاثة أنواع:

أ- الاعتبار من تدبر الكون ومن مخلوقات الله ونعمه: كقوله تعالى: **{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}**٠(النحل:١٢)

وقوله: **{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ{٦٦} وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ{٦٧}}**٠(النحل: ٦٦ -٦٧)(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٨٥)(النحلاوي، ٢٠٠٤: ٢٢)، ويضيف (قطب): "ولا بد من بصر ينظر وبصيرة تتدبر، لتبرز العبرة، وتعيها القلوب، وإلا فالعبرة تمرّ في كل لحظة في الليل والنهار"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٧٣)

ب- الاعتبار بالقَصص: فلكل قصة قرآنية أو نبوية هدف تربوي أو أهداف، ولا يَتوصل إليها إلا صاحب الفكر الواعي، وذلك لقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ}**٠(يوسف:١١١)، ويعلق (قطب) على العبر من القصص القرآني، فيقول: "وبين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فها بدلالة القصص – في سورة القصص – ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة . . وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص، وتساوقها وتتناسق معها؛ وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مدار الزمان"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٦٧٤ ،٢٦٧٥)

ج- الاعتبار بالحوادث التاريخية: وتهدف هذه الحوادث إلى أخذ العبر منها، وهي مختلفة باختلاف الحوادث، كقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا**

ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}٠(الحشر:٢)

ويقرر (قطب) أن الله: "يحذر الله الذين يرثون الأرض من بعد أهلها . . يحذرهم الغفلة والغرة، ويدعوهم إلى اليقظة والتقوى، ويلفتهم إلى العبرة في مصارع الغابرين الذين ورثوا هم الأرض من بعدهم، فإنما تنتظرهم سنة الله التي لا تتبدل، والتي يتكيف بها تاريخ البشر على مدارج القرون، وتنتهي الوقفة بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ: تلك القرى نقص عليك من أنبائها. . . لإظهاره على سنة الله فيها، وعلى حقيقة هذه القرى وأهلها: وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين . . فهذا الرسول الأخير وأمته هم الوارثون لحصيلة رسالة الله كلها، وهم الذين يفيدون من أنبائها وعظاتها"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٣٣٥ ،١٣٣٦)

ويضيف (قطب) في وصفه للعاقل المدرك: "وذكرهم بأيام الله .. وكل الأيام أيام الله، ولكن المقصود هنا أن يذكرهم بالأيام التي يبدو فيها للبشر أو لجماعة منهم أمر بارز أو خارق بالنعمة أو بالنقمة ٠٠٠ وقد ذكرهم بأيام لهم، وأيام لأقوام نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، فهذه هي الأيام، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . . ففي هذه الأيام ما هو بؤسى فهو آية للصبر، وفيها ما هو نعمى فهو آية للشكر، والصبار الشكور هو الذي يدرك هذه الآيات، ويدرك ما وراءها، ويجد فيها عبرة له وعظة؛ كما يجد فيها تسرية وتذكيرا" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٠٨٨)

سادسا: أسلوب الموعظة

١- تعريف الموعظة:

الموعظة من: "وعظه يعظه وعظا وموعظة: ذكّره ما يليّن قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ"٠(الفيروزآبادي، ١٩٨٦: ٩٠٣)

أما الموعظة في الاصطلاح فهي: "النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرقّ له القلب ويبعث على العمل، أي ذلك الذي تقدم من الأحكام والحدود المقرونة بالحكم والترغيب والترهيب يوعظ به أهل الإيمان بالله والجزاء على الأعمال في الآخرة، فإن هؤلاء هم الذين يتقبلونه، ويتعظون به، فتخشع له قلوبهم ويتحرون العمل به قبولا لتأديب ربهم وطلبا للانتفاع به في الدنيا، ورجاء مثوبته ورضوانه في الأخرى"٠(رضا، ١٩٢٧: ٤٠٣)

وقيل: "أنها كلام مصحوب بزجر، وقيل: هي النصح والتذكير بالعواقب، وقيل: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب" ٠(العنزي،١٤٢٦: ١٣٦)، ويرى الباحث أن الموعظة قد تشمل كل ما سبق أو بعضه، ففي الموعظة الواحدة قد يستخدم الواعظ النصح والإرشاد، وقد يستخدم الزجر، وقد يستخدم الترغيب والترهيب، وذلك حسب حالة الموعوظ بها وجرمه ٠

والمقصود بالموعظة هنا الموعظة الحسنة لقوله تعالى: **{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}**٠(النحل:١٢٥)

٢- أهمية الموعظة:

للموعظة أهميتها في التربية الإسلامية حيث يرى (قطب) أن الموعظة هي أول الأشياء الواجبة على رب الأسرة أو القيّم في المقام الأول، فيقول: "هذا هو الإجراء الأول، الموعظة . . وهذا هو أول واجبات القيم ورب الأسرة، عمل تهذيبي، مطلوب منه في كل حالة: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، وقودها الناس والحجارة"٠(قطب، ١٩٨٦: ٦٥٣)، وهي أسلوب من أكثر الأساليب التربوية انتشارا، فلا يكاد يخلو موقف تربوي من المواعظ والنصائح والإرشادات التي توجه للمتربين٠(القاضي، ٢٠٠١: ١٧٢)

ويشير (قطب) أنّ: "الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٠١، ٢٢٠٢)، ويضيف الشرقاوي: "وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس، وتصبح دافعا من أعظم الدوافع في تربية النفوس"٠(الشرقاوي، ١٩٨٣: ٢١٤)

ويؤكد (قطب) ذلك بقوله: "وفي النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام، وهو استعداد مؤقت في الغالب؛ ولذلك يلزمه التكرار٠٠٠ وهي لا تكفي وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على الأسوة بها ٠٠٠ ثم إنها من جانب آخر ضرورة لازمة، ففي النفس دوافع فطرية في حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب، ولا بد في هذا من الموعظة، فقد لا يلتقط الإنسان القدوة الصالحة، أو قد لا تكفيه بمفردها"٠ (قطب، ١٩٧٩: ١٨) ويوضح (قطب) حاجتنا الدائمة للتذكير بالمواعظ، فيقول: "الله الذي خلق هذه النفوس يعلم أنها ليست كلها مما يتأثر ويستجيب ويتكيف ويستقر على ما تكيف به منذ اللمسة الأولى، وكان يعلم أن رواسب الماضي، وجواذب الميول الطبيعية، والضعف البشري، وملامسات الواقع، وتحكم الإلف والعادة، كلها قد تكون معوقات قوية تغلب عوامل التربية والتوجيه مرة بعد مرة، وتحتاج في مقاومتها إلى التذكير المتكر، والصهر المتوالي . . فكانت الأحداث تتوالى كما هي منسوقة في قدر الله، وتتوالى الموعظة بها، والتحذير على ضوئها، والتوجيه بهديها، مرة بعد مرة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٥٣٧)

والموعظة توفر الجهد عن طريق نقل الخبرة من الراشدين إلى غيرهم ممن دونهم سنّاً، وتنّـوه الفرد وتنبهه لما قد يغفل عنه في ظرف من الظروف، أو في حادثة من الحوادث لغفلته، و لفرط حماسته، أو لعدم إدراكه للكل في معرض صراعه مع الجزء، والتذكر هو العملية العقلية التـي تساعد على تحقيق هذا الهدف، وهي تدلل على الألفة والمحبة بين الناس، وذلك من شـعورهم بالاهتمام بمصالحهم والرغبة في مساعدتهم، وهي تساعد الإنسان على تجنب الفشل٠ (الأغـا، ١٩٩٤ : ٢٦٦، ٢٦٧) وفي هذا المعنى مـن مـساعدة النـاس وتـأليفهم بالموعظـة يقـول (الزمخشري): "إن الموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بهـا وتقـصد مـا ينفعهم" .(ابن حميد، ٢٠٠١: ٧)

ويبين (قطب) أن: "النور موجود، ولكن لا تدركه إلا البصيرة المفتوحة، وإن الهـدى موجـود، ولكن لا تدركه إلا الروح المستشرفة، وإن الموعظة موجـودة، ولكـن لا يلتقطهـا إلا القلـب الواعي"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٩٠٠)

والموعظة تحيي القلوب وتشفيها من الخرافة كما يقرر(قطب): "جاءتكم في ذلك الكتاب الـذي ترتابون فيه، جاءتكم الموعظة من ربكم فليس هو كتاباً مفترى، وليس ما فيه من عند بـشر . جاءتكم الموعظة لتحيي قلوبكم، وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشك الذي يسيطر عليها، والزيغ الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها، جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقـين والاطمئنان والسلام مع الإيمان، وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل، ورحمة من الضلال والعذاب"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٧٩٩)

ويعلق (قطب) على أسلوب القرآن في التعامل مع الزوجة التي يُخـشى نـشوزها: "والمـنهج الإسلامي لا ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل، وتعلن راية العصيان؛ وتسقط مهابة القوامة؛ وتنقسم المؤسسة إلى معسكرين . . فالعلاج حين ينتهي الأمر إلى هذا الوضع قلما يجدي، ولا بد مـن المبادرة في علاج مبادىء النشوز قبل استفحاله؛ لأن مآله إلى فساد في هذه المنظمة الخطيرة، لا يستقر معه سكن ولا طمأنينة، ولا تصلح معه تربية ولا إعداد للناشئين في المحضن الخطيـر، ومآله بعد ذلك إلى تصدع وانهيار ودمار للمؤسسة كلها؛ وتشرد للناشئين فيها؛ أو تربيتهم بـين عوامل هدامة مفضية إلى الأمراض النفسية والعصبية والبدنية . . وإلى الشذوذ . . فالأمر إذن خطير، ولا بد من المبادرة باتخاذ الإجراءات المتدرجة في علاج علامات النشوز منذ أن تلوح من بعيد . . وفي سبيل صيانة المؤسسة من الفساد، أو من الدمار، أبيح للمسئول الأول عنها أن يزاول بعض أنواع التأديب المصلحة في حالات كثيرة . . لا للانتقام، ولا للإهانة، ولا للتعذيب . . ولكن للإصلاح ورأب الصدع في هذه المرحلة المبكرة مـن النـشوز: واللاتـي تخـافون

نشوزهن، فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن الله كان عليًا كبيرًا . . . إنها شرعت كإجراء وقائي – عند خوف النشوز – للمبادرة بإصلاح النفوس والأوضاع، لا لزيادة إفساد القلوب، وملئها بالبغض والحنق، أو بالمذلة والرضوخ الكظيم . . . واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن . . . هذا هو الإجراء الأول . . الموعظة . . وهذا هو أول واجبات القيم ورب الأسرة، عمل تهذيبي، مطلوب منه في كل حالة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٦٥٣)

٣- شروط الموعظة الحسنة: يبين (قطب) **أنّ:** "الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله .

والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٢٠١ ،٢٢٠٢)، فالإنسان قد يعظ أناسا دون سابق إنذار كالمواعظ التي تكون عقب الصلوات المكتوبات وغيرها، فقد يكون عند بعض المدعوين شيء من الجفاء والإعراض والصدود، مع معرفته بالحق وعلمه به، فهذا يدعى بالموعظة الحسنة، والمتأمل في واقع الناس يجد أن هذا الصنف هو الغالب وذلك بسبب غلبة الشهوة على نفوسهم، من شهوة البطن، أو شهوة الفرج، وغيرها كثير، وإن كانت شهوة البطن وشهوة الفرج أصل كل شهوة، ولذلك تجد العصاة أكثر من المطيعين، والمنحرفين أكثر من المستقيمين، وذلك لاستحكام الشهوات من نفوسهم، وإطباقها على عقولهم وقلوبهم؛ فهذا الجنس من الناس يستخدم معه أسلوب الوعظ العام والخاص، من ذكر نصوص الترغيب والترهيب، على حسب المقام والحال، ومن التذكير بأيام الله، وما جرى للظالمين والعصاة والفاسقين، ويُرغَّبون في الحق، ويبين لهم محاسنه وفضائله، حتى يتركوا ما ألفوه من باطل، فانتزاع ما ألفه الناس من باطل ليس بالأمر الهين، بل دونه مفاوز وعقبات، لا يجتازها إلا من وفقه الله تعالى٠(العنزي، ٢٠٠٥: ١٣٦)، ولذلك يجب أن يراعى في الموعظة مايأتي:

أ- الاختصار فيها، والابتعاد عن التكلف٠(عبدالله وآخرون، ٢٠٠١: ١٦٠)

ب- التنويع: وذلك باستخدام أساليب معينة وفق دلالات المعنى الذي تقتضيه الوسيلة، كالخطبة، والدرس والمحاضرة وغيرها، وتنويع طرق الأداء، ونبرات الصوت والحركة والانفعال٠

ج- ترك وعظ المنشغل عنك٠

د- اللين في الموعظة٠ (العنزي، ٢٠٠٥: ١٤٨)

هـ- استعمال السر والعلانية في الموعظة: فالسر للمفرد، والعلانية للجماعة، والنصيحة لا تعني الفضيحة٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٦٨)

و- استخدام الترغيب والترهيب ٠(العنزي، ٢٠٠٥: ١٤٨ -١٦٣)

ز- تخيّرالأوقات الملائمة، وأن ترتبط الموعظة بهدف واضح، وهو تقوى الله وصلاح المجتمع٠ (عبدالله وآخرون، ٢٠٠١: ١٦٠)

ح- صادرة عن مصادر موثوقة، أي عن علم ودراية٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٦٨)

ويرى (علوان) أن منهج النبي ﷺ في الموعظة ارتكز إلى: انتهاج أسلوب القصة، وانتهاج أسلوب الحوار، وبدء الموعظة بالقسم بالله تعالى، ودمج الموعظة بالمداعبة، والاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة، والهيمنة بالتأثير الوعظي، والموعظة بضرب المثل، والموعظة بالتمثيل باليد، والموعظة بالرسم والإيضاح، والموعظة بالفعل التطبيقي، والموعظة بانتهاز المناسبة، والموعظة بالالتفات إلى الأهم، والموعظة بإظهار المحرَّم٠(علوان،ب.ت: ٧٠٢)

سابعا: أسلوب الترغيب والترهيب

١- تعريف الترغيب والترهيب: الترغيب لغة: "الحرص على الشيء والطمع فيه، وهو يعني التشويق والحث على فعل الشيء"٠(مصطفى وآخرون، ١٩٧٩: ٣٥٧)

والترغيب اصطلاحا: "وسيلة استرضاء، واستعطاف لما لدى الإنسان من طمع بمنافع ولذات وخبرات معجلة أو مؤجلة، فمتى استُرضيت النفس بشيء من بذلك سكنت عن الإنسان الصوارف له عن طريق الخير، وغدا سهل الانقياد فيه، وانفتحت نفسه للاقتناع به، والتعلق الشديد بأسبابه"٠(جبار، ٢٠٠١: ١٢٥)

والترهيب اصطلاحا: "وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية؛ ليكون دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي"٠(جبار، ٢٠٠١: ١٢٥)

٢- ميزات أسلوب الترغيب والترهيب القرآني: لأسلوب القرآن الكريم في الترغيب والترهيب ميزات حددها (الأغا) في خمس ميزات وهي:

أ- أنهما يتواليان غالبا في القرآن الكريم إلا ما ندر، ومثال ذلك: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}**٠(فصلت: ٤٦)

ب- يستندان إلى رصيد من الإيمان الذي يفترض وجوده عند المتعلم، وكلما كان هذا الرصيد أكبر كلما كان تأثير الترغيب والترهيب أقوى وأطول مدة ٠

ج- لا يخاطبان العقل فقط، وإنما أيضا يناشدان الروح، ويلمسان الوجدان، فيدخلان إلى النفس من منافذها٠

٤- استخدامهما يتم مصحوبا بالتوضيح والربط بين الفعل وقواعد السلوك، والإقناع الدائم على البرهان، وقد يكون موجها لأصحاب البصيرة مع دعوة للتدبر، والتفكر، والتعقل، والتذكر٠

٥- يسهلان تكوين صورة ذهنية معبرة بأساليب فنية مؤثرة٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٥٦، ٢٥٧)

ويرى (الفقي) أن للعقوبة في الإسلام درجات تتمثل في: الإعراض ثم التعبيس ثم الزجر ثم الهجر ثم التوبيخ ثم تعليق السوط حتى يُرى والتهديد بالضرب ثم الضرب٠(الفقي،٢٠٠١: ١٠٧، ١٠٨)

٣- أهمية الترغيب والترهيب: تستخدم التربية الإسلامية الترغيب والترهيب الذي يسمى في التربية الحديثة بالثواب والعقاب، ولا تستخدم التربية الإسلامية الترهيب إلا بعد استنفاد أساليب الترغيب جميعا٠

إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مُسِرة أو مؤلمة وراء عمله أو سلوكه، فإن عمل خيرا نال السرور، وإن عمل شرا نال الألم والمرارة٠(أبوالعينين، ١٩٨٠: ٢٤٠)، وكما يقرر (قطب) أنّ أسلوب القرآن: "يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب . . الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك، وما تحمله للبشرية من خير وصلاح ونماء . . والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة؛ وبالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي، ويسلكون طريق الطواغيت حيث يسلمونهم في الآخرة إلى جهنم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ١٨٤٦)، ومما يزيد من تأثير الترغيب والترهيب عند (قطب) كما يرى (أبودف) هو وجود الخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كلّه في أعماقه ٠(أبودف، ٢٠٠٤: ١٤٠)

والنفس الإنسانية تتوازن بالخوف والرجاء والأمل فتزداد سرعة توجهها نحو الحق، فالخوف بلا رجاء يؤدي إلى اليأس والقنوط، والرجاء بلا خوف يؤدي إلى التباطؤ والكسل والتراخي٠(الأغا، ١٩٩٤: ٢٥٥)

ويوضح (قطب) أن الهدف منّ: "التوازن بين التكليف والطاقة، وبين الأشواق والضرورات، وبين الدوافع والكوابح، وبين الأوامر والزواجر، وبين الترغيب والترهيب، وبين التهديد الرعيب بالعذاب عند المعصية والإطماع العميق في العفو والمغفرة . . إنه حسب هذا الدين من النفس

البشرية أن يتم اتجاهها لله، وأن تخلص حقًا في هذا الاتجاه، وأن تبذل غاية الجهد في طاعته ورضاه . . فأما بعد ذلك . . فهناك رحمة الله . . هناك رحمة الله ترحم الضعف، وتعطف على القصور؛ وتقبل التوبة، وتصفح عن التقصير؛ وتكفر الذنب وتفتح الباب للعائدين، في إيناس وفي تكريم"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٢: ٦٤١)

والنفس الواحدة تقوى وتضعف نتيجة لتعرضها لظروف متنوعة٠(الأغا، ١٩٩٤ : ٢٥٥) ويوضح (قطب) أنّه: "لا بد أن نلحظ ٠٠٠ تنوع أساليب الترغيب والترهيب بصدده، لندرك أمرين: الأول: بصر الإسلام بطبيعة النفس البشرية وما يخالجها من الشح بالمال، وحاجتها إلى التحريك المستمر والاستجاشة الدائبة لتستعلي على هذا الحرص وتنطلق من هذا الشح، وترتفع إلى المستوى الكريم الذي يريده الله للناس . والثاني: ما كان يواجهه القرآن من هذه الطبيعة في البيئة العربية التي اشتهرت شهرة عامة بالسخاء والكرم . . ولكنه كان سخاء وكرما يقصد به الذكر والصيت وثناء الناس وتناقل أخباره في المضارب والخيام! ولم يكن أمرا ميسورا أن يعلمهم الإسلام أن يتصدقوا دون انتظار لهذا كله، متجردين من هذا كله، متجهين لله وحده دون الناس، وكان الأمر في حاجة إلى التربية الطويلة، والجهد الكثير، والهتاف المستمر بالتسامي والتجرد والخلاص، وقد كان"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣١٤)

٤- **أنواع الترغيب والترهيب:** عندما تستخدم التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، فإنها تقدّم الترغيب على الترهيب لقوله تعالى: **{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ{٨}}**٠(الزلزلة: ٧ -٨)

والترغيب أنواع يبدأ بالكلمة الطيبة والثواب المادي وينتهي بالثواب الأخروي والجنة، ويعلّق (قطب) على سورة الإنسان: "والسورة في مجموعها هتاف رخي ندي إلى الطاعة، والالتجاء إلى الله، وابتغاء رضاه، وتذكر نعمته، والإحساس بفضله، واتقاء عذابه، واليقظة لابتلائه، وإدراك حكمته في الخلق والإنعام والابتلاء والإملاء . . وهي تبدأ بلمسة رفيقة للقلب البشري: أين كان قبل أن يكون ؟ من الذي أوجده ؟ ومن الذي جعله شيئا مذكورا في هذا الوجود ؟ بعد أن لم يكن له ذكر ولا وجود: هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ . . تتلوها لمسة أخرى عن حقيقة أصله ونشأته، وحكمة الله في خلقه، وتزويده بطاقاته ومداركه: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . . ولمسة ثالثة عن هدايته إلى الطريق ، وعونه على الهدى ، وتركه بعد ذلك لمصيره الذي يختاره"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٧٧٧، ٣٧٧٨)

والترهيب والعقوبة في التربية الإسلامية لا يكونان إلا حين لا يفلح الترغيب وعندما لا تفلح القدوة ولا الموعظة، ويستخدمان كما الترغيب بدرجات متفاوتة٠ (القاضي، ٢٠٠١: ١٨٧) وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل، فالموعظة هي المقدَّمة والدعوة إلى عمل الخير والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**(فصلت:٣٣) (قطب، ١٩٧٩: ١٩)

والترهيب والعقوبة: "درجات متفاوتة لدرجات من الناس، فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"٠(قطب، ١٩٧٩: ١٩٢)، وكما يقول الشاعر: (علوان،ب.ت: ٧٥٩)

العبد يُقرع بالعصا والحُرُّ تكفيه الإشارة

والإسلام يتبع جميع وسائل التربية فلا يترك منفذا في النفس لا يصل إليه، إنه يستخدم القدوة والموعظة، والترغيب والثواب٠٠٠ولكنه يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته، من أول التهديد إلى التنفيذ، والترهيب والعقوبة هي العلاج الحاسم إذا فشلت الموعظة:

*فالله مرة يهدد بعدم رضائه ٠٠٠ وذلك أيسر التهديد وإن كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}**٠(الحديد:١٦)، ويبين (قطب) أنّ منهج القرآن عند ذكره للآخرة أنه: "يركّز عليها ويؤكد في صورة التهديد والوعيد لمن لا يؤمنون بها، فيسدرون في غيهم، حتى يلاقوا مصيرهم الوخيم"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٥: ٢٦٢٧)

ويوضّح (قطب) ذلك بقوله: "إنه التهديد الرعيب الذي يشفق القلب المؤمن أن يتعرض له وهو يستشعر جدية هذا اليوم وجدية لقاء الله، وجدية عدل الله؛ ولا يتميع تصوره وشعوره مع الأماني الباطلة والمفتريات الخادعة . . وهو بعد تهديد قائم للجميع . . مشركين وملحدين، وأهل كتاب ومدعي إسلام، فهم سواء في أنهم لا يحققون في حياتهم الإسلام"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٨٣)

*ومرة يهدد بغضب الله صراحة، (كما جاء في حديث الإفك)، وتلك درجة أشد: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{١٤} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ{١٥} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ{١٦} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{١٧}}**٠(النور: ١٤ -١٧)

ويبين (قطب) أنّه:" لما كان الأمر في هذه الحالة متروكا للضمائر ولتقوى القلوب وخشيتها من علام الغيوب، فقد تضمن التهديد تحذير المؤمنين من نقمة الله وغضبه في صورة عجيبة من التعبير حقا: ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير . . والقدرة، فلا ملجأ منها ولا نصرة"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٣٨٦)

*ومرة يهدد بحرب الله ورسوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{٢٧٨} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ{٢٧٩}}**٠(البقرة:٢٧٨-٢٧٩)، ويعلّق (قطب): "يا للهول! حرب من الله ورسوله . . حرب تواجهها النفس البشرية . . حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة؟!"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٣٣٠)

*ومرة يهدد بعقاب الآخرة: **{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{٦٩}}**٠(الفرقان: ٦٨ ،٦٩)، ويفسرها (قطب) بقوله: "ذكرها الله في سمات عباد الرحمن، أرفع الخلق عند الله وأكرمهم على الله، وعقّب عليها بالتهديد الشديد: ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي عذابا، وفسر هذا العذاب بما بعده يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانا، فليس هو العذاب المضاعف وحده، وإنما هي المهانة كذلك، وهي أشد وأنكى" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٥٧٩)

*ثم يهدد بالعقاب في الدنيا: **{إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**٠(التوبة:٣٩)

ثم يوقع العقاب: **{الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**٠(النور:٣)

ويوضح (قطب) أن: "البشرى للتائبين والوعيد للمتولين هما قوام الرسالة، وقوام التبليغ، وهما عنصرا الترغيب والترهيب، اللذان علم الله من طبيعة البشر أنهما الحافز القوي العميق! والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لاكتمال الشعور بأن وراء الحياة حكمة، وأن الخير الذي تدعو إليه الرسالات هو غاية الحياة؛ ومن ثم لا بد أن يلقى جزاءه؛ فإن لم يلقه في هذه الحياة الدنيا فجزاؤه مضمون في العالم الآخر، الذي تصل فيه الحياة البشرية إلى الكمال المقدر لها"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٤: ١٨٥٣)، والعقوبة الدنيوية في الإسلام نوعان: عقوبة حدود معروفة شرعا ومحددة، كالسارق تقطع يده، وعقوبة تعزير يحددها الإمام أو الخليفة حسب مقتضيات الحال٠(علوان،ب.ت: ٧٥٣ -٧٦٠)

ثامنا: أسلوب الممارسة والعمل أوالتجريب

١- **تعريف الممارسة والعمل:** في اللغة: المعالجة، ومرس التمر في الماء، إذ أنقعه٠(الرازي،ب.ت: ٢٨٣)

أما في الاصطلاح فهي: "كل جهد وعمل مشروع، مادي أو معنوي، أو مؤلّف منهما معا"٠(المبارك وآخرون، ب.ت: ١٥٦)

وهناك من يطلق عليه مصطلح العرض العملي، ويعرف بأنه: "ذلك النشاط الذي يقوم به الأستاذ أمام طلابه بهدف توضيح حقيقة أو قاعدة أو بهدف وصف شيء ما، وذلك باستخدام أجهزة أو مواد أو أدوات تعليمية إلى جانب الشرح العملي"٠(موسى، ٢٠٠٢: ٢١١)، ويعرفه آخرون بأنه: "مجموعة الإجراءات التفصيلية الخاصة التي يجريها المعلم في الموقف الصفي لإكساب المتعلمين المعرفة والخبرة والمهارة والاتجاه من خلال التطبيق العملي لها في وقت محدد هو الحصة (الدرس)" (الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٥١)

٢- **أهمية التربية بالممارسة والعمل:** فالإسلام ليس دينا كهنوتيا يفرّق بين النظرية والتطبيق، بل هو دين يوازن بينهما شريطة أن يكون العمل قرينا للعلم وقائما على أساسه، فأول شعائر الإسلام الشهادتان وهما لفظيتان، وهما تحتاجان إلى ترجمة عملية٠(القاضي، ٢٠٠١: ١٧٧) والإسلام كدين ودنيا، وفكر وعمل، لا يقتصر على ممارسة الطقوس، أو ترديد الترانيم والأدعية، لذا فإن للقدوة الحسنة تأثيرها، وللتلمذه على يد المتمرسين فاعليتها، وللممارسة العملية أهميتها٠ (الأغا، ١٩٩٤: ٢٤٦)

ويعلق (قطب) على منهج القرآن الكريم العملي في بناء الجيل والأمة، فيقول: "لقد كان هذا الكتاب هو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من البشر فريد . . جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية – لا من قبل ولا من بعد – جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد، الذي لم يدرس حق دراسته إلى الآن . . لقد كان هذا المصدر هو الذي أنشأ – بمشيئة الله وقدره – هذه المعجزة المجسمة في عالم البشر، وهي المعجزة التي لا تطاولها جميع المعجزات والخوارق التي صحبت الرسالات جميعاً . . وهي معجزة واقعة مشهودة . . أن كان ذلك الجيل الفريد ظاهرة تاريخية فريدة . . . ولقد كان المجتمع الذي تألف من ذلك الجيل أول مرة، والذي ظل امتداده أكثر من ألف عام، تحكمه الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب، ويقوم على قاعدة من قيمه وموازينه، وتوجيهاته وإيحاءاته. . كان هذا المجتمع معجزة أخرى في تاريخ البشرية . حين تقارن إليه صور المجتمعات البشرية الأخرى، التي تفوقه في الإمكانيات المادية – بحكم نمو التجربة البشرية في عالم المادة – ولكنها لا تطاوله في "الحضارة الإنسانية"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣: ١٤٢٣)

وتتجلى أهمية التربية بالممارسة والعمل في:

أ- إثارة دافعية المتعلمين للتعلم وزيادة درجة تركيزهم، فمثلا عند بيان مفهوم التيمم يمكن أن يلبس المعلم خفين ويُجري عليهما المسح، ومن خلال ذلك يتساءل الطلاب عن المسح على الجوربين وحذاء الرياضة وغيرها٠

ب- تقويم فهم المتعلمين وإكسابهم للخبرات المختلفة بما يناسبها، فصلاة الكسوف مثلا لها خصوصيتها من حيث الركعات والكيفية، وكذلك صلاة العيدين ٠

ج- إذهاب الملل من رتابة أساليب التدريس التقليدية، ومراعاة خصوصيات الموضوعات المختلفة، فالعرض العملي يجعل المتعلم يستعمل أكثر من حاسة، وينقل المتعلم من المستويات الدنيا في الإدراك إلى تحليل الموقف ٠(الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٢٥٤، ٢٥٥)

٣- نماذج للعروض العملية: ومن أمثلة العروض العملية قول النبي ﷺ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"٠(البخاري،١٩٨٦: ج١: ٢٢٦)، ومنه قصة المسيء صلاته الذي أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة لتصحيحها، ثم وصف له النبي ﷺ الصلاة الصحيحة ليطبّقها، ومنه الذي سأله عن وقت الصلاة فقال له النبي ﷺ: صلّ معنا هذين- يعني اليومين"

ويعلق (قطب) على قصة إبراهيم والطير بقوله: "إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره؛ وليس طلبا للبرهان أو تقوية للإيمان، إنما هو أمر آخر، له مذاق آخر . . إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي، ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل، الذي يقول لربه، ويقول له ربه، وليس وراء هذا إيمان، ولا برهان للإيمان، ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل؛ ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها، ويتنفس في جوها، ويعيش معها . . وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان .

وقد كشفت التجربة والحوار الذي حكي فيها عن تعدد المذاقات الإيمانية في القلب الذي يتشوف إلى هذه المذاقات ويتطلع: وإذ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن ؟ قال: بلى! ولكن ليطمئن قلبي . . لقد كان ينشد اطمئنان الأنس إلى رؤية يد الله تعمل، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلى ويتكشف، ولقد كان الله يعلم إيمان عبده وخليله، ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأواه الحليم المنيب ٠

ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب إبراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك . . . لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه

ويميلهن إليه، حتى يتأكد من شياتهن ومميزاتهن التي لا يخطىء معها معرفتهن، وأن يـذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة،ثم يدعوهن، تتجمع أجـزاؤهن مـرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات . . وقد كان طبعا"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ٣٠٢)

ويعلق (قطب) أيضا على قصة العزير بقوله: "وهكذا يلقي التعبير القرآني ظلالـه وإيحاءاتـه، فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخص تجاه الأبصار والمشاعر . أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ . . كيف تدب الحياة في هذا الموات ؟

فأماته الله مائة عام . ثم بعثه . . لم يقل له كيف، إنما أراه في عالم الواقع كيـف! فالمـشاعر والتأثرات تكون أحيانا من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي ، ولا حتى بـالمنطق الوجداني؛ ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان . . إنمـا يكـون العـلاج بالتجربـة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلىء بها الحس ، ويطمئن بها القلب، دون كلام! **قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوما أو بعض يـوم!** . . وما يدريه كم لبث والإحساس بالزمن لا يكون إلا مـع الحيـاة والوعي ؟ على أن الحس الإنساني ليس هو المقياس الدقيق للحقيقة ؛ فهو يخدع ويضل ؛ فيرى الزمن الطويل المديد قصيرا لملابسة طارئة؛ كما يرى اللحظة الصغيرة دهرا طويلا لملابـسة طارئة كذلك"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٢٩٩ ،٣٠٠)

تاسعا: أسلوب التربية بالأحداث الجارية(الوقائع)

١- **تعريف الأحداث:** وهي مأخوذه من الحادث وهو "ما يجدّ ويحدث، والجمع حوادث"٠(أنـيس وآخرون، ب.ت: ١٦٠)، و"الحدث جَمعُه: أحداث وحُدثان، والأحداث: الأمر المنكر الذي لـيس معتادا ولا معروفا في السنة"٠ (أنيس وآخرون، ب.ت: ١٢١)، ويـرى (قطـب) أن التربيـة بالأحداث هي: "استغلال حدث معين لإعطاء توجيه معين"٠(أبو دف، ٢٠٠٤ : ١٥١)

٢- **أهمية التربية بالأحداث الجارية:** فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل منجما ومفرقا حـسب الحوادث في مدة ثلاثة وعشرين عاما، نزل مبينا بعض الأمور التي تتعلق بـبعض الأحـداث، ويبين (قطب) أنّ: "الارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين مجريات الأحداث فـي نطاق السنّة الإلهية الشاملة للجميع، ولا يوحي بتمزيق هذا الارتباط، ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق، ولا يحول بين الناس وسنّة الله الجارية، إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى؛ وينبغي لها أن تطارده، وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم"٠(قطب،١٩٨٦،ج١: ١٨)

والحياة الدنيا كد وكدح ونَصَب ٠٠وتفاعل مع الأحداث، ومادام الناس أحياء فهم عرضة علـى الدوام للأحداث، تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة، أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عـن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها

لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، فلا يكون أثرها موقوتا لا يلبث أن يضيع.(قطب، ١٩٧٩: ٢٠٧)

ويعلّق (قطب) على النصر في بدر: "يتولى القرآن استحياء القلوب وتوجيهها وتربيتها، بالتعقيب على الأحداث، وهي ساخنة! ويتبين الفرق بين رواية القرآن للأحداث وتوجيهها، وبين سائر المصادر التي قد تروي الأحداث بتفصيل أكثر، ولكنها لا تستهدف القلب البشري، والحياة البشرية، بالإحياء والاستجاشة، وبالتربية والتوجيه، كما يستهدفها القرآن الكريم، بمنهجه القويم" (قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٦٨)، ومن أهمية الأحداث أيضا أنها:

أ- تؤدي إلى توفير مناخ عاطفي يساعد على إثارة اهتمام المتعلمين، وزيادة رغبتهم في الإجابة على بعض التساؤلات التي ترتبط بالأحداث .

ب- تعمل على رسوخ المعلومات وإغناء الخبرات وتذكّر الأحداث .

ج- توفر الأحداث الجارية فرصا لممارسة العمليات العقلية من وصف ومقارنة وتحليل وقياس وغيرها .(الأغا، ١٩٩٤: ٢٧٤)

والأحداث الجارية تمحيص للمتعلمين المسلمين كما يشير (قطب): "ثم يمضي السياق القرآني يكشف عن الحكمة الكامنة وراء الأحداث، في تربية الأمة المسلمة وتمحيصها وإعدادها لدورها الأعلى، ولتكون أداة من أدوات قدره في محق الكافرين، وستارا لقدرته في هلاك المكذبين: وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . . والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز . التمحيص عملية تتم في داخل النفس ، وفي مكنون الضمير . . إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية ، وتسليط الضوء على هذه المكنونات، تمهيدا لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق، بلا غبش ولا ضباب . . وكثيرا ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرا ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكن فيها من رواسب، لا تظهر إلا بمثير! وفي هذا التمحيص الذي يتولاه الله – سبحانه – بمداولة الأيام بين الناس بين الشدة والرخاء، يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحك المرير: محك الأحداث والتجارب والمواقف العملية الواقعية".(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٤٨٢، ٤٨٣)

والأحداث الجارية تجربة فريدة لتلافي القصور الواقع والأخطاء في الطرق والوسائل والأساليب

ويعلّق (قطب) على غزوة أحد بقوله: "وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة، وهو يربيها بأحداث معركة أحد؛ وبالتعقيب على هذه الأحداث . . حينما قصرت في تمثيل حقيقة هذا الدين في ذات نفسها في بعض مواقف المعركة، وحينما قصرت في اتخاذ الوسائل العملية في بعض مواقفها، وحينما غفلت عن تلك الحقيقة الأولية أو نسيتها، وفهمت أنه

من مقتضى كونها مسلمة أن تنتصر حتما بغض النظر عن تصورها وتصرفها – حينئذ تركها الله تلاقي الهزيمة؛ وتعاني آلامها المريرة، ثم جاء التعقيب القرآني يردها إلى تلك الحقيقة: أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم: أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم . إن الله على كل شيء قدير"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٥٢٨)

والتعقيب على الأحداث وهي ساخنة له أهميته عند (قطب): "وهو – سبحانه – يعلم ثقل الضغط الواقع عليها من الميول الطبيعية ورواسب الجاهلية جميعا – وكان العرب بطبيعتهم أشد الناس احتفالا بعصبية القبيلة والعشيرة والبيت – فكان يأخذهم يوما بعد يوم بعلاجه الناجع البالغ، بالأحداث وبالتعقيب على الأحداث، ليكون العلاج على مسرح الحوادث وليكون الطرق والحديد ساخن"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ٢٥٣٨)

٣- أمثلة على الأحداث الجارية:

"يبدو لأول وهلة فارق رئيس بين التربية بالأحداث في مكة، والتربية بالأحداث في المدينة، ففي العهد المكي كان التوجيه إلى الصبر على الأذى، واحتمال المكروه، ومغالبة النفس على هذا الاحتمال، وفي العهد المدني كان التوجيه إلى رد العدوان، ومجابهة المعتدين بالقوة، ورفض الخضوع والمذلة، وإباء الضيم . . وجهان متقابلان . . ولكني أرى أنهما يهدفان إلى هدف واحد! التجرد الخالص لله" ٠(قطب، ١٩٧٩: ٢٠٨)

ويرى الباحث أن الحركة الإسلامية في فلسطين استفادت من التجربة النبوية الشريفة، ففي عمليات التعذيب والاعتقالات في عام ١٩٩٦م كان توجّه الإسلاميين لتحمّل الأذى والصبر عليه، ولكن في هذا العام ٢٠٠٦م، أي بعد عشرة أعوام كان التوجّه لرد العدوان ومجابهة المعتدين بالقوة، ومن أمثلة التربية بالأحداث الجارية:

١- قوله تعالى: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ{٢٥} ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ{٢٦} ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٢٧}}**٠(التوبة: ٢٥ -٢٧)

٢- وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ{١١} لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ{١٢} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ{١٣} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{١٤} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ**

عَظِيمٌ{١٥} ولَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ{١٦} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{١٧}}٠(النور: ١١ –١٧)

٣– وقوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ{١} الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ{٢} وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ{٣} فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٤}}**٠(المجادلة: ١ –٤)

عاشرا: أسلوب التلقين

١– **تعريف التلقين:** من "لَقِنَ الكلام فهمَه و تَلَقَّنَهُ أخذه لقانِيَة والتَّلْقِينُ كالتفهيم"٠(الرازي، ١٩٩٤: ٦١٢)، و "لقن الكلام من فلان: أخذه عنه مشافهة وفهمه، ولقَّنه الكلام: فهمه إياه مشافهة"٠(أنيس وآخرون،ب.ت: ٤٥٦)

أما اصطلاحا فيعرف بأنه: "أسلوب في التعليم يركز على تنمية الجانب المعرفي لدى المتعلمين بالسرد والتحفيظ والمتابعة المباشرة من المعلم للمتعلم"٠(الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٠٩)

٢– **أهمية التلقين:** وهو أسلوب أخذ به الرسل في تلقي الوحي وتلقينه، ورسل الله كانوا معلمين لأممهم في أمور دينهم، معلمين من الطراز الأول، وبدأ ذلك مع آدم الذي تعلم من ربه ليعلم أولاده، يقول تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}**٠(البقرة:٣١)(المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين، ١٩٨٧: ١٠٠)، وكما قال النبي ﷺ "وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا"٠(ابن ماجة،ب.ت،ج١: ٨٣)

وقد كان النبي ﷺ يُلقَّن القرآن الكريم عن طريق جبريل، وكان جبريل يتلو الآيات التي يتنزل بها على مسمع من النبي ﷺ، فيرددها النبي ﷺ من بعده، وكان جبريل يتابع حفظ النبي ﷺ لها وإتقانه بين الحين والحين؛ ليتثبت من بقاء القرآن في صدره، وفي العام الأخير أعاده عليه مرتين، فقال الله تعالى: **{لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ{١٦} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ{١٧}}**٠(القيامة: ١٦ –١٧)(الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٠٩، ٣١٠)

ويعلق (قطب) على الآيات بقوله: "فإن الإيحاء الذي تتركه في النفس هو تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن: وحيا وحفظا وجمعا وبيانا، وإسناده إليه سبحانه وتعالى بكليته، ليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله وتبليغه، ثم لهفة الرسول ﷺ وشدة حرصه على استيعاب ما يوحى إليه، وأخذه مأخذ الجد الخالص، وخشيته أن ينسى منه عبارة أو كلمة، مما كان يدعوه إلى متابعة جبريل عليه السلام في التلاوة آية آية، وكلمة كلمة، يستوثق منها أن شيئا لم يفته، ويتثبت من حفظه له

فيما بعد !، وتسجيل هذا الحادث في القرآن المتلو له قيمته في تعميق هذه الإيحاءات"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٧٧٠)

والله تعالى لقن رسوله الكريم ﷺ التسبيح والتحميد والاستغفار، كما تُلهم الملائكة ذلك، ويبين (قطب): "فلما أن جاءه نصر الله والفتح، نسي فرحة النصر وانحنى انحناءة الشكر، وسبح وحمد واستغفر كما لقّنه ربه، وجعل يكثر من التسبيح والحمد والاستغفار كما وردت بذلك الآثار، وكانت هذه سنته في أصحابه من بعده، رضي الله عنهم أجمعين" ٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٦: ٣٩٩٧، ٣٩٩٨)

وأسلوب التلقين أسلوب قديم متجدّد، ولا يمكن الاستغناء عنه في التربية الإسلامية، فمن الموضوعات والمواد ما يحتاج إلى النقل مشافهة، وإلى متابعة المعلم لما حفظ المتعلم: كلمة كلمة، وحرفا حرفا، وحركة حركة، وخاصة في تلاوة القرآن الكريم وحفظه، إن تلاوة القرآن الكريم مهارة تعتمد بدرجة عالية على رياضة اللسان لإتقان الحروف وإعطائها حقها ومستحقها، وهذه المهارة لا تكتسب إلا مشافهة من أفواه الرجال المتقنين٠(خليل،ب.ت: ٣٢١)

والتلقين هو الأسلوب الأمثل في ذلك؛ لأنه لا يجوز رواية القرآن الكريم بالمعنى، أو الاجتهاد، واتقان تلاوته عبادة واجبة لقوله تعالى: **{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}**٠(المزمل:٤)، (الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣ : ٣٠٩)

وقد أخبرني أحد المعلمين بأنه كان يؤمهم في الصلاة حين غياب الإمام رجل يحمل شهادة الدكتوراة، وكان يتلو الآية من سورة الفاتحة هكذا: إياك نعبِد([٢٨])، ويبدو أنه لم يتعلمها بالتلقين بل حفظها بالقراءة من نفسه ٠

وإخوان الصفا يؤكّدون أهمية الحفظ بقولهم: "ليحصّل العلم فينفسه محفوظا من القرآن والأخبار والأشعار والنحو واللغة وما شاكلها مما يحفظ الصبيان في المكتب"٠(دار صادر،١٩٥٧: ٦٠)

وافتخر علماء المسلمين بالحفظ لحديث النبي ﷺ في أنواع المتلقين للعلم وأولهم الحفظة، واعتمد العلماء على آذانهم، وقد أصبحت محابر، وعلى قلوبهم وقد أصبحت دفاتر، وردّدوا أمثلة شائعة مثل: "العلم ما حوته الصدور لا ما احتوته السطور"٠(ابن كثير، ١٩٦٧: ٣٤١)، و"من لم يحفظ النص فهو لص"٠(التوزري، ١٩٦٠: ٢٢)

وأنشأ المسلمون تبعا لذلك الكتاتيب لتحفيظ الأطفال بالتلقين، والتي انتشرت في كل بقعة من العالم الإسلامي ٠

٣- الغاية والهدف من التلقين:

---

[٢٨]- **بكسر الباء بدلا من ضمها ٠**

من المسلّم به لدى علماء التربية والأخلاق، أن التربية التي يتعرض لها الإنسان في بداية نشأته تؤثر في مسار حياته بعد ذلك إيجابا أم سلبا، ومن أجل ذلك يجب على المربي والمعلم اتباع وسائل وأساليب تربوية لتنمية العقيدة لدى النشء المسلم، وهذه الوسائل تعتمد على أسس متينة وتتمثل في: الأساس الأول وهو العقلي ويتعلق بالمحسوسات، ولا يتأثر بالأمور العقلية المجردة، والثاني وهو الانفعالي أو العاطفي، والعاطفة تعني: ازدياد رسوخ ميل الفرد إلى الشيء الذي يتوق إليه، أو ازدياد رسوخه عنه بتوالي الأيام وتكرار الحوادث، أما الثالث والأخير فهو الأساس العملي حيث قرن الله تعالى بين الإيمان والعمل الصالح، ولا يتأتى وجود عقيدة بدون شريعة والعكس صحيح ٠ (موسى وآخرون، ١٩٩٢: ١١)، ومن ذلك:

أ- تلقين الأبناء عقيدة التوحيد، وقد وضح الإسلام للأسرة كيفية ربط الأبناء بالعقيدة الإسلامية منذ خروجهم إلى الدنيا، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والترمذي عن أبي رافع أنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة"٠ (أبو داود، ب٠ت :٣٢)، وروى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ قال: "من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان([٢٩])"٠(علوان، ب٠ت ،ج١ :٦٠)، وكذلك تعويذه من الشيطان الرجيم عملا بقوله تعالى: **{وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}**٠(آل عمران:٣٦)؛ وذلك لتحمي فطرتهم من الانحراف كما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" ٠(ابن الحجاج، ١٩٨٣،ج٤: ٢١٩٧)، ويمثله قول أبي العلاء المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان مِنّا على ما كان عوده أبوه

ويؤكد (قطب) ذلك بقوله: "ولا بد أن أجيالا كثيرة من ذرية نوح عاشت بالإسلام بعده، حتى اجتالتهم([٣٠]) الشياطين مرة أخرى فانحرفوا كذلك إلى الجاهلية" ٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٥ :١٨٩٥)

ويذكر قطب حديثين للنبي ﷺ عن فطرة الإنسان السليمة وحاجتها للعودة إلى نبعها الصافي بقوله: "قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية، "على هذه الملة" – فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله – ﷺ: يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم .

٠٠٠إن حقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة "الإنسان" وحده، ولكنها كذلك مركوزة في فطرة هذا الوجود من حوله – وما الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله، موصولة به

---

[٢٩]- هي الريح التى تعرض للولد فيُخشى عليه، وقيل: هي التابعة من الجن والتي يسميها الناس: القرينة٠(علوان، ب٠ت ،ج١ :٦٠)

[٣٠]- حرفتهم أو حادت بهم عن الصواب ٠

غير منقطعة عنه، محكومة بذات الناموس الذي يحكمه – بينما هي تتلقى كذلك أصداءه وإيقاعاته المعبرة عن تأثره واعترافه بتلك الحقيقة الكونية الكبيرة"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٣ :١٣٩٤)

والفتح على الطفل بالتلقين يكون منذ الصغر، وذلك لإشعاره بانتمائه للعقيدة كما جاء في الهدي النبوي: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله" ٠(البيهقي، ب٠ت، ج٦ :٣٠٨)

وكما فعل النبي ﷺ، حيث كان يعلّم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات: **{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً}**٠(الإسراء:١١١) (سويد، ١٩٨٤:٨٤)

والحكمة من التأذين والإقامة كما يراها ابن قيم الجوزية هي: "حتى يكون أول ما يقرع سمعه كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك التلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به، وإن لم يشعر"٠ (علوان، ب٠ت ، ج١ :٧٦)

وعندما يستطيع الطفل التفكير، فيتوجب على الوالدين تجنب التلقين الصوري للعقيدة بشكل جامد بليد، وبدون بيان ما فيها من آداب ومعان تهدف إلى تربية السلوك، حيث أن عدم الإيمان سبب في الكثير من الأمراض النفسية والانهيار العصبي، بل يجب عليهما تعليمه العقيدة بأساليب تربوية ناجعة كالقدوة والإقناع والعبرة والقصة وغيرها من الأساليب٠

ب– إزالة العوائق: كالتعصب والعناد، أو عدم استعمال العقل أو الحواس، كقوله تعالى: **{تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ}**(الأعراف ١٠١)، ويبين (قطب) أنه: "ما من صاحب دين غير الإسلام، ينظر في الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى حتى يقر باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة، وقدرته على قيادة البشرية قيادة رشيدة، وتلبية حاجاتها النامية المتطورة في يسر واستقامة، وكفى بالله شهيدا"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١ :٣٣٣)

ج– التركيز على جوانب العقيدة الإسلامية الإيجابية المؤثرة على السلوك، وعلى الأسرة المسلمة أن تعمّد إلى ترسيخ المفاهيم والمبادئ والقيم الإيمانية متجنبة التلقين التقليدي الذي لا يخلق التفاعل المطلوب للتقرب به إلى الله، بل الجوانب التي يكون لها الأثر الفعال في سلوكياتهم٠ (يالجن،١٩٨٦: ١٤)، ويؤكد (حوى) أن سبب تكاثر الفواجع على مسرح الدعوة هو فشل العملية التربوية وعدم ملامسة المنهج التربوي ومفرداته مكامن العلة وجذور الداء، والذي لا يمكن تحديده من غير اعتماد لصيغة (التصفية ثم الترقية) ومن غير استئصال للأدران السرطانية

المتشبثة بعقلية الفرد ونفسيته، إن عملية (التصفية أو التخلية) التي تسبق مرحلة التربية والترقية تتفاوت موضوعا ونهجا بين شخص وآخر، وذلك بحسب ما لدى كل فرد من سابق تصورات وأفكار وعادات وطباع ومشكلات، وبحسب ما عنده من استعدادات للتلقي والانفعال، فالدراسات القرآنية يجب أن تؤدي دورا أساسا في خلق الشخصية القرآنية، يأخذ منها الفكر لعقله، والنور لقلبه، والقوة لإرادته، والوقاية لنفسه من وساوس الشيطان وإلقاءات الهوى٠(حوى، ١٩٨٧ : ٢٩،٢٨)، ويرجع (حوى) أسباب الفشل في الحقل التربوي إلى الأمور الآتية:

أ- إن المربي لم يستكشف شخصية الفرد ومفردات تكوينه السابقة ليبني على أساسها٠

ب- إن المربي لا يملك المقومات التي تساعد على التربية٠

ج- إن المادة التربوية لم يحسن اختيارها، فيتعطل بالتالي مفعولها٠

د- إن بناء الجديد كان في الفراغ أو على أساس غير سليم، أو فوق تراكمات لم يجر رفعها وإزالتها٠ (حوى، ١٩٨٧ :٢٥)، ولأهمية هذه النقطة؛ ينكر على بعض الكتّاب التركيز على مظاهر السلوك الحسن والأخلاق وإهمال الجانب العقدي، ومن هؤلاء (حوى) الذي نادى بالتركيز على العقيدة أولا ثم مظاهر السلوك الإيجابي، ويورد حوى شواهد حيّة من فشل العملية التربوية إذا ركزت على السلوك فقط، ومنها قوله: "أذكر أن شابا (ناصريا) كان مهووسا بالرياضة التحق بأحد نوادينا الرياضية([٣١])، وكان ذلك مدخلا لاجتذابه إلى إحدى الحلقات الدراسية، وهذا الشاب بقي في الحلقة الدراسية قرابة عامين، حفظ خلالها بعض قصار السور، والأربعين حديثا النووية، وتعلم بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالطهارة والنجاسة ونواقض الوضوء وموجبات الغسل وفرائض الصلاة وسننها، والحقيقة أن هذه المفردات ــ على قيمتها الذاتية ــ لم تكن هي المادة التي يحتاجها ابتداء، لم تكن المدخل الصحيح لعملية التغيير في أفكاره وتصوراته ومعتقداته، ولذلك بقي ناصري التفكير، وناصري السياسة والتوجه، وإن بقي مقيم الصلاة محافظا على الشعائر الدينية، وفي ظرف من ظروف المفاصلة الجذرية بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه الناصري، كان هذا الشاب في أقصى موقع من مواقع الناصرية تطرفا وإسفافا" ٠(حوى، ١٩٨٧ :٢٦)، ومن النماذج التي يمكن التركيز عليها:

١- الإيمان بالله باعتبار أنه الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، الذي خلق كل شيء من اجل الإنسان، وخلق الإنسان لعبادته٠ (جبار،٢٠٠١ :٢١٦)

---

[٣١]- **يقصد نوادي الإخوان المسلمين الرياضية ٠**

٢- شرح معاني أسماء الله تعالى وصفاته، ومن خلال ذلك يتعلم الطفل أن الله هو رب الناس وخالقهم وإلههم، وأن أحدهم إذا دعا الله أجابه، وهو يراه أينما كان، وبذلك يحس الطفل أنه مراقب من الله؛ فيخشاه ويخاف عقابه٠

ويوضّح (قطب) أن: "هذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود وفي حركته وظواهره، فهو إذ يسبح بها يشهد كذلك بآثارها: . . . إنها تسبيحة مديدة بهذه الصفات المجيدة، ذات ثلاثة مقاطع، يبدأ كل مقطع منها بصفة التوحيد . . . ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ، وأثر في حياة البشر ملموس، فهي توحي إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء والصفات، فاعلية ذات أثر وعلاقة بالناس والأحياء . . .

هو الله الذي لا إله إلا الله . . . ويقوم على هذه الوحدانية منهج فيستقر في الضمير الشعور بعلم الله للظاهر والمستور، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلانية"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٦ :٣٥٣٢)

٣- الإيمان بالحياة الآخرة، وأنها الحياة الحقَّة: فيورد المربي والمعلم ــ بشكل عام ــ للمتعلم الأدلّة المقنعة على وجود هذه الحياة، وعلى ما اشتملت عليه من حقائق، ومن ثم يحس بالمسئولية، ويعمل لآخرته، ويقرر (قطب): "إن الإيمان بالحياة الآخرة نعمة، نعمة يفيضها الإيمان على القلب، نعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني، المحدود الأجل الواسع الأمل وما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود، إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة، فالإيمان بالآخرة – فوق أنه إيمان بعدل الله المطلق، وجزائه الأوفى – هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحيوية، وعلى امتلاء بالحياة لا يقف عند حدود" ٠(قطب،١٩٨٦ ،ج١ :٩٢)

٤- تعويد الأبناء على تذكر عظمة الله ونعمه والاستدلال على توحيده من خلال آثار قدرته، وتفسير مظاهر الكون من برد وحر وليل ونهار ونحو ذلك؛ لإبقاء فطرتهم على استعدادها لتوحيد الله وتمجيده٠(أبو دف،٢٠٠٢: ١٥٦)

٥- الإيمان بأن الأحكام التشريعية التي أنزلها الله صادرة عن إرادة إلهية لتنظيم حياة الإنسان، على خير وجه، ولذلك يسعد الإنسان بها في الدنيا والآخرة، ويبين المربي للمتعلم أن مايعيشه العالم من بؤس وشقاء ما هو إلا بسبب الابتعاد عن هذا التشريع الإلهي٠

وعن الأحكام التشريعية الأساسية في الحياة البشرية يشير (قطب) إلى أنها: "هي الأحكام المتعلقة بحماية النفس والحياة في المجتمع المسلم المحكوم بمنهج الله وشريعته، وحماية النظام العام وصيانته من الخروج عليه، وعلى السلطة التي تقوم عليه بأمر الله، في ظل شريعة الله؛ وعلى الجماعة المسلمة التي تعيش في ظل الشريعة الإسلامية"٠ (قطب، ١٩٨٦،ج٢ : ٨٧٢ ،٨٧٣)

٦- التركيز على ما في الإسلام من إعجاز علمي وتشريعي وتربوي، وبهذا يشعر المتعلم بالاعتزاز بدينه، وقدرته على الدفاع عنه٠ (جبار، ٢٠٠١ :٢١٦)

٧- تكوين الرغبة في الاعتقاد قبل ذكر أدلة الاعتقاد: لا بد من تكوين الرغبة في الاعتقاد السليم أولا؛ لأن من لا يرغب في الاعتقاد لا يعتقد ولو ذُكرت له جميع الأدلة العقلية والعلمية؛ ولهذا لما تكلّم الله عن هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا لا لعدم وجود الأدلة، وإنما لعدم رغبتهم في الإيمان قال: **{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}** ٠(الأنعام: ١١١)

ويوضّح (قطب) أنّ: "الحقيقة الأولى: هي أن الإيمان أو الكفر، والهدى أو الضلال . . . لا تتعلق بالبراهين والأدلة على الحق، فالحق هو برهان ذاته، وله من السلطان على القلب البشري ما يجعله يقبله ويطمئن إليه ويرضخ له، ولكنها المعوقات الأخرى هي التي تحول بين القلب والحق. . . والحقيقة الثانية: هي أن مشيئة الله هي المرجع الأخير في أمر الهدى والضلال، فقد اقتضت هذه المشيئة أن تبتلي البشر بقدر من حرية الاختيار والتوجه في الابتداء؛ وجعل هذا القدر موضع ابتلاء للبشر وامتحان، فمن استخدمه في الاتجاه القلبي إلى الهدى والتطلع إليه والرغبة فيه – وإن كان لا يعلم حينئذ أين هو – فقد اقتضت مشيئة الله أن يأخذ بيده ويعينه ويهديه إلى سبيله" ٠ (قطب، ١٩٨٦ ،ج٣ :١١٨٦)

ويتم تكوين الرغبة في الاعتقاد عند الأطفال عن طريق "التقليد والمحاكاة"، وعند الكبار باستخدام العقل والتفكير، وذلك عن طريق تعداد النعم المحسوسة التي يتمتع بها الإنسان، وإثارة عقله ووجدانه فيها، وحين ذلك يظهر عند المتعلمين رغبة في الاعتقاد بالله خالق هذه النعم"٠ (جبار،٢٠٠١ : ٢١٦)

٨- استخدام الأدلة الواضحة التي تناسب المستويات المختلفة، وتقوم علي سلامة التفكير الفطري، أو التعقل الفكري، وذلك مثل الاستدلال علي وجود شيء غير مرئي بوجوده دلائل مرئية أو حسية، ومثل أن إعادة إيجاد الشيء أسهل من إيجاده لأول مرة، و دلالة الصنعة علي الصانع، ودلالة الأثر علي المأثور، وأن الشيء لا يكون موجوداً وغير موجود في آن واحد... وغير ذلك من المبادئ الفطرية التي تعتبر مبادئ يقينية تؤدي إلي حقائق يقينية٠

٩- استخدام الحقائق العلمية، والمكتشفات الحديثة: لقد أظهرت الاكتشافات الحديثة الحقائق المذهلة التي تجعل الإنسان يقف أمامها مبهوتاً، ويضطر المتأمل فيها إلي الاعتراف بالخالق، والاقتناع بوجوده وقدرته التي يعجز التفكير عن إدراكها، ومن ذلك علم الأجنة، وعلم الفلك، ونحو ذلك، ومثال ذلك: "والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا للعناصر

التي تحتاج الحياة إليها، بالنسب الدقيقة التي لو اختلَّت ما قامت الحياة، وما عاشت إن قدر لها أن تقوم من الأساس، فنسبة الأكسجين فيه هي ٢١ تقريبا ونسبة الأزوت أوالنتـــروجين هـــي ٧٨ تقريبا والبقية من ثاني أكسيد الكربون بنسبة ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر أخرى، وهذه النسب هي اللازمة بالضبط لقيام الحياة على الأرض"٠(قطب،١٩٨٦ ،ج٦ :٣٦٣٨)

١٠- تكوين عاطفة قوية دافعة إلي السلوك الإيماني الســـــوي: "فلا بد من تكوين عاطفة الحب والخشية، وكراهية الباطل، وذلك ببيان حاجة الطفل الدائمة إلي الله وتخويفه منه، وذكـــر الجنـــة والنار، وبيان مضار المعاصي وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة، وهنا يستجيش القرآن أنبل المشاعر، كما يستجيش عاطفة الحياء من الله، وشعور الخوف منه في آن، ويحشد هذه المؤثرات كلها ليخلص النفوس من أوضاع الجاهلية وآثارها؛ ويرتفع بها إلى المستوى الكريم الذي يأخـــذ بيدها إليه، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه، ولا تتخذوا آيات الله هزوا، واذكروا نعمة الله علـــيكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكـــم بـــه، واتقـــوا الله واعلمـــوا أن الله بكـــل شـــيء عليم"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج١: ٢٥١)

حادي عشر: أسلوب التربية بالتوبة والغفران

١- **تعريف التوبة:** التوبة هي: الرجوع عن الذنب٠(الرازي،١٤١٥: ٨٣)

والتوبة: الاعتراف والندم والإقلاع، والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه، ومنه قـــولهم: "التوبة تذهب الحُوبة([٣٢])"٠(أنيس وآخرون،ب.ت:٩٠)

٢- **أهمية التوبة:** تهدف التربية الإسلامية في المقام الأول وبصورة مستقرة إلى إنقاذ الـــنفس البشرية من الضلال، وشفائها من آلامها، ووقايتها من انحرافها، وعلاجها من أمراضها وعللها، وتطهيرها وتزكيتها من دنسها بالتجاوز عن سيئاتها وغفران ذنوبها، فتعود إلى الصراط المستقيم آمنة مطمئنة عاملة على الخير والصلاح والهدى٠(حماد ومعمر، ٢٠٠٢: ٢٥٢)

والنفس البشرية غير معصومة من الخطأ كبر أم صغر، باستثناء الأنبياء والمرسلين، وكما قـــال النبي ﷺ: "كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"٠(الترمذي،ب،ج٤: ٦٥٩)

ويوضّح (قطب) بأنّ: "الإسلام لا يغلق الأبواب في وجه الخاطئين والخاطئات، ولا يطردهم من المجتمع إن أرادوا أن يعودوا إليه متطهرين تائبين، بل يفسح لهم الطريق ويشجعهم على سلوكه، ويبلغ من التشجيع أن يجعل الله قبول توبتهم – متى أخلصوا فيها – حقا عليه سبحانه يكتبه على نفسه بقوله الكريم، وليس وراء هذا الفضل زيادة لمستزيد ٠٠٠ويمنح عباده الـــضعاف فرصـــة

---

[٣٢] - الإثم ٠

العودة إلى الصف الطاهر، ولا يطردهم أبدا وراء الأسوار، وهم راغبون رغبة حقيقية في الحمى الآمن والكنف الرحيم" ٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ٦٠٣)

وعن أهمية التوبة يقول ابن القيم: "ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**، وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم، قال تعالى: ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، قسم العباد إلى تائب وظالم وما ثم قسم ثالث البتة، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه(٣٣) أنه قال: يا أيها الناس توبوا إلى الله فو الله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم رب غفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة، وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها إلا قال فيها سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، وصح عنه أنه قال: لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"٠(ابن قيم الجوزية، ١٩٧٧،ج١: ١٧)

ويشير (قطب) بأن التائبين: "يفتح القرآن لهم هذه النافذة المضيئة – نافذة التوبة – يفتحها فتنسم نسمة الأمل في الصدور، وتقود القلوب إلى مصدر النور، فلا تيئس من رحمة الله، ولا تقنط من عفوه، فمن شاء فليرجع إلى الحمى الآمن، صادق النية، وآية صدق التوبة الإصلاح في العمل، والتبيين في القول، وإعلان الحق والاعتراف به والعمل بمقتضاه، ثم ليثق برحمة الله وقبوله للتوبة، وهو يقول: وأنا التواب الرحيم، وهو أصدق القائلين، فأما الذين يصرون ولا يتوبون حتى تفلت الفرصة وتنتهي المهلة، فأولئك ملاقون ما أوعد الله من قبل به، بزيادة وتفصيل وتوكيد"٠(قطب، ١٩٨٦،ج١: ١٥٠،١٥١)

٣- نماذج من التوبة: ضرب لنا القرآن الكريم نماذج من توبة الأنبياء والصحابة وغيرهم؛ تأسيا واقتداء بهم، ومن ذلك:

---

٣٣ - **أي عن النبي ﷺ** ٠

أ- توبة نبي الله آدم وحواء بعدما أكلا من الشجرة، حيث قال تعالى على لسانهما: **{قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**٠(الأعراف:٢٣)، ويبين (قطب) بأن التوبة: "خصيصة "الإنسان" التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه . . الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته . مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته . . وإلا كان من الخاسرين"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٣ :١٢٧٠)

ب- توبة نبي الله يونس عندما خرج عن قومه مغضبا دون إذن من الله، فالتقمه الحوت: **{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}**(الأنبياء:٨٧)، ويعلق (قطب) على الآية بقوله: "ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس، ولكن المفهوم أنهم كانوا في بقعة قريبة من البحر، وتذكر الروايات أن يونس ضاق صدراً بتكذيب قومه، فأنذرهم بعذاب قريب، وغادرهم مغضباً آبقاً، فقاده الغضب إلى شاطىء البحر حيث ركب سفينة مشحونة، وفي وسط اللجّة ناوأتها الرياح والأمواج، وكان هذا إيذاناً عند القوم بأن من بين الركاب راكباً مغضوباً عليه لأنه ارتكب خطيئة، وأنه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق، فاقترعوا على من يلقونه من السفينة، فخرج سهم يونس - وكان معروفاً عندهم بالصلاح، ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر، أو ألقى هو نفسه، فالتقمه الحوت وهو مُليم، أي مستحق للوم، لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها، وترك قومه مغاضباً قبل أن يأذن الله له، وعندما أحس بالضيق في بطن الحوت سبّحّ الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين"٠(قطب، ١٩٨٦،ج٤: ١٩٩٨)

ج- توبة الثلاثة الذين خلّفوا عن غزوة تبوك([٣٤]): **{وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}**(التوبة:١١٨)، ويعلق (قطب) على القصة بأنّ: "الندم والتوبة ليسا نهاية المطاف، ولكنه العمل الذي يعقُب الندم والتوبة، فيصدق أو يكذب تلك المشاعر النفسية ويعمقها أو يكتسحها بعد أن تكون!، إن الإسلام منهج حياة واقعية، لا تكفي فيه المشاعر والنوايا، ما لم تتحول إلى حركة واقعية، وللنية الطيبة مكانها؛ ولكنها هي بذاتها ليست مناط الحكم والجزاء، إنما هي تحسب مع العمل، فتحدد قيمة العمل، وهذا معنى الحديث: إنما الأعمال بالنيات . . الأعمال . . لا مجرد النيات، وقد روي أن هذه الآية نزلت في الثلاثة الذين خلفوا - أي أجل إعلان توبتهم والقضاء في أمرهم - وهم مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال ابن أمية، الذين قعدوا عن غزوة تبوك كسلاً وميلاً إلى الدَّعة واسترواحاً للظلال في حر الهاجرة! ثم كان لهم شأن مع رسول الله ﷺ"٠(قطب، ١٩٨٦ ،ج٣: ١٧٠٩)

---

[٣٤]- العُسرة ٠

د- توبة إخوة نبي الله يوسف: **{قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِين{٩٧} قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{٩٨}}**٠ (يوسف:٩٧ -٩٨)

هـ- توبة الرجل الذي ألمَّ بذنب فجاء النبي ﷺ فقال: "أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا فقلت: إن في البيت تمرا أجود من هذا فدخلت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته فقال: اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا فلم اصبر حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: "أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا ؟ "حتى ظننت أني من أهل النار حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ"، فأطرق رسول الله ﷺ ساعة فنزل جبريل، فقال: أبو اليسر: فجئت فقرأ علي رسول الله ﷺ: **{أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**(هود: ١١٤)، فقال إنسان: يا رسول الله أَلَهُ خاصّة أم للناس عامّة ؟ قال: "للناس عامة"، وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: "اتقّ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" ٠(أخرجه الإمام أحمد) وفي رواية عنه قال قلت: يا رسول الله أوصني قال: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها" قال قلت: يا رسول الله أمن الحسنات (لا إله إلا الله) ؟ قال: "هي أفضل الحسنات" ٠(الصابوني،ب.ت،ج٢: ٣٢)

و- التوبة العامة لكل من يذنب ذنبا كبيرا أم صغيرا، في أي زمان كان أومكان: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ{١٣٥}أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ{١٣٦}**(آل عمران: ١٣٥ -١٣٦)، ومنها ما روي عن النبي ﷺ قوله: "ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم تلا هذه الآية: **{والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم}** الآية، والآية الأخرى: **{ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه}** الآية"٠(الطيالسي،ب.ت،ج١: ٢)

النتائج والتوصيات والمقترحات

أولا: النتائج:

توصل الباحث من خلال دراسته إلى ما يأتي:

١- انطلاق فكر سيد قطب انطلاقا واضحا من العقيدة الإسلامية الواضحة ٠

٢- إن مقومات الشخصية الإسلامية لها أثر كبير في تشكيل الشخصية الإسلامية المعاصرة ٠

٣- تأثير فكر سيد قطب تأثيرا واضحا في الشخصية الإسلامية المعاصرة، ويتضح ذلك جليا في تبني أهم الحركات الإسلامية لفكره ومنهجه ٠

٤- اهتمام قطب من خلال تفسيره للقرآن الكريم بقضايا التربية والتعليم، خاصة مسألة الشخصية الإسلامية ٠

٥- يمكن الاستفادة من خبرات الغرب في العلوم البحتة كالكيمياء والفيزياء وغيرها بشكل كبير، ولا يمكن ذلك في طرق التدريس والتربية والتعليم إلا بضوابط معينة تتوافق مع القيم الإسلامية ٠

٦- اتصاف فكر سيد قطب بالشمولية وتعدد الاهتمامات من أدب وفكر ونقد واجتماع وسياسة وتربية وتعليم وغيرها٠

٧- العمل الجاد على بناء مقومات الشخصية الإسلامية في نفوس وعقول الأفراد والجماعات باعتباره مطلبا أساسا لحفظ الشخصية الإسلامية من الذوبان في الشخصيات الأخرى ٠

٨- أهمية المقوم العقدي وخطورته في تكوين الشخصية الإسلامية، حيث أنه الأساس لمقومات الشخصية الإسلامية، وهو الفيصل بين الإيمان والكفر أوالشرك ٠

٩- تعدد المقومات البنائية للشخصية الإسلامية من عقدية إلى علمية وعملية وغيرها ٠

١٠- الشخصية الإسلامية شخصية منفتحة على خبرات الآخرين ولكن بضوابطها الإسلامية ٠

١١- تنّوع أساليب بناء الشخصية الإسلامية وسبقها للأساليب التربوية الحديثة ٠

١٢- أهمية أسلوب التربية بالغفران لتجديد العلاقة الدائمة بالله سبحانه وتعالى ٠

١٣- بروز فكر سيد قطب الإسلامي، وازدهاره كمفكر صاحب مدرسة واتجاه ٠

١٤- اهتمام قطب وتركيزه على قضية التغيير الشامل في حياة المسلمين لتعبيد العباد لرب العباد ومواجهة الجاهلية المعاصرة ٠

١٥- وضوح التصوّر الإسلامي عن الإنسان والكون والحياة المخالف للتصوّر الشرقي والغربي لها ٠

١٦- الطبيعة الإنسانية طبيعة مؤمنة في أصلها ولا تنحرف إلا عند تأثرها بعوامل داخلية

وخارجية٠

١٧- الإيمان بالله تعالى هو القيمة الحقيقية في الكون وهو القيمة الباقية، أما متاع الدنيا فهو زائل ٠

١٨- الإيمان بالغيب مقوم رئيس من مقومات الإيمان وله دوره الرائد في ضبط السلوك وتوجيهه ٠

١٩- التكافل الاجتماعي في الإسلام له شقان، معنوي ومادي، ويكون المعنوي بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٠

٢٠- لا يمكن الفصل بين الدين والأخلاق، فهما وجهان لعملة واحدة ٠

ثانيا: التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

١- الحرص على انتقاء أفضل المربين والمعلمين المؤهلين لبناء مقومات الشخصية الإسلامية في عقول ونفوس النشء ٠

٢- غرس المربين لمقومات الشخصية الإسلامية في نفوس وعقول النشء٠

٣- دعم الدراسات التأصيلية وتكريسها لخدمة الدعوة الإسلامية والفكر التربوي الإسلامي٠

٤- تنويع وتعميم الدراسات الفكرية التربوية الإسلامية على المؤسسات التربوية والتعليمية من مدارس وجامعات وغيرها ٠

٥- الأخذ بالأساليب التربوية القرآنية والنبوية لبناء الشخصية الإسلامية ٠

ثالثا: المقترحات:

يقترح الباحث من خلال دراسته ما يأتي:

١- دراسات فكرية تربوية لشخصيات إسلامية كان لها دور بارز في الفكر الإسلامي المعاصر، كحسن البنا ومالك بن نبي ونديم الجسر وعبد الله النديم ورفيق العظم ومصطفى الرافعي ومحمد أسد ومحمد إقبال وأبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي ومحمد الغزالي ومحمد أبي زهرة ومصطفى السباعي ومحمد المبارك ومصطفى كامل وغيرهم ٠

٢- دراسة أهم الانتقادات التي وجهت لسيد قطب بالتفصيل والرد عليها ٠

٣- دراسة العلاقة المقارنة بين فكري الشهيدين حسن البنا وسيد قطب ٠

٤- دراسة موسعة لعلاقة الأخلاق الإسلامية بالدين ٠

٥- دراسة لتحديد العلاقة بين الأخلاق وسمات الشخصية ٠

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

القرآن الكريم ٠

١- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (١٩٨٦)، **زاد المسير في علم التفسير**،ج٨، بيروت: المكتب الإعلامي ٠

٢- ابن الحجاج، مسلم القشيري النيسابوري (ب.ت)، **صحيح مسلم**، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار التراث العربي ٠

٣- ابن أنس، مالك (١٩٩١)، **موطأ الإمام مالك**، ط١، دمشق: دار القلم٠

٤- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (١٩٥٨)، **العبودية**، ط١، مصر: مطبعة المدينة ٠

٥- ابن حبّان، محمد بن أحمد التميمي (١٩٩٣)، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة ٠

٦- ابن حميد، صالح (٢٠٠١)، **مفهوم الحكمة في الدعوة**، ط١، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد ٠

٧- ابن حنبل، أحمد الشيباني (١٩٥٨)، **العبودية**، القاهرة: المؤسسة السعودية بمصر٠

٨- ابن حنبل، أحمد الشيباني (١٩٩١)، **موطأ الإمام أحمد**، ط١، القاهرة: مؤسسة قرطبة٠

٩- ابن خلدون، عبد الرحمن (١٩٧٨)، **مقدمة ابن خلدون**، ط٤، مكة المكرمة: دار الباز ٠

١٠- ابن عبد البر، يوسف (ب.ت)، **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**، ج٢، القاهرة: دار الفتح ٠

١١- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٩٨٢)، **الأمثال في القرآن**، تحقيق سيد الخطيب، بيروت: دار المعرفة ٠

١٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٩٧٥)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ط٢، بيروت: دار المعرفة ٠

١٣- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (٢٠٠١)، **الفوائد**، تحقيق مصطفى بن العدوي، ط١، القاهرة: دار ابن رجب للنشر والتوزيع٠

١٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (١٩٦٧)، **البداية والنهاية**، ط٢، ج٢، بيروت: دار الكتاب العربي٠

١٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (١٩٨٠)، **تفسير ابن كثير**، بيروت: دار الفكر٠

١٦- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ب،ت)، **سنن ابن ماجة**، بيروت: دار الفكر ٠
١٧- ابن منظور، جمال الدين (١٩٩٠)، **لسان العرب**، ط١، بيروت: دار صادر ٠
١٨- أبو دف، محمود (٢٠٠٤)، **مقدمة في التربية الإسلامية**،غزة: الجامعة الإسلامية٠
١٩- أبو دف، محمود (٢٠٠٢)، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، غزة: مكتبة آفاق ٠
٢٠- أبو زهرة، محمد (٢٠٠٤)، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، ج١،الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية٠
٢١- أبو العينين، علي (١٩٨٥)، **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن**، ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي ٠
٢٢- أبو العينين، علي (١٩٨٧)، **القيم الإسلامية والتربية**، ط١، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي ٠
٢٣- الأعسر، صفاء (١٩٩٢)، **الإبداع في حل المشكلات**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٠
٢٤- الأغا، إحسان وعبد المنعم، عبد الله (١٩٩٢)، **مقدمة في التربية وعلم النفس**، ط٢، غزة: الجامعة الإسلامية ٠
٢٥- أنيس وآخرون، إبراهيم (ب.ت)، **المعجم الوسيط**، ج١وج٢، القاهرة: مجمع اللغة العربية ٠
٢٦- الأهدل، هاشم (١٩٦٧)، **التربية الذاتية من الكتاب والسنة**، ط١، مكة المكرمة: دار الأهدل ٠
٢٧- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧)، **الجامع الصغير المختصر**، ط٢، بيروت: دار ابن كثير٠
٢٨- بركات، حليم (١٩٨٥)، **المجتمع الإسلامي المعاصر**، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ٠
٢٩- بركات، محمد (١٩٨٠)، **سيد قطب خلاصة حياته منهجه في الحركة النقد الموجة إليه**، بيروت: دار الدعوة ٠
٣٠- البسيوني، محمود (١٩٨٦)، **تربية الذوق الجمالي**، القاهرة: دار المعارف ٠
٣١- بكر، عبد الجواد (١٩٨٣)، **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**، ط١، القاهرة: دار العربي ٠

٣٢- البنا، حسن (١٩٧٨)، **مقاصد القرآن الكريم**، القاهرة: دار الشهاب ٠
٣٣- البنا، حسن (١٩٩٢)، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، الكويت: مكتبة المنار ٠
٣٤- بني عامر، محمد (١٩٩٩)، **من فقه الدعوة**، أساليب الدعوة والإرشاد، الأردن: جامعة اليرموك ٠
٣٥- بهاء الدين، كامل (٢٠٠٠)، **الوطنية في عالم بلا هوية**، القاهرة: دار المعارف ٠
٣٦- البهنساوي، سالم (١٩٨٤)، **أضواء على معالم في الطريق**، ط١، الكويت: دار البحوث العلمية ٠
٣٧- البوصيري، محمد (ب.ت)، **بردة المديح المباركة**، القاهرة: شركة الشمرلي للطباعة والنشر٠
٣٨- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الشافعي (١٩٨٩)، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد زغلول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ٠
٣٩- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الشافعي (١٩٩٤)، **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق محمد عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ٠
٤٠- الترمذي، محمد بن عيسى (١٩٩٣)، **الجامع الصغير سنن الترمذي**، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي٠
٤١- التوزري، عبد الهادي (١٩٦٠)، **أحد عشر قرنا في جامعة القرويين**، الرباط: وزارة التربية الوطنية ٠
٤٢- جبار، سعيد (٢٠٠١)، **الإقناع في التربية الإسلامية**، ط٢، جدة: دار الأندلس الخضراء٠
٤٣- جبر، جميل (١٩٩٢)، **شعراء لبنان، إيليا أبو ماضي**، ط١، بيروت: دار المشرق
٤٤- الجزائري، أبو بكر (١٩٧٦)، **منهاج المسلم**، ط٨، دار الفكر٠
٤٥- الجزائري، أبو بكر (ب.ت)، **عقيدة المؤمن**، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم٠
٤٦- الجسر، نديم (٢٠٠٤)، **القرآن في التربية الإسلامية**، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية٠
٤٧- جماعة من المختصين (١٩٦٥)، **الإنسان والمجتمع**، بيروت: دار مكتبة الحياة ٠
٤٨- جمعة، عثمان (ب.ت)، **ضميرية التصور الإسلامي للكون والحياة الإنسانية**، الكويت: دار الأرقم ٠
٤٩- الجندي، أنور (١٩٧٤)، **أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة**

واللغة والأدب والاجتماع، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني ٠

٥٠- الجندي، أنور (ب.ت)، **نوابغ الإسلام**، القاهرة: دار الاعتصام٠

٥١- الجولاني، فادية (١٩٩٧)، **دراسات حول الشخصية العربية**، القاهرة: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ٠

٥٢- حبش، زينب (٢٠٠٢)، **آفاق تربوية في التعليم والتعلم الإبداعي**، ط١، القدس: مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ٠

٥٣- حسين، مالك (٢٠٠٤)، **الإبداع في رحلة الفائدة والإمتاع**، ط١، دمشق: دار علاء الدين٠

٥٤- الحسيني، محمد (١٩٧٩)، **الإنسان الكامل**، ط٢، دمشق: دار الفكر ٠

٥٥- خطّاب، محمود شتيت (١٩٧٢)، **بين العقيدة والقيادة**، ط١، بيروت: دار الفكر ٠

٥٦- حماد، صلاح الدين، ومعمر حمدي (٢٠٠٢)، **نحو تربية إسلامية**، ط١، غزة: مكتبة آفاق ٠

٥٧- حمادة، إبراهيم (١٩٧١)، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، القاهرة: دار الشعب ٠

٥٨- الحمادي، علي (١٩٩٨)، **شرارة الإبداع**، ط١، بيروت: دار ابن حزم٠

٥٩- الحمادي، علي (١٩٩٨)، **صناعة الإبداع**، ط١، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع٠

٦٠- الحمامي، محمد (١٩٩٦)، **رؤية عصرية للترويح وأوقات الفراغ**، ط١، القاهرة: مركز الكتاب للنشر ٠

٦١- حمودة، عادل (١٩٨٧)، **سيد قطب من القرية إلى المشنقة**، ط١، القاهرة: سينا للنشر٠

٦٢- حنورة، مصري (١٩٩٧)، **الإبداع من منظور تكاملي**، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية٠

٦٣- حنورة، مصري (١٩٩٨)، **الشخصية والصحة النفسية**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية٠

٦٤- حوى، سعيد (١٩٧٢)، **الله جل جلاله، بدون بلد نشر ودار نشر** ٠

٦٥- حوى، سعيد (١٩٨٧)، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر**، ط١، الأردن: دار عمار ٠

٦٦- حوى، سعيد (ب.ت)، **جند الله ثقافة وأخلاقا**، ط٢، بدون بلد نشر ودار طباعة٠

٦٧- الخالدي، صلاح (١٩٧٦)، **في ظلال القرآن في الميزان**، ط١، جدة: دار المنارة٠
٦٨- الخالدي، صلاح (١٩٨٥)، **مدخل إلى ظلال القرآن**، جدة: دار المنارة٠
٦٩- الخالدي، صلاح (١٩٨١)، **سيد قطب الشهيد الحي**، عمان: مكتبة الأقصى ٠
٧٠- الخالدي، صلاح عبد الفتاح (١٩٩١)، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، ط١، دمشق: دار القلم٠
٧١- الخباص، عبد الله (١٩٨٣)، **سيد قطب الأديب الناقد**، ط١، الزرقاء: مكتبة المنار٠
٧٢- خلف الله، محمد (١٩٨٢)، **القرآن ومشكلات حيلتنا المعاصرة**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٠
٧٣- خليل، عمر (ب.ت)، **المرجع في تدريس علوم الشريعة**، ط١، ج١، الأردن ٠
٧٤- خميس، حمدي (١٩٦٧)، **الأسلوب الابتكاري**، ط٣، القاهرة: دار المعارف ٠
٧٥- الخوالدة، ناصر وعيد، يحيى (٢٠٠٣)، **طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية**، ط٢، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ٠
٧٦- دار صادر (١٩٥٧)، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، ج٣، بيروت: دار صادر٠
٧٧- داود وآخرون، عزيز حنا (١٩٩٠)، **الشخصية بين السواء والمرض**، ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية٠
٧٨- دراز، محمد عبد الله (١٩٧٩)، **دستور الأخلاق في الإسلام**، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة ٠
٧٩- رجب، منصور (١٩٦١)، **تأملات في فلسفة الأخلاق**، ط٣، القاهرة: مكتبة الرسالة ٠
٨٠- زكريا، فؤاد (١٩٨٨)، التفكير العلمي، الكويت: عالم المعرفة ٠
٨١- الزمخشري، جار الله (ب.ت)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، بيروت: دار المعرفة ٠
٨٢- زيتون، عايش (ب.ت)، **أساليب تدريس العلوم**، ط٢، عمان: دار الشروق٠
٨٣- سالم، محمد (ب.ت)، **علم الجمال الاجتماعي**، الإسكندرية: دار المعارف ٠
٨٤- سري، إجلال (١٩٩٠)، **علم النفس العلاجي**، ط١، القاهرة: عالم الكتب ٠
٨٥- السوسي وآخرون، ماهر (١٩٩٣)، **النظم الإسلامية**، غزة: الجامعة الإسلامية
٨٦- سويد، محمد نور (١٩٩٩)، **منهج التربية النبوية للطفل**، ط٢، دمشق: دار ابن كثير٠
٨٧- السويدان، طارق والعدلوني، محمد (٢٠٠٤)، **مبادئ الإبداع**، ط٣، الكويت: الإبداع الخليجي٠

٨٨- سيفرين، فرانك ت (١٩٧٨)، **علم النفس الإنساني**، ترجمة طلعت منصور وآخرين، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ٠

٨٩- الشافعي، محمد بن إدريس (١٩٩٢)، **ديوان الشافعي**، تحقيق محمد خفاجي، ط٢، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ٠

٩٠- الشامي، صالح (١٩٨٦)، **الظاهرة الجمالية في الإسلام**، بيروت: المكتب الإسلامي٠

٩١- الشرقاوي، حسن (١٩٨٣)، **نحو تربية إسلامية**، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة٠

٩٢- الشربيني، شمس الدين الخطيب الشافعي (١٩٩٧)، **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، الأزهر: قطاع المعاهد الأزهرية ٠

٩٣- الشمّري، هدى (٢٠٠٣)، **طرق تدريس التربية الإسلامية**، ط١، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع٠

٩٤- الشناوي، محمد (١٩٩٧)، **التخلّف العقلي**، القاهرة: دار غريب ٠

٩٥- الشيباني، عمر محمد (١٩٨٧)، **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**، ط٣ ،الدار العربية للكتاب ٠

٩٦- الشيخ، سليمان الخضري (١٩٩٠)، **الفروق الفردية في الذكاء**، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر٠

٩٧- صالح، قاسم (١٩٨١)، **الإبداع في الفن**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق: دار الرشيد ٠

٩٨- صبحي، سيد (١٩٧٦)، **الإنسان وسلوكه الاجتماعي**، المنيرة: مطبعة التقدم٠

٩٩- صفوت، أحمد زكي (ب.ت)، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، بيروت: المكتبة العلمية٠

١٠٠- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق (١٩٨٢)، **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ج٦، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي ٠

١٠١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٨٥)، **تفسير الطبري**، بيروت: دار الفكر ٠

١٠٢- الطيالسي، سليمان بن داود البصري (ب.ت)، **مسند الطيالسي**، بيروت: دارالمعرفة

١٠٣- عباس، راوية (١٩٨٧)، **القيم الجمالية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ٠

١٠٤- عبد الرحمن، عائشة (١٩٨٠)، **الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية**، ط٣،

بيروت: دار العلم للملايين٠

١٠٥- عبد العزيز، صالح (ب.ت)، **التربية وطرق التدريس**، ج٢، ط٧، القاهرة: دار المعارف ٠

١٠٦- عبد الله، سعد الدين (٢٠٠١)، **الإبداع في السلم والحرب**، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة (بميك)٠

١٠٧- عبد الله، عبد الرحمن (١٩٩٧)، **المرجع في تدريس علوم الشريعة**، ج١، ط١،عمان: دار البشير للنشر والتوزيع ٠

١٠٨- عبد المجيد، عبد العزيز (ب.ت)، **القصة في التربية**، ط٥، القاهرة: دار المعارف المصرية ٠

١٠٩- عبد الله وآخرون، عبد الرحمن (٢٠٠١)، **مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها**، ط٢، عمان: دار الفرقان ٠

١١٠- عبود، عبد الغني (١٩٧٩)، **نحو فلسفة عربية للتربية**، ط٢، القاهرة: دارالفكرالعربي٠

١١١- العجمي، أبو اليزيد (١٩٨٨)، **الأخلاق بين العقل والنقل**، القاهرة: دارالثقافة العربية ٠

١١٢- عزام، عبد الله (ب.ت)، **عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب**، بيشاور٠

١١٣- العسلي، باسمة (١٩٩١)، **بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة**، ط١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع٠

١١٤- العظم، رفيق (٢٠٠٤)، **منهج الإسلام في الحرية والعدل والمساواة في ضوء الكتاب والسنة**، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية ٠

١١٥- العظم، يوسف (١٩٨٠)، **سيد قطب رائد الفكر الإسلامي حياته ومدرسته وآثاره**، دمشق: دار القلم ٠

١١٦- عفيفي، فوزي سالم (١٩٠٠)، **الأخلاق الإسلامية**، الكويت: وكالة المطبوعات٠

١١٧- العفيفي، طه (١٩٩٤)، **من صفات الرسول ﷺ الخِلقية والخُلقية**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ٠

١١٨- علوان، عبد الله (٢٠٠٣)، **مدرسة الدعاة فصول هادفة في فقه الدعوة**، ج ١، ط٢، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ٠

١١٩- علوان، عبدالله (١٩٥٩)، **تربية الأولاد في الإسلام**، ج١،وج٢، بيروت: دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع٠

١٢٠- العلواني، طه (١٩٩٢)، **الأزمة الفكرية المعاصرة**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٠

١٢١- علي، سعيد (١٩٩١)، **اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي**، القاهرة: دار الفكر العربي ٠

١٢٢- علي، سعيد (٢٠٠٠)، **القرآن الكريم رؤية تربوية**، القاهرة: دار الفكر العربي٠

١٢٣- علي، سعيد (٢٠٠١)، **فقه التربية مدخل إلى العلوم السلوكية**، القاهرة: دار الفكر العربي٠

١٢٤- عمارة، محمد (١٩٩٧)، **الإبداع والخصوصية الحضارية**، ط١، القاهرة: دار الرشاد للنشر والتوزيع ٠

١٢٥- عمارة، محمد (١٩٩٧)، **معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام**، القاهرة: عمان: دار البشير للننشر والتوزيع ٠

١٢٦- العنزي، عزيز (٢٠٠٥)، **البصيرة في الدعوة إلى الله**، ط١، أبو ظبي: دارالإمام مالك٠

١٢٧- العيادي، أحمد (٢٠٠٤)، **المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية**، ط٢، الإمارات العربية: دار الكتاب العربي٠

١٢٨- العيسوي، عبد الرحمن (١٩٨٦)، **مقومات الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها**، ط٢، الأزرايطة: دار الفكر الجامعي٠

١٢٩- العيسوي، عبد الرحمن (٢٠٠١)، **الإسلام والإنسان المعاصر**، ط١، القاهرة: دار الراتب الجامعية ٠

١٣٠- الغزالي، محمد (١٩٧٩)، **خلق المسلم**، ط٢، دمشق: دار القلم ٠

١٣١- فاطمة بنت عبد الله، الزهراء (١٩٩٨)، **المتبرجات**، ط٤، عمان: المكتبة الإسلامية ٠

١٣٢- الفقي، سعد كريم (٢٠٠١)، **منهج الإسلام في تربية الأولاد**، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب ٠

١٣٣- الفوال، صلاح (ب.ت)، **التصوير القرآني للمجتمع**، ج١، القاهرة: دار الفكرالعربي٠

١٣٤- القاضي، سعيد (٢٠٠١)، **أصول التربية الإسلامية**، ط١، القاهرة: عالم الكتب٠

١٣٥- القاضي، علي (١٩٧٩)، **أضواء على التربية في الإسلام**، ط١ ، القاهرة: دار القاهرة ٠

١٣٦- القرضاوي، يوسف (١٩٧٨)، **التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة٠

١٣٧- القرضاوي، يوسف (١٩٩٤)، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة ٠

١٣٨- القرضاوي، يوسف (١٩٩٥)، **الإسلام والفن**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة٠

١٣٩- القرضاوي، يوسف (١٩٩٥)، **الدين في عصر العلم**، القاهرة: مكتبة وهبة ٠

١٤٠- القرضاوي، يوسف (١٩٩٠)، **الرسول والعلم**، بيروت: مؤسسة الرسالة ٠

١٤١- قرعوش وآخرون، كايد (٢٠٠٢)، **الأخلاق في الإسلام**، ط٢، عمان: دار المناهج ٠

١٤٢- القرني، عائض (١٩٩١)، **الصحوة الإسلامية وحاجتها إلى العلم الشرعي**، ط١، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع ٠

١٤٣- القطان، مناع (١٩٨٥)، **مباحث في علوم القرآن**، بيروت: مؤسسة الرسالة٠

١٤٤- قطب وإخوته، سيد (١٩٧٦)، **الأطياف الأربعة**، بدون بلد نشر أو اسم ناشر٠

١٤٥- قطب، سيد (١٩٦٣)، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ط٦، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ٠

١٤٦- قطب، سيد (١٩٧٧)، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ج١، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ٠

١٤٧- قطب، سيد (١٩٧٧)، **هذا الدين**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية٠

١٤٨- قطب، سيد (١٩٨٦)، **في ظلال القرآن**، ط١٢، بيروت: دار الشروق ٠

١٤٩- قطب، سيد (١٩٨٨)، **ديوان سيد قطب**، جمعه ووثّقه وقدّم له عبد الباقي حسين، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ٠

١٥٠- قطب، سيد (ب.ت)، **التصوير الفني في القرآن**، القاهرة: مكتبة القرآن ٠

١٥١- قطب، سيد (ب.ت)، **دراسات إسلامية**، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٢- قطب، سيد (ب.ت)، **طفل من القرية**، جدة الدار السعودية للنشر ٠

١٥٣- قطب، سيد (ب.ت)، **لماذا أعدموني ؟**، الرياض: الشركة السعودية للأبحاث٠

١٥٤- قطب، سيد (ب.ت)، **مشاهد القيامة في القرآن**، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٥- قطب، سيد (ب.ت)، **معالم في الطريق**، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٦- قطب، سيد (ب.ت)، **مهمّة الشاعر في الحياة**، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٧- قطب، سيد (ب.ت)، **نحو مجتمع إسلامي**، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٨- قطب، محمد (١٩٧٩)، **منهج التربية الإسلامية**، ج١، ط٤، بيروت: دار الشروق ٠

١٥٩- قطب، محمد (١٩٨٣)، **مذاهب فكرية معاصرة**، القاهرة: دار الشروق ٠
١٦٠- الكردي، محمد أمين (ب.ت)، **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب**، القاهرة: المكتبة التوفيقية
١٦١- الكندهلوي، محمد (١٩٦٣)، **حياة الصحابة**، القاهرة: دار الريان للتراث ٠
١٦٢- الكيلاني، ماجد (١٩٨٨)، **فلسفة التربية الإسلامية**، ط٢، مكة المكرمة: مكتبة هادي ٠
١٦٣- الكيلاني، ماجد (١٩٩٦)، **أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوّة الإسلامية**، ط٢، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي٠
١٦٤- اللوح عبد السلام (٢٠٠٢)، **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ط٢، غزة: آفاق للطباعة والنشر
١٦٥- المبارك وأخرون، محمد (ب.ت)، **الثقافة الإسلامية**، المستوى الثالث، جدة: مطابع جامعة الملك عبد العزيز ٠
١٦٦- المتنبي، أبو الطيب أحمد (ب.ب)، **ديوان أبي الطيب المتنبي**، تحقيق عمر الطباع، ج١، وج٢، بيروت: دار الأرقم ٠
١٦٧- محمود، علي (١٩٩٤)، **سلسلة مفردات التربية الإسلامية والتربية الروحية**، دار النشر والتوزيع الإسلامية ٠
١٦٨- مرسي، كمال (١٩٨٨)، **المدخل إلى علم الصحة النفسية**، الكويت: دار القلم
١٦٩- المزيدي، زهد (١٩٩٢)، **مقدّمة في منهج الإبداع رؤية إسلامية**، ط١، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ٠
١٧٠- مشرح، محمد (١٩٩١)، **الآفاق الفنية في القصة القرآنية**، جدة: دار المجتمع ٠
١٧١- المصري، عبد السميع (١٩٨٠)، **مقوّمات العمل في الإسلام**، ط١، القاهرة:مكتبة وهبة ٠
١٧٢- المطلق، إبراهيم (١٩٩٦)، **التدرج في دعوة النبي ﷺ**، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ٠
١٧٣- ملكاوي، فتحي (١٩٩٠)، **التحدّيات التي تواجه الشخصية الإسلامية**، ج١،عمان: بحوث المؤتمر التربوي ٠
١٧٤- ملكاوي، فتحي (١٩٩٠)، **بحوث المؤتمر التربوي**، ج١، عمان ٠
١٧٥- مهنا، علي جميل (١٩٨١)، **الأدب في ظل الخلافة العباسية**، ج٢،ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الوطنية ٠
١٧٦- المودودي، أبو الأعلى (١٩٧٦)، **الحكومة الإسلامية**، ط١، القاهرة: دار المختار

الإسلامي ٠
١٧٧- موسى، رشاد (١٩٩٩)، **علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق**، ج١، عمان: بحوث المؤتمر التربوي ٠
١٧٨- موسى، مصطفى (٢٠٠٢)، **الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الإسلامية**، ط١، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي ٠
١٧٩- الميداني، عبد الرحمن (١٩٧٨)، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ج١، دمشق: دار القلم ٠
١٨٠- ناصر، إبراهيم (١٩٩٤)، **تربية المواطنة**، عمان: مكتبة الرائد ٠
١٨١- النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٢)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ط٢، دمشق: دار الفكر ٠
١٨٢- النحوي، عدنان (١٩٩٨)، **المسؤولية الفردية في الإسلام أسسها تكاليفها تميّزها**، ط٢، الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع ٠
١٨٣- النحوي، عدنان (ب.ت)، **دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية**، الدمام: دار الإصلاح ٠
١٨٤- نخبة من أساتذة علم النفس (١٩٩٤)، **دراسات وبحوث في علم النفس**، القاهرة: دار الفكر العربي ٠
١٨٥- الندوي، أبو الحسن (١٩٧٩)، **التربية الإسلامية الحرة**، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة ٠
١٨٦- الندوي، أبو الحسن (١٩٧٥)، **مذكرات سائح في الشرق العربي**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة
١٨٧- نوون، دونالد (٢٠٠١)، **الإبداع في حل المشكلات**، ترجمة مكتبة جرير، ط١، الرياض: مكتبة جرير٠
١٨٨- النووي، يحيى بن شرف (١٩٩٧)، **الأذكار**، ط٢،القاهرة: دار الحديث ٠
١٨٩- الهاشمي، عبد الحميد (١٩٨٠)، **الرسول العربي الأمي**، ط١، دمشق: دار الثقافة العربية
١٩٠- الهاشمي، محمد علي (١٩٩٣)، **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة**، ط١، الكويت: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية٠
١٩١- الهضيبي، حسن (ب.ت)، **دعاة لا قضاة**، القاهرة: دار الطباعة والنشرالإسلامية٠
١٩٢- وزارة المعارف السعودية (١٩٩٥)، **سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية**، ط٤، الرياض: مطابع البيان ٠
١٩٣- اليازجي، ناصيف (ب.ت)، **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**، ج١،بيروت: دار

صادر

١٩٤- ياسين، محمد نعيم (١٩٨٢)، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**، الكويت: مكتبة الفلاح ٠

١٩٥- يالجن، مقداد (١٩٨١)، **توجيه المتعلم في ضوء التفكير الإسلامي التربوي**، الرياض: دار المريخ ٠

١٩٦- يالجن، مقداد (٢٠٠٢)، **التربية الاخلاقية الإسلامية**، ط٣، الرياض: دارعالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ٠

١٩٧- يالجن، مقداد والقاضي، يوسف (١٩٩٧)، **علم النفس التربوي في الإسلام**،ط١، الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع٠

ثانيا : الرسائل الجامعية:

١- السخاوي، عادل (١٩٨٨)، **فلسفة الجمال في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الإسكندرية: كلية الآداب ٠

٢- الشريف، نايف (١٩٩١)، **التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي، رسالة دكتوراه غير منشورة**، المملكة العربية السعودية ٠

ثالثا: الدوريات والمجلات والمؤتمرات:

١- البسيوني، محمد (٢٠٠٤)، "توظيف القيم الإسلامية في بناء الشخصية المتكاملة"، "**الأزهر**"، ج٣، سنة٧٧، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص٤٤٢-٤٤٩ ٠

٢- أبو دف، محمود (١٩٩٧)، "بعض الممارسات التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية"، **بحث مقدم لمؤتمر العلوم التربوية بين الأصالة والمعاصرة**، جامعة اليرموك: كلية التربية٠

٣- أبو دف، محمود (١٩٩٧)، "مظاهر التغيّر السلبي في واقع المسلمين كما بينتها السنة النبوية وسبل مواجهتها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي"، **بحث مقدّم إلى المؤتمر التربوي الأول، التربية في فلسطين وتغيرات العصر ٢٣-٢٠٠٤/١١/٢٤م، غزة : الجامعة الإسلامية ٠**

٤- بكّار، عبد الكريم (٢٠٠٤)، "مقوّمات الشخصية الإيجابية"، **البيان (بريطانيا)**، العدد ٢٠٤، ص٢٢ ٠

٥- البوهي، فاروق (١٩٩٥)، "إدراك طلاب جامعة البحرين لمقومات الشخصية العربية وسبل المحافظة عليها"، **المجلة العربية لبحوث التعليم العالي**، العدد١، ص١٧١-١٩٤.

٦- الجندي، أنور (١٩٨٢)، "بناء الشخصية المسلمة"، **منبر الإسلام**، العدد٦، ص٣٢-٣٥.

٧- خلف الله، أحمد (١٩٩٢)، "التصور الإسلامي لدور التربية الجمالية في بنـــاء الشخـــصية المسلمة"، **التربية جامعة الأزهر**، العدد٢٣، ص ٣٧-٨٤ ٠

٨- خليل، عماد الدين (١٩٨٢)، "رحلة مع الجمـــال فـــي كتـــاب الله"، **مجلـــة الـــوعي الإسلامي**، العدد ٢٧٧، الكويت ٠

٩- خليل، محمود (٢٠٠٤)، "المنهج الإسلامي في بناء المجتمع الإســـلامي"، **الأزهـــر**، ج١٢، سنة ٧٦، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص٧٥٣-٧٥٧ ٠

١٠-الدسوقي، طه (١٩٨٢)، "مقومات شخصية النبي ﷺ من دلائل النبـــوة"، **منبـــر الإســـلام**، العدد٣، ص٢١.

١١-رابح، تركي (١٩٨١)، "فلسفة التربية الإسلامية في تكوين المـــواطن الـــصالح"، **مـــؤتمر التربية الإسلامية ١٥-٣١ آذار**، بيروت٠

١٢-رجب، مصطفى (٢٠٠٤)، "شخصية المسلم بين الواقع والمتوقع"، **الأزهر**، ج٧، سنة ٧٧، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص١٢٠٦-١٢١١ ٠

١٣-رجب، مصطفى (٢٠٠٦)، "أصول تربية الفرد المسلم"، **الأزهر**، ج١، سنة ٧٩، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص٧٦-٧٩ ٠

١٤-الرشيدي، بشير (٢٠٠١)، "مقومات بناء الإنسان في الأسرة مدخل أساسي لتنميـــة الفـــرد وتقدم المجتمع"،**مجلة الإرشاد النفسي**، العدد ١٣، ص٢٢٩.

١٥-الزهراني، محمد (٢٠٠٣)، حاجتنا إلى التفكير الإبداعي، "**البيان (بريطانيا)**"، العدد ١٤٠، سنة ١٤، ص١٠٠-١٠٧ ٠

١٦-زين العابدين، الطيب (١٩٩٣)، "الرؤية الجمالية في القرآن"، **كلية التربية**، العدد ١٠٥، ص٥-٢٣ ٠

١٧- الساكت، طه (٢٠٠٤)، "منهج النبي ﷺ في العبادة"، **الأزهر**، العدد ١٠، الأزهر: مجمـــع البحوث الإسلامية، ص١٦٠٤-١٦٠٩ ٠

١٨-السويدي، خليفة (١٩٩٧)، "تحديات التربية الواقع والمستقبل"، **بحث مقدم لندوة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل**،٢٠-٢٢ ديسمبر، الإمارات العربية: جامعة العين٠

١٩-سبع، توفيق (١٩٧٣)، "واقعية المنهج القرآني"، **سلسلة البحوث الإسلامية**، العدد ٧٠، سنة ٥، المملكة العربية السعودية ٠

٢٠-سرحان، منير (١٩٨٠)، "الخبرة الجمالية في التربية"، **المجلة العلمية**، العدد ٣، سنة ٣، الرياض: كلية التربية ٠

٢١-سيدبي، جمال (١٩٩٨)، "المدخل الجمالي وأثره في تربية الفرد والمجتمع"، **منبر الإسلام**، العدد ١٠، سنة ٥٦، ص٦٤-٦٥ ٠

٢٢-شحاتة، عبد الله (١٩٧٦)، "القصة في القرآن الكريم"، **مجلة العربي الكويتية**، الكويت، ص٢٧ ٠

٢٣-شومان، عبد الحميد (١٩٨٧)، "من عناصر بناء الشخصية المسلمة الإيمان بالله تعالى"، **منبر الإسلام**، العدد١٢، ص١٠٣-١٠٤.

٢٤-الصو، عيسى (١٩٩٢)، "توجّه سيد قطب الأدبي والروحي"، مترجم عن مقال للدكتور عدنان مسلم، **هدى الإسلام**، العدد ٣، سنة ١١، القدس: إدارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص٥٤-٦٤ ٠

٢٥-الصوفي، حمدان (٢٠٠٤)، "مفهوم الجودة ومقوماتها في الإسلام"، **الجودة في التعليم العالي**، العدد ١، غزة: الجامعة الإسلامية، ص١١٢-١١٨٠

٢٦-الصيّاح، علي (٢٠٠٣)، "القوة في العبادة"، **البيان (بريطانيا)**، العدد ١٩٣، سنة ١٨، لندن: المنذري الإسلامي، ص٢٦ ٠

٢٧-طه، مصطفى (١٩٩١)، "الرؤية الجمالية عند مفكري الإسلام"، **التربية قطر**، العدد ٤، مجلد ٢٦، ص١٥٨- ١٦٢ ٠

٢٨-العزب، محمد (١٩٨١)، "الجمال من المنظور الإسلامي"، **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد ٢١٢، الكويت ٠

٢٩-عمّار، حامد (١٩٨١)، "حوار منهجي حول التنمية الاجتماعية ومقومات الشخصية العربية"، **المستقبل العربي**، العدد٢٣، ص٩٣-١٠٦.

٣٠-عمارة، محمد (٢٠٠٤)، "مقومات الانتماء الثقافي والنهضة الحضارية"، **الأزهر**، ج٩، سنة ٧٧، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص١٥٣٠-١٥٣٤ ٠

٣١-عن جريدة أخبار العالم الإسلامي (١٩٨٧)، "المجتمع والمدرسة أخطر مقومات محو الشخصية الإسلامية"، **مجلة الجامعة الإسلامية بالمغرب**، العدد، ٢٠، ص١٨١-١٨٩ ٠

٣٢-عويس، عبد الحليم (٢٠٠٤)، "الوسطية في البناء الاجتماعي الإسلامي"، **الأزهر**، ج٩، سنة ٧٧، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص١٥٠٤-١٥٠٩ ٠

٣٣- العيسوي، عبد الرحمن (١٩٨٩)، "خطورة الانبهار بالفكر الصهيوني على كيان الشخصية العربية والإسلامية"، **التربية قطر**، عدد ٩١، ص٨٨.

٣٤- غنيم، كارم (١٩٨٧)، "الإيمان بالغيب ضرورة عصرية"، **مجلة الجامعة الإسلامية بالمغرب**، العدد ٢٠، ص٤٩-٥٥ .

٣٥- الفيومي، محمد (١٩٩٢)، "المنهج الإسلامي في بناء المجتمع المتماسك"، **الإسلام اليوم**، العدد ٢٩، سنة ١٠، ص٨٣-١٠٣ .

٣٦- الفيومي، محمد (٢٠٠٥)، "العولمة والهوية الثقافية الإسلامية"، **الأزهر**، ج٨، سنة ٧٨، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ص١٣٠٤-١٣٠٧ .

٣٧- قظام، محمود (١٩٨٩)، "دور التربية في بناء شخصية الشباب العربي"، **التربية قطر**، العدد٨١، ص ١٣٨-١٣٩.

٣٨- قلعة جي، عبد الفتاح (١٩٨٩)، "علم الجمال الإسلامي الجانب التفكري والجانب الإيماني"، **الثقافة الإسلامية**، العدد ٢٤، ص٢٥٤-٢٦١ .

٣٩- قلعة جي،عبد الفتاح (١٩٨٨)، "علم الجمال الإسلامي بحث في المنطلقات"، **الثقافة الإسلامية**، العدد ٢١، ص١١٠-١١٩ .

٤٠- كامل، منير (١٩٩٦)، **ندوة التربية العلمية ومتطلبات التنمية في القرن الحادي والعشرين**، مركز تطوير تدريس العلوم، ٤-٥ ديسمبر، القاهرة: جامعة عين شمس، ص ١١-٣٢ .

٤١- لاوند، محمد (١٩٧٦)، "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإسلامية"، **الندوة العالمية للشباب الإسلامي**، ص٢٤٢ .

٤٢- المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية (١٩٨٧)، **المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية**، ج٣، القاهرة .

٤٣- منصور، حسن (١٩٨٣)، "العبادة علاج للأمراض النفسية"، **التصوف الإسلامي**، العدد ٥٦، القاهرة: المجلس الصوفي الأعلى، ص٤٨-٤٩.

٤٤- المومني، ماجد (١٩٩٨)، "القيم الجمالية ومفاهيمها في المجتمعات الإنسانية"، **اليرموك**، العدد ٦١، الأردن، ص١٦-١٩ .

٤٥- هاشم، أحمد عمر (١٩٨٧)، "أثر العلم في الشخصية الإسلامية"، **منبر الإسلام**، العدد ١٢ ، ص٥٢-٥٤ .